الدكتور عماد عبد الرحيم الزغول

علم النفس العسكري

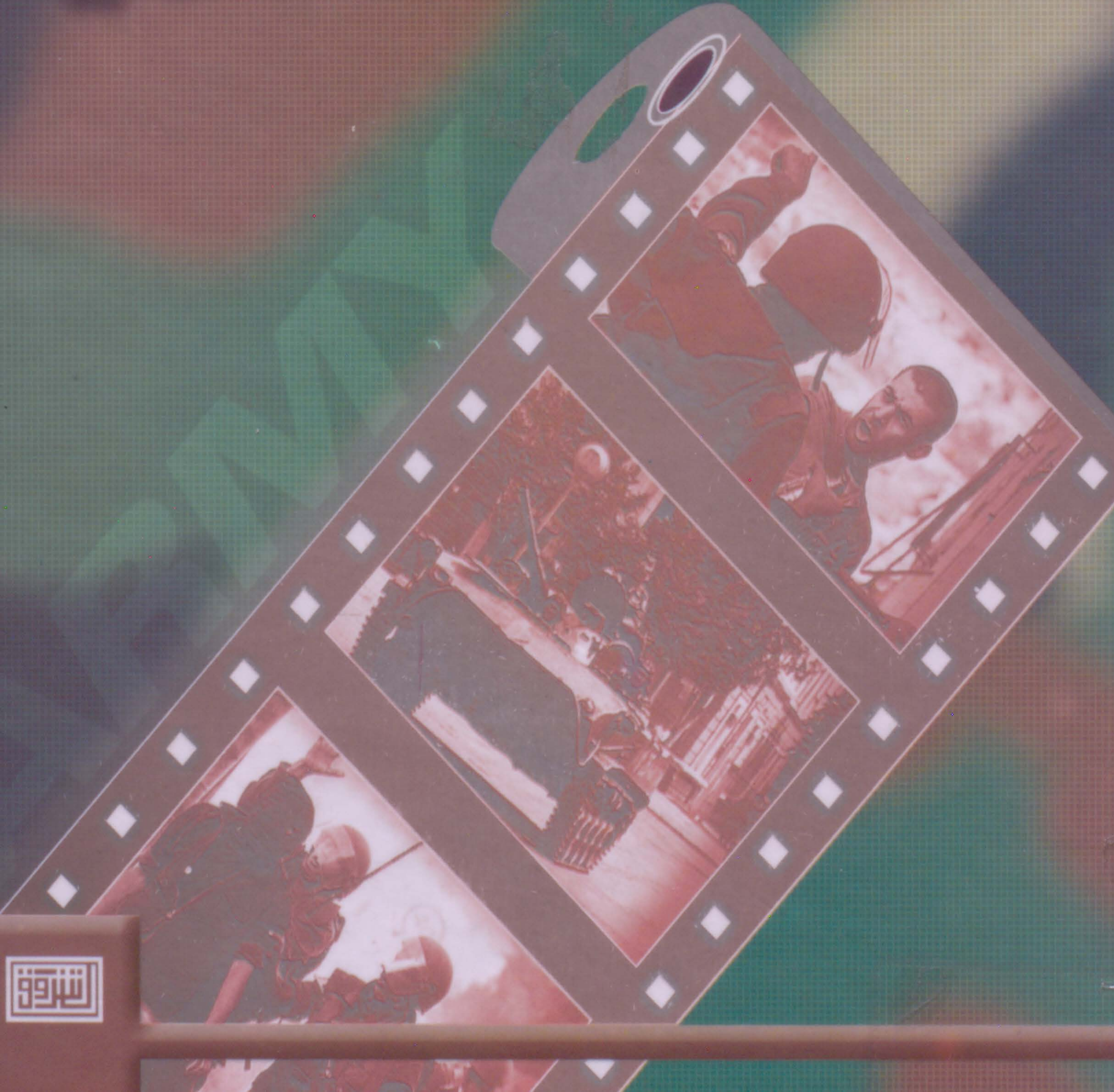

علم النفس العسكري

الدكتور

عماد عبد الرحيم الزغول

أستاذ مشارك

أستاذ علم النفس التربوي

قسم علم النفس - كلية العلوم التربوية - جامعة مؤته

المركز الإسلامي الثقافي
مكتبة سماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله العامة
الرقم ....

◉ علم النفس العسكري.

◉ الدكتور عماد عبد الرحيم الزغول.

◉ الطبعة العربية الأولى: الإصدار الثاني 2008.

◉ جميع الحقوق محفوظة © .

الناشر:

دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف: 4618190 / 4618191 4624321 فاكس: 4610065

ص.ب: 926463 الرمز البريدي: 11110 عمان - الاردن

دار الشروق للنشر والتوزيع

رام الله: المنارة - شارع المنارة - مركز عقل التجاري هاتف 02/2961614

غزة: الرمال الجنوبي قرب جامعة الأزهر هاتف 07/2847003

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

▣ التنضيد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان و الأفلام :

دائرة الإنتاج / دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف: 4618190/1 فاكس 4610065 / ص.ب. 926463 عمان (11110) الاردن

Email : shorokjo@nol.com.jo

الإهداء

إلى أولئك الذين مضوا . . الشهداء الأبرار
إلى أولئك المحاربين القدماء
إلى أشراف الأمة
مدنيين وعسكريين
قادة وضباطاً
وضباط صف وأفراداً
الذين يحملون هموم الأمة والوطن
أهدي هذا الجهد المتواضع . . .

المؤلف

المحتويات

المقدمة ———— 13

الفصل الأول

لمحة موجزة عن تطور علم النفس

- مقدمة ———— 19
- المذهب العقلاني والمذهب الترابطي ———— 21
- تعريف حقل علم النفس ———— 23
- مدارس علم النفس ———— 25
- فروع علم النفس ———— 30
- علم النفس العسكري ———— 33
- تاريخ علم النفس العسكري ———— 34
- ملامح المجتمع العسكري ———— 40
- تنظيم القوات المسلحة ———— 40

الفصل الثاني

القيادة وأساليب تنميتها

- مقدمة ———— 45
- تعريف القيادة ———— 47
- طبيعة القيادة ———— 47
- العلاقة بين القيادة والإدارة ———— 48
- أهمية دراسة القيادة ———— 48
- السمات والخصائص القيادية ———— 49

- طرق الوصول إلى القيادة 55
- أصناف القيادة 56
- العوامل التي تؤثر في اختيارالأسلوب القيادي 61
- مصادر قوة القائد 64
- نظريات القيادة 64
- خصوصية القيادة العسكرية 66
- وظائف القائد ومهماته 68
- اختيار القادة وتطويرهم 69

الفصل الثالث
الروح المعنوية والضبط العسكري

- مقدمة 75
- تعريف الروح المعنوية 76
- العوامل التي تؤثر في الروح المعنوية 78
- أهمية الروح المعنوية 86
- الضبط والربط العسكري 86
- المظاهر المختلفة للانضباط العسكري 89
- دور القائد في عمليات الضبط والربط العسكري 90

الفصل الرابع
التنشئة العسكرية وعمليات التعلم

- مقدمة 95
- البرامج والطرائق التربوية والتعليمية 96
- مفهوم التعلم 97

- تعريف التعلم 98
- خصائص عملية التعلم 99
- مبادئ التعلم 102
- مبادئ التعلم السلوكية 103
- مبادئ التعلم الاشراطي 103
- التعلم من خلال المحاولة والخطأ 106
- التعلم الاجرائي 110
- التعلم بالملاحظة 119
- التعلم بالاستبصار 121

الفصل الخامس
الإدراك الحسي وعملية التمويه

- مقدمة 127
- التمويه 128
- تطور عمليات التمويه 129
- الإحساس 130
- مراحل الإحساس 131
- أنواع الإحساسات 132
- عتبة الإحساس 132
- أنواع الحواس الخارجية 133
- حاسة البصر 133
- استغلال الإحساس البصري في المجال العسكري 135
- حاسة السمع 139
- توظيف حاسة السمع في المجال العسكري 142

- حاسة اللمس 143
- أهمية حاسة اللمس في المجال العسكري 145
- حاسة الذوق 145
- دور حاسة الذوق في المجال العسكري 146
- حاسة الشم 146
- فائدة حاسة الشم في المجال العسكري 147
- الانتباه 147
- التطبيقات العسكرية 148
- الإدراك 149
- قوانين الإدراك الحسي 150

الفصل السادس
الحرب النفسية

- مقدمة 155
- تعريف الحرب النفسية 156
- ملامح الحرب النفسية 156
- لمحة تاريخية عن تطور الحرب النفسية 158
- أهداف الحرب النفسية 162
- وسائل الحرب النفسية 163
- الإشاعة 163
- الدعاية 174
- إثارة الرعب والفوضى 181
- المؤامرات واختلاق الأزمات 183
- عمليات غسيل الدماغ 183

- طرق التصدي للحرب النفسية 184

الفصل السابع
وسائل الانتقاء والتوزيع لأفراد القوات المسلحة

- مقدمة 189
- الفروق الفردية 189
- خصائص الفروق الفردية 191
- تطور مفهوم الفروق الفردية 192
- العوامل التي تؤثر في الفروق الفردية 194
- حركة القياس النفسي في القوات المسلحة 197
- أهمية دراسة الفروق الفردية في القوات المسلحة 199
- مجالات القياس النفسي في القوات المسلحة 201

الفصل الثامن
التكيف والصحة النفسية لأفراد القوات المسلحة

- مقدمة 211
- مفهوم التكيف النفسي 213
- تعريف التكيف 215
- مضمون التكيف النفسي 216
- أبعاد عملية التكيف 217
- مظاهر سوء التكيف 217
- الإحباط 217
- الآثار المترتبة على الإحباط 220
- الصراع 228

- أنواع الصراع 229
- القلق 231
- مظاهر القلق 233
- عصاب الحرب 234
- الهستيريا 236
- عصاب الكوارث 238
- الانحراف الجنسي 238
- الاستحواذ القهري 239
- الاضطرابات الشخصية 239
- التكيف النفسي في المجتمع العسكري 241

المراجع 245

المقدمة

لا يكاد أي مجتمع من المجتمعات يخلو من وجود مؤسسة عسكرية تعمل على الحفاظ على أمن وسلامة المجتمع من أي تهديد داخلي أو خارجي ، وتشكل المؤسسة العسكرية مجتمعاً بحد ذاته يسهم على نحو غير مباشر في التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية للمجتمع الأب من خلال تحقيق الأمن والاستقرار والحفاظ على وحدة هذا المجتمع وتماسكه .

ويعد المجتمع العسكري كأي مجتمع تنظيمي آخر يتألف من مجموعة أفراد تحكمهم علاقات تنظيمية معينة ويسعون إلى تحقيق أهداف وغايات عامة ، بحيث تتوزع الأدوار والمهام على الأفراد وفق أسس وضوابط محددة ، وتتباين الأدوار والمهام تبعاً للسمات الشخصية والمؤهلات والقدرات والامكانات بالاضافة إلى القواعد واللوائح المعمول بها .

وبالرغم من التشابه الكبير الذي يربط المجتمع العسكري بالمجتمعات التنظيمية الأخرى ، إلا أنه بالوقت نفسه يختلف عنها في بعض الاعتبارات مثل البنية التنظيمية واجراءات إدارة الأفراد بالاضافة إلى الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها . وينبع مثل هذا الاختلاف من خصوصية المجتمع العسكري ، الأمر الذي يستلزم العناية الفائقة في اختيار أفراد القوات المسلحة وتدريبهم وتوزيعهم على القطاعات والمهن العسكرية المختلفة وغرس قواعد الضبط والربط العسكري لديهم .

ولما كان علم النفس يعنى بالدرجة الأولى في تفسير السلوك الانساني وضبطه والتنبؤ به في محاولة منه لتفسير الوظائف النفسية المتعددة لدى الأفراد والكشف عن الاضطرابات التي تطرأ عليها ، فبات من الضروري توظيف مبادئ علم النفس في المجال العسكري بهدف تحسين أداء الافراد ورفع كفاءتهم الانتاجية . ومن هنا نجد اهتمام المجتمعات الحديثة في الاستفادة من المعارف والنظريات النفسية والعمل على توظيفها في الجوانب العسكرية المتعددة . ومن بعض هذه الجوانب هو ما سيتم تناوله في فصول هذا الكتاب وهي :

1- **الفصل الأول** : ويتعرض إلى تاريخ علم النفس وأهدافه ومدارسه وفروعه المختلفة بالاضافة إلى تناول موضوع علم النفس العسكري والحديث عن نشأته ومجالات اهتماماته .

2- **الفصل الثاني** : ويتناول القيادة العسكرية من حيث تعريفها وطبيعتها وخصائص القائد الجيد وطرق الوصول الى المركز القيادي والنظريات التي تعرضت الى موضوع القيادة بالإضافة إلى الحديث عن الأساليب القيادية المختلفة وطرق تنمية القادة .

3- **الفصل الثالث** : ويتناول الروح المعنوية من حيث تعريفها وطبيعتها وأهميتها في حياة الجماعة والمجتمع العسكري ، ويتطرق أيضاً إلى موضوع الضبط والربط العسكري ودور القادة في تحقيق الضبط والربط العسكري لدى الأفراد .

4- **الفصل الرابع** : ويتحدث عن موضوع التنشئة العسكرية وطبيعة البرامج العسكرية وعمليات التعلم ومبادئه المتعددة الاشراطية والمحاولة الخطأ والنمذجة والمبادئ الاجرائية في التعلم ، بالاضافة إلى الحديث عن بعض مبادئ التعلم المعرفية مثل الاستبصار والتطبيقات العسكرية المحتملة هذه النماذج .

5- **الفصل الخامس** : ويتحدث عن عمليات التمويه والاحساس والانتباه والادراك الحسي ، ويتعرض أيضاً إلى كيفية الاستفادة من هذه العمليات في المجالات العسكرية .

6- **الفصل السادس** : ويتحدث عن موضوع الحرب النفسية وأهدافها ومجالاتها وأبعادها ووسائلها المتعددة مثل الدعاية والاشاعة والمؤامرات والترهيب وعمليات غسيل الدماغ ، بالاضافة إلى مخاطرها وكيفية التصدي لها .

7- **الفصل السابع** : ويتناول موضوع انتقاء وتوزيع أفراد القوات المسلحة ، ويتحدث كذلك عن الفروق الفردية في الخصائص العقلية والشخصية وكيفية قياسها وأهميتها في المجال العسكري .

8- **الفصل الثامن** : ويتناول موضوع التكيف والصحة النفسية لأفراد القوات المسلحة بحيث يتعرض إلى تعريف التكيف النفسي ومضمونه وأبعاده المتعددة ، ويتناول أيضاً مظاهر سوء التكيف مثل الاحباط والعدوان والقلق والصراع وعصاب الحرب والهستيريا والانحراف الجنسي والاستحواذ القهري وبعض الاضطرابات النفسية ، وبعض الاجراءات التي يمكن أن تساعد أفراد القوات المسلحة على التكيف والتوافق النفسي والاجتماعي .

وفي الخاتمة ، يبقى هذا الكتاب مجرد مساهمة في هذا المجال سعيت من وراءه إلى خدمة أبناء قواتنا المسلحة في العالم العربي والاسلامي وقد لا يخلو من جوانب النقص أو بعض الأخطاء غير المقصودة ، فإن أصبت فلنفسي وإن أخطأت فأسأل الله المغفرة ، والله ولي التوفيق .

المؤلف

1

الفصل الأول

لمحة موجزة عن تطور علم النفس

مقدمة:

لا زال هناك اعتقاد خاطئ حول موضوع علم النفس لدى بعض الناس ولا سيما في مجتمعاتنا العربية والإسلامية . فعند ذكر اسم هذا الموضوع ، سرعان ما يتبادر إلى الأذهان مسائل المرض النفسي والجنون . وفي الواقع ، إن الأمر ليس كذلك ، فعلم النفس لا يرتبط بالخلل والاضطراب النفسي فحسب ، لا بل يتعدى ذلك ليتناول الوظائف النفسية لدى الأسوياء ، فهو أحد فروع المعرفة التي تعنى بدراسة الخصائص الإنسانية والوظائف النفسية والعقلية والأنماط السلوكية المتعددة لدى الأسوياء وغير الأسوياء .

ويسعى هذا العلم تحديداً إلى فهم جميع الوظائف النفسية والأنماط السلوكية لدى الأفراد العاديين وغير العاديين في محاولة منه لفهم السلوك الإنساني وتحديد أسبابه ومتغيراته والعوامل المؤثرة فيه ، من أجل التنبؤ به وضبطه وتوجيهه ، وذلك لمساعدة الأفراد على تحقيق التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي .

من جهة أخرى ، يعتقد البعض أن حقل علم النفس هو من المواضيع التي ظهرت في مجال المعرفة حديثاً ، وغالباً ما يربط الكثير نشأة هذا الحقل بعالم النفس النمساوي سيجموند فرويد . وبالرغم من مساهمات فرويد في مجال علم النفس ، إلا أن تاريخه أقدم من ذلك بكثير ، فعلم النفس يكاد يكون من أقدم المواضيع المعرفية التي عرفتها البشرية .

تشير المصادر العلمية إلى أن الإنسان منذ القدم بدأ يتأمل بهذا الكون وبالطبيعة البشرية ، وأخذ يطرح العديد من التساؤلات التي تتعلق بالمسائل الوجودية وغير الوجودية في محاولة منه لفهم ذاته وهذا العالم المحيط به . وقد حاول الإجابة عن بعض الأسئلة مثل مَنْ أنا و مَنْ أكون ولماذا أنا ؟ وكيف جئت ومن أين ؟ وإلى غير ذلك من الأسئلة الأخرى .

لقد سعى الإنسان إلى التعرف على الطبيعة البشرية وأثار العديد من المسائل ذات العلاقة بالمعرفة ، من حيث مصدرها وعلاقتها بالروح والعقل والجسد (Carlson, 1998) . ففي هذا الصدد ، تدل المكتشفات الأثرية والدراسات الانثروبولوجية حرص الإنسان منذ القدم على

فهم هذه العلاقة الجدلية ؛ فالرسوم والنقوش والإشارات في الكهوف والمغاور هي بمثابة توثيق لمحاولات الإنسان لفهم ما يدور حوله من ظواهر طبيعية وغير طبيعية . هذا ويكاد يكون مذهب الأرواحية "Animism" من أقدم المذاهب التي حاول الإنسان من خلاله تفسير مثل تلك الظواهر . فوفقاً لهذا المبدأ ، فإن حدوث جميع الظواهر الإنسانية والطبيعية هو من فعل الأرواح الخفية التي تسيطر عليها . فالأحداث السارة تحدث بسبب رضى هذه الأرواح ، في حين تقع الأحداث السيئة بسبب غضبها ، لذلك اجتهد الإنسان في ابتكار أنماط متعددة من الطقوس والعبادات لنيل رضى مثل هذه الأرواح وتجنب غضبها (Carlson, 1994) .

لقد آمن قدماء المصريين واليونانيين بوجود قوى عظمى تقف وراء سعادة الإنسانية وشقائها ، وأن مثل هذه القوى هي المسؤولة عن خلق الإنسان وفنائه وعن أفعاله وأنشطته وكل ما يحدث له . وهذا ما دفعهم إلى ابتداع فكرة وجود الآلهة وتعددها ، واعتقدوا أن كل إله منها مسؤول عن جانب معين من الجوانب الإنسانية والكونية ؛ فهناك إله الخير ، وإله الشر ، وإله الخصب ، وإله الشمس ، وإله الحب ، وإله النور ، وإله المطر ، وإله الموت ، وإله الحياة ، وإلى غير ذلك من الآلهة .

وبالرغم أن الله سبحانه وتعالى أرسل الأنبياء والرسل إلى العديد من الجماعات البشرية لتصحيح النهج البشري ، وتفسير بعض الجوانب الوجودية والكونية والهدف من الوجود الإنساني ، إلا معظم الدعوات التي جاء بها مثل هؤلاء الأنبياء والرسل كانت محصورة في الزمان والمكان ، بحيث لم تصل إلى جميع الشعوب آنذاك لعدم توفر وسائل الاتصال المناسبة ، ويكاد يكون الدين الإسلامي أكثرها شموليه وانتشاراً كونه جاء إلى جميع البشر . ولكن قبل ظهور الديانة الإسلامية والمسيحية ، مرت فترات زمنية طويلة لم تكن هناك رسالات سماوية عامة لبني البشر باستثناء الديانة اليهودية التي جاءت لبني اسرائيل تحديداً . ونظراً لغياب مثل هذه الدعوات ، فقد بالغت الشعوب القديمة في تفسير الحقيقة ، وهذا أدى إلى ظهور مذاهب وآراء فلسفية متعددة .

ويمكن القول إن أكثر المذاهب الفلسفية انتشاراً وتوثيقاً تلك التي جاء بها قدماء الفلاسفة اليونانيين ، أمثال إبقراط وسقراط وارسطو وأفلاطون وفيثاغورس وغيرهم ، حيث انبثق عن هذه الآراء الفلسفية مذهبان رئيسان حول المعرفة والوجود والطبيعة البشرية (Hotherasll, 1984) وهما : المذهب العقلاني والمذهب الترابطي ، وفيما يلي عرض موجز لأهم أفكار هذين المذهبين :-

المذهب العقلاني والمذهب الترابطي:

يؤكد المذهب العقلاني فكرة فطرية المعرفة ، إذ يرى أصحاب هذا الاتجاه أمثال أفلاطون وكانت وليبتز وغيرهم من الفلاسفة الآخرين أن المعرفة سابقة على الوجود الإنساني ، وأن مصدر هذه المعرفة هي الروح التي جاءت من عالم المثل لتسكن الجسد . فالإنسان أثناء حياته يستعيد ما هو كائن بالعقل فعلاً ، ومن هذا المنطلق ، فإن ما يظهر على الإنسان من أفعال وأقوال وأنشطة هو مبرمج بالأصل ليقوم بها بالشكل الذي تظهر عليه . ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه أيضاً فكرة الحقائق أو البديهات القائمة بحد ذاتها . فعل سبيل المثال ، نحن ندرك المسافة أو العمق على نحو معين لأننا مبرمجون ومهيؤون فطرياً لادراك مثل هذه الأشياء على هذا النحو ، فالبيئة وفرص التدريب والتعلم تعمل فقط على تنشيط الأنماط المعرفية الموجودة لدى الإنسان ، ولا تعمل مطلقاً على تزويده بمثل هذه الأنماط (Hilgard of Bower, 1981) .

أما المذهب الترابطي ، فهو يؤكد دور عمليات التعلم والبيئة وفرص التدريب ، إذ يرى أن الإنسان هو الذي يكتسب الخبرات والمعارف ، لأنه يولد وعقله صفحة بيضاء ، ومن خلال تفاعلاته المتعددة مع البيئات المادية والاجتماعية يكتسب الأنماط المعرفية والسلوكية . يدعم مثل هذا الاتجاه العديد من الفلاسفة أمثال أرسطو وهيوم وجون لوك وجون ستيوارت وغيرهم .

لقد شكل هذان المذهبان المنطلقات الفكرية بما قدمته من افتراضات وتفسيرات حول الطبيعة الإنسانية والمعرفة للعديد من المدارس النفسية التي ظهرت لاحقاً : كالمدرسة البنائية والغرضية والإنسانية والمعرفية والتحليلية والسلوكية وغيرها من مدارس علم النفس الأخرى . ولكن يؤخذ على مثل هذه المذاهب منهجيتها في تناول الظواهر ؛ فهي لم تستخدم المناهج القائمة على التجريب والبحث العلمي ، ولكنها لجأت إلى استخدام مناهج غير موضوعية تعتمد على الملاحظات الذاتية والقياس والتأمل والاستبطان والبرهان الجدلي ، مما أدى بالتالي إلى تأخر في تطور العلوم المتعددة .

لقد بقيت جميع العلوم تنطوي تحت مظلة الفلسفة ، وتعتمد أساليبها في دراسة الظواهر حتى نهاية القرن السابع عشر تقريباً ، حيث بدأت العلوم الطبيعية كالهندسة والطب والرياضيات والأحياء والكيمياء والفيزياء بالانفصال على الفلسفة ، وأخذت تستخدم الطريقة العلمية القائمة على قواعد الملاحظة العلمية والتجريب في دراسة الظواهر ، وهذا مما ساهم بالتالي في تطورها وتوظيفها على نحو فاعل في الحياة البشرية .

لقد ساهم عدد من العلماء في استقلال العلوم الطبيعية عن الفلسفة أمثال نيوتن ودارون وجاليلو وجالتون وكوبرنيكس ولافوازيه وغيرهم ، إذ دعوا إلى استخدام المنهج التجريبي في البحث والدراسة واستخدام الأساليب الاحصائية في تحليل النتائج من أجل فهم الظواهر على نحو أفضل ، والتوصل إلى نتائج أكثر دقة (الهنداوي والزغول ، 2002) .

وخلافاً لذلك ، فإن فروع العلوم الإنسانية ومن بينها علم النفس بقيت تخضع للمناهج الفلسفية حتى نهاية القرن التاسع وبداية القرن العشرين . ويمكن القول إن الفضل في الدعوة إلى استخدام الطرق العلمية في مجال علم النفس يرجع إلى الفيلسوف وعالم الفيزياء جوستاف فنجر (1801-1887) الذي دعا إلى تطبيق الطرق العلمية في دراسة العمليات العقلية ، وفي دراسة الدماغ والأعصاب والعمليات الحسية . فقد اهتم فنجر بدراسة العلاقة بين المثيرات الفيزيقية والاحساس ، إذ حاول قياس شدة المثير التي يمكن لعضو الحس التأثر به ، وقد صاغ ما يعرف بعتبة الاحساس ، وهي الحد الأدنى لشدة المثير التي يمكن لعضو الحسن التأثر به والاستجابة له . لقد ألف فنجر كتاباً بعنوان عناصر السيكوفيزيقيا عام (1860) ، وفيه قدم شرحاً مفصلاً لكيفية استخدام الاجراءات التجريبية الرياضية في دراسة العقل الإنساني .

أدى ظهور المدرسة البنائية في ألمانيا على يد عالم النفس وليم فونت ، إلى تأسيس أول مختبر في مجال علم النفس وذلك عام (1897) . وقد عمد فونت وتلاميذه إلى دراسة الظواهر النفسية ولا سيما الوعي والشعور تحت شروط تمتاز بالضبط التجريبي . وبالرغم من أن فونت ساهم إلى درجة كبيرة في ظهور علم النفس كحقل مستقل عن الفلسفة وبقية الفروع الأخرى ، وساهم في اعطاءه الهوية الخاصة به ، إلا أن الطريقة التي استخدمها في دراسة الظواهر النفسية لم تكن موضوعية . فقد عمد إلى استخدام طريقة تعرف بالمنهج البنائي ، وفيه يتم دراسة الخبرة الشعورية والعمل على تحليلها بهدف تحديد عناصرها المكونة لها من خلال مبدأ يعرف بالاستبطان التحليلي "Analytic Introspection" . ويقوم مثل هذا المبدأ على ملاحظة الذات وتأملها ، أي التأمل الذاتي لما يدور بالداخل والتعبير عنه لغوياً .

لقد واجهت هذه المدرسة العديد من الانتقادات من حيث منهجيتها في تحليل الخبرات الشعورية والاسلوب المتبع في دراسة مثل هذه الظواهر ، وهو ما يعرف بالاستبطان ، وظهرت دعوات جديدة إلى استخدام طرق أكثر ثباتاً وموضوعية في دراسة العمليات النفسية مثل : التذكر والنسيان والتفكير والانفعالات والتعلم دون الحاجة إلى استخدام أسلوب الاستبطان ، وهذا بالتالي أدى إلى ظهور مدارس نفسية جديدة في علم النفس كالمدرسة الغرضية

والتحليلية والمعرفية والسلوكية ، والتي ساهمت في ترسيخ هوية حقل علم النفس كفرع مستقل قائم بذاته بين فروع العلوم الأخرى .

تعريف حقل علم النفس:

إن مصطلح علم النفس "Psychology" هو بالأصل كلمة يونانية تعني دراسة العقل أو الروح ، وهو مشتق من كلمتين هما : كلمة "Psych" وتعني الروح أو النفس ، وكلمة "Logus" وتعني علم أو معرفة . وبذلك نجد أن جذور هذا المصطلح ترجع إلى الفكر اليوناني الاغريقي القديم .

وفيما يتعلق بالتعريف العلمي لحقل علم النفس فمن الصعب ايجاد تعريف واضح ومحدد لهذا الحقل ، وذلك للأسباب التالية :

1- لقد جاء انفصال علم النفس عن الفلسفة في وقت متأخر مقارنة بالفروع العلمية الأخرى . فعلم النفس بقي إلى عهد قريب أحد فروع الفلسفة يدرس الموضوعات النفسية من خلال منهجية غير علمية تقوم على القياس والاستبطان والملاحظة والتأمل .

2- لقد تعرض علم النفس أثناء تطوره لتأثير العديد من الفروع العلمية الأخرى ، ولا سيما العلوم الطبيعية مثل الفيزياء والكيمياء والأحياء والطب ، إذ إن تداخلاً كبيراً حدث بين هذه الفروع وحقل علم النفس .

3- اختلاف المنطلقات الفكرية والفلسفية التي اعتمدت عليها مدارس علم النفس اللاحقة . فالمذاهب الفلسفية اختلفت في نظرتها إلى الطبيعية الإنسانية ومصادر المعرفة وطبيعة العلاقة القائمة بين الروح والعقل والجسد . وهذا بالتالي أدى إلى تباين وجهات نظر مدارس علم النفس حول السلوك الإنساني .

4- سيطرة الاعتقاد الخاطئ لفترة طويلة بأن علم النفس يُعنى أصلاً بالاضطرابات النفسية والانفعالية والمشاكل السلوكية لدى غير الأسوياء من الناس .

5- تعدد وجهات نظر علماء النفس حول طبيعة الظاهرة النفسية من حيث تحديد أسبابها وكيفية دراستها وأساليب قياسها وكيفية تأويلها .

6- لأنه يتعامل مع الظواهر النفسية والتي يصعب حصرها وملاحظتها من جهة ولكثرة متغيراتها والعوامل المؤثرة فيها من جهة أخرى .

عموماً ، يمكن ايراد عدد من التعاريف لعلم النفس ، والتي يتمثل بعضها بالآتي :

1- هو ذلك العلم الذي يعنى بدراسة مظاهر الحياة النفسية المتعددة كالأفكار والمشاعر والاحساسات والميول والرغبات والذكريات والانفعالات لدى الأسوياء وغير الأسوياء من الناس .

2- هو ذلك العلم الذي يدرس سلوك الإنسان بمختلف مظاهره والتي تتمثل بالأفعال والأقوال والحركات الظاهرة أثناء عمليات التفاعل مع البيئة .

3- هو ذلك العلم الذي يعنى بدراسة السلوك الإنساني وما يقف وراءه من عمليات عقلية -معرفية .

4- هو ذلك العلم الذي يهتم بتفسير السلوك الإنساني في المواقف الحياتية المتعددة في محاولة منه لفهم أسبابه ومتغيراته وذلك من أجل التنبؤ به وضبطه .

5- هو ذلك العلم الذي يعنى بالكشف عن الدوافع التي تكمن وراء السلوك الإنساني .

يلاحظ من التعاريف السابقة أنها متكاملة مع بعضها بعضاً بحيث تعكس اتجاهات مدارس علم النفس المختلفة . إذ يمكن القول إن مجال علم النفس واسع جداً ويتناول المواضيع والمسائل التالية :

1- جميع ما يصدر عن الإنسان من أفعال وأقوال وحركات مثل المشي والكتابة والكلام والضحك .

2- جميع الأنشطة والعمليات المعرفية كالانتباه والإدراك والتذكر والتفكير واتخاذ القرارات والتوقع والتخطيط .

3- جميع ما يظهر على الفرد من مشاعر وجدانية وانفعالية كالإحساس باللذة والالم والشعور بالضيق والارتياح والحزن والفرح والخوف والغضب والقلق .

4- جميع الاضطرابات والأمراض النفسية : كالاضطرابات الانفعالية والسلوكية والسيكوباثية والعصابية والذهانية وغيرها .

5- جميع الدوافع : الفطرية المنشأ والمكتسبة منها ، ودورها في السلوك والأنشطة النفسية المختلفة لدى الأفراد .

ومن الجدير ذكره ، أن علم النفس يعتبر السلوك على أنه الوحدة العلمية لدراسة المظاهر النفسية المتعددة . ويقصد بالسلوك : أي نشاط خارجي يصدر عن الفرد ويمكن ملاحظته بطرق مباشرة ، ويشمل الأفعال والحركات والأقوال والإيماءات التي تظهر على الفرد في

المواقف المختلفة . كما ويشمل السلوك الأنشطة الداخلية التي تحدث داخل الفرد ويستدل عليها من خلال السلوك الذي يظهر على الفرد أو من خلال اتجاهاته وميوله أو أية وسائل خاصة أخرى . ومن هذا المنطلق ، نجد أن السلوك الإنساني على غاية من التعقيد ولا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يتسم مثل هذا السلوك بالآلية ، إذ تقف وراءه دوافع وتوقعات ومشاعر وعمليات عقلية متعددة . فعلى سبيل المثال ، نجد أن سلوك الكتابة يتألف من عدد من الجوانب تشمل الجانب الحركي مثل مسك القلم والسيطرة على اليد وتحريكها بالشكل المطلوب ، والجانب العقلي المتمثل في التفكير في موضوع الكتابة وتنظيم الأفكار والتخطيط لعملية تنفيذ الحركات ، ثم الجانب الانفعالي ويتضمن الانفعالات والمشاعر والميول المصاحبة لمحتوى الموضوع .

مدارس علم النفس:

لقد أسلفنا سابقاً أن معظم مواضيع علم النفس كانت تدرس تحت مظلة الفلسفة ، وقد تركز جل التركيز حول مصادر المعرفة وعلاقتها بالروح والعقل بالإضافة إلى تناول موضوع التعلم والذاكرة البشرية . ومع انفصال علم النفس عن الفلسفة ، أصبح يُنظر إليه على أنه علم الخبرة الشعورية . ومثل هذه الفكرة جاءت بها أول مدارس علم النفس ، وهي المدرسة البنائية التي ظهرت في ألمانيا في منتصف القرن التاسع عشر . ويمكن تصنيف مدارس علم النفس على النحو الآتي :-

أولاً : المدرسة البنائية Structuralism :

تعد المدرسة البنائية أول مدارس علم النفس التي ظهرت في ألمانيا . ويرجع الفضل في تطوير أفكار هذه المدرسة إلى عالم النفس وليم فونت (Wilhem Wundt: 1832 - 1920) الذي كان يعمل أستاذاً للفلسفة في جامعة هيدلبرج .

لقد تمثل جل اهتمام فونت في تأسيس فرع علم النفس على نحو يكون فيه مستقلاً عن الفلسفة ، لذا ترك جامعة هيدلبرج ليشغل منصب أستاذ في جامعة ليبزج ، وفيها عمل على انشاء أول مختبر تجريبي لعلم النفس . وفي هذا المختبر ، عمد فونت إلى تحليل الخبرات الشعورية إلى عناصرها المكونة لها مستخدماً مبدأ الاستبطان التحليلي ، وفيه يطلب من أشخاص مدربين على تأمل ذواتهم أثناء انشغالهم في بعض الأنشطة النفسية ، والتعبير عن هذه الخبرات لغوياً . وقد حاول من خلال تحليل الخبرات الشعورية التوصل إلى مكوناتها الأولية والكشف عن علاقتها بالعمليات العقلية والنفسية . وتوصل إلى أن المشاعر ترتبط إلى

درجة كبيرة بمبدأ تحقيق اللذة وتجنب الألم ، وأن الإحساس والشعور بأي مثير يعتمد على طبيعته ومستوى شدته .

بالرغم أن فونت ساهم في اعطاء علم النفس هويته المستقلة كفرع قائم بذاته بين فروع المعرفة الأخرى ، إلا أن بعض الانتقادات وجهت إلى المدرسة البنائية التي قام بتأسيسها ، ويتمثل ذلك ، في أن فونت اختزل علم النفس بالجوانب الشعورية ، حيث عرّفه بدلالة الخبرات الشعورية فقط . كما ويؤخذ على هذه المدرسة عدم موضوعية منهجيتها في دراسة الخبرات الشعورية ، والتي تتمثل في مبدأ الاستبطان . فالأوصاف التي يقدمها الأفراد لما يدور داخلهم من مشاعر وأفكار تتأثر إلى درجة كبيرة في ذاتيتهم ، وبالتالي فإنه من الصعب تعميم مثل هذه المشاعر إلى الآخرين (الزغول والهنداوي ، 2002) .

ثانياً : المدرسة الوظيفية "Functionalism" :

ظهرت هذه المدرسة في الولايات المتحدة الأمريكية على يد عالم النفس وليم جيمس (William James: 1840 - 1910) والذي كان معاصراً لوليم فونت . انتقد جيمس منهجية فونت في دراسة الخبرات النفسية من خلال تحليلها إلى عناصرها الأولية ، فهو يرى أن عملية التحليل لمثل هذا الخبرات لا يؤدي إلى فهمها على النحو الصحيح . وعوضاً عن ذلك ، فقد دعا إلى دراستها على المستوى الكلي الشامل . من جهة أخرى ، اعتبر جيمس أن الشعور لوحدة غير كافٍ لوصف العلميات النفسية ، لأن الشعور هو بمثابة خبرة فردية ذاتية قابلة للتغيير وتتأثر إلى درجة كبيرة بدرجة الانتباه التي يوليها الفرد للمثيرات والانتقائية في اختيار بعض المثيرات دون غيرها . لقد تأثر جون ديوي بأفكار وليم جيمس ودعا إلى دراسة وظيفة الشعور عوضاً عن محتواه ، لأن ذلك يساعد على فهم الآليات التي يسعى من خلالها الفرد إلى التكيف مع المواقف في بيئته .

ثالثاً : المدرسة الغرضية "Purposelism" :

تعد المدرسة الغرضية امتداداً للمدرسة الوظيفية ، وقد قام بتأسيس أفكارها عالم النفس الانجليزي مكدوجال (McDougall: 1871 - 1938) . لقد أكد مكدوجال دور الغرائز والدوافع في السلوك ، كون أن جميع أفعال الفرد وأنشطته تقع تحت سيطرة الغرائز المرتبطة بتحقيق اللذة أو تجنب الألم (دافيدوف ، 1984) . تعرض مكدوجال إلى الجوانب الاجتماعية للسلوك وساهم في تأسيس ما يسمى بعلم النفس الاجتماعي ، واقترح ما يسمى بفكرة العقل الجماعي "Group mind" والتي على أساسه تختلف الجماعات المتعددة في تفكيرها وأساليب إدراكها .

رابعاً : المدرسة التحليلية "The Psychoanalytic" :

يعود الفضل في تطوير أفكار هذه المدرسة إلى الطبيب وعالم النفس النمساوي سيجموند فرويد (Freud: 1856 - 1939) . تأثر فرويد بأفكار مكدوجال من حيث أهمية الغرائز ودورها في الأنشطة النفسية السلوكية لدى الأفراد ، لكنه بالغ إلى درجة كبيرة من حيث تأكيده على دور دافع الجنس في مثل هذه العمليات .

يرى فرويد أن الخبرات اللاشعورية المرتبطة بالرغبة الجنسية هي التي تقف وراء جميع الاضطرابات النفسية العصابية ، إذ يرى أن مثل هذه المشاعر تكون مكبوتة في حيز اللاشعور ، وتظهر على نحو غير مباشر في سلوكات الأفراد .

استخدم فرويد أساليب متعددة لاستخراج الخبرات اللاشعورية المكبوتة والعمل على تحليلها لمساعدة الأفراد على التكيف . ومن هذه الأساليب : أسلوب التنويم المغناطيسي ، والتداعي الحر ، وتحليل الأحلام ، وسقطات اللسان . وقد افترض أن الطاقة النفسية لدى الفرد تتبدى في غريزتين رئيسيتين هما : غريزة الحياة التي تتجلى في غريزة الجنس (طاقة الليبيدو) ، وغريزة الموت التي تظهر في الرغبة في العدوان والتدمير .

يرى فرويد أن خبرات الفرد تقع في ثلاث مستويات هي :

أ- **الخبرات الشعورية** : وهي التي تكون جاهزة وسهلة الاسترجاع .

ب- **الخبرات القبل شعورية** : وهي التي تكون قريبة من حيز الشعور ويمكن ببعض الجهد استرجاعها .

ج- **الخبرات اللاشعورية** : وهي تلك التي ترتبط بخبرات الحرمان والرغبات الجنسية والخبرات المؤلمة أو المحرجة ، ومثل هذه الخبرات تكون مكبوتة في حيز اللاشعور ، ويصعب تذكرها على نحو مباشر ، لكنها تظهر من خلال فلتات اللسان أو من خلال الاضطرابات السلوكية العصابية . تعرض فرويد إلى الشخصية الإنسانية والاضطرابات التي تطرأ على مثل هذه الشخصية ، فهو يرى أن الخلل في الشخصية يرجع إلى حالات الصراع التي تنشأ بين مكوناتها الثلاثة وهي :-

أ- الهو **(Id)** : وتمثل الجانب الحيواني من الشخصية ؛ فهي مستقر الرغبات والشهوات والغرائز غير الإنسانية .

ب- الأنا (Ego) : وتمثل الجانب الواقعي من الشخصية ، وهي التي تعمل على الموازنة بين مطالب الهو والانا الاعلى .

جـ- الأنا الأعلى **(Superego)** : وهي بمثابة الضمير أو الجانب الأخلاقي من الشخصية .

بالرغم من مساهمات فرويد الهامة في مجال دراسة الشخصية وأساليب العلاج النفسي ، إلا أن نظريته واجهت العديد من الانتقادات منها :

أولاً : لم يستخدم فرويد المنهج التجريبي في بناء مفاهيم نظريته ، أو حتى في إثبات صحة افتراضاتها . فالعديد من أفكار هذه النظرية ومفاهيمها جاءت من ملاحظات شخصية للحالات المرضية التي كان يتعامل معها فرويد في عيادته النفسية .

ثانياً : لقد بالغ فرويد في تأكيد دور الخبرات اللاشعورية الدفينة والغرائز ولا سيما الجنسية في السلوك ، لدرجة أنه اعتبر الدوافع الجنسية على أنها المحرك الرئيس لكافة الأنماط السلوكية لدى الأفراد ، وبهذا فهو أغفل العديد من الدوافع الأخرى . وكنتيجة لذلك ، انشق العديد من تلاميذه عنه ، وكان من بينهم (الفرد أدلر) الذي أسس ما يعرف بعلم النفس الفردي ، وفيه أكد على دور الحاجة إلى التفوق تعويضاً للشعور بالنقص في شخصية الأفراد ، إذ اعتبر أن لدى الأفراد رغبة جامحة نحو التميز والتفوق في محاولة منهم لتعويض حالات النقص التي يعانون منها . كما انشق عنه أيضاً عالم النفس يونغ (Jung) والذي عمل على تأسيس ما يسمى بعلم النفس التحليلي ، وقد أكد ما يسمي باللاشعور الجمعي الذي يشترك فيه كافة الناس ، ويرى أن اللاشعور الجمعي صفة وراثية تنتقل عبر الأجيال ، وهي المسؤولة عن اشتراك البشر في بعض الانماط السلوكية .

خامساً : المدرسة الإنسانية "The Humanstic" :

يعد كل من كارل روجرز وماسلو من أشهر رواد هذه المدرسة ، وقد جاءت رداً على أفكار المدرسة التحليلية . فهي تؤكد الجانب الخيّر من الإنسان وترى أن لدى الإنسان ، إرادة حرة للقيام بما يقوم به من أفعال وأنشطة . أكدت مثل هذه المدرسة وجود حاجات متعددة لدى الإنسان ، ومثل هذه الحاجات تدفع الإنسان إلى المثابرة وبذل المزيد من الجهد لتحقيقها . وترى أن الخلل والاضطراب في الشخصية ينتج من جراء وجود عوائق ربما تكون خارج نطاق إرادة الفرد بحيث تحول دون تحقيق مثل هذه الحاجات ، أو قد يحدث الاضطراب في الشخصية بسبب صراع مثل الحاجات معاً .

سادساً : المدرسة السلوكية "The Behaviorism" :

لقد جاءت هذه المدرسة لترد على العديد من أفكار المدارس السابقة ومناهجها في دراسة الظواهر النفسية . فلم يرق لأتباع هذه المدرسة التعرض إلى العمليات الداخلية الشعورية أو غير الشعورية على اعتبار أن مثل هذه العمليات غير مباشرة ولا يمكن ملاحظتها وقياسها على

نحو مباشر ، كما أنها بالوقت نفسه قللت من شأن دور الغرائز والدوافع الأولية الفطرية في السلوك . يعد جون واطسون وبافلوف وسكنر وثورنديك وهل وجثري من أشهر رواد هذه المدرسة ، وقد دعوا إلى اعتبار السلوك الخارجي الظاهر للعيان على أنه وحدة الدراسة العلمية لجميع المظاهر النفسية (Hill, 1990) .

تعد المدرسة السلوكية اختزالية لأنها اختزلت كافة الظواهر النفسية في سلوك . فهي ترى أن التفكير واللغة والتخيل والحب والكره والعدوان وغيرها من العمليات الداخلية على أنها سلوكات كأي سلوك آخر مثل الكتابة أو المشي ، وهي متعلمة ؛ أي يكتسبها الفرد من جراء تفاعلاته المستمرة مع البيئة المحيطة . وعليه ، فقد اهتمت هذه المدرسة بنتائج السلوكات والخبرات الحسية المباشرة ، ولم تعنَ أبداً بما يقف وراء هذه السلوكات من دوافع أو أية عمليات أخرى . وانصب اهتمام هذه المدرسة على دور العوامل البيئية وخبرات التعلم في السلوك ، وقد عمدت إلى تحديد عوامل السلوك ومحدداته البيئية في محاولة منها لصياغة مبادئ وقوانين عامة حول هذا السلوك ، يمكن من خلالها التنبؤ به والتحكم به وتوجيهه .

سابعاً : المدرسة المعرفية "The Cognitive School" :

لقد عارضت المدرسة المعرفية أفكار المدرسة السلوكية والمدرسة البنائية من حيث تأكيدها على تحليل الظاهرة النفسية إلى عناصرها الأولية من أجل فهمها وتفسيرها ، وعوضاً عن ذلك فقد أكدت مبدأ الكلية في دراسة الخبرة النفسية . وترى أن الفهم الحقيقي للظاهرة النفسية يتطلب تناولها على المستوى الكلي الشمولي ، لأن تجزئتها يفقدها المعنى أو الوظيفة . كما عارضت هذه المدرسة أفكار النظرية السلوكية من حيث اهتمامها بنواتج السلوك واعتبارها أن السلوك هو مجرد ارتباط بن مثير واستجابة ما . ففي الوقت الذي اهتمت فيه المدرسة السلوكية بنواتج عمليات التعلم ، نجد أن المدرسة المعرفية اهتمت بالعمليات الداخلية التي تقف وراء السلوك على اعتبار أنها هي المحددات الحقيقية لهذا السلوك .

فالمدرسة المعرفية تؤكد دور العمليات المعرفية الوسيطية التي تتوسط بين المثيرات والاستجابات ، وترى أن السلوك هو نتاج لمثل هذه العمليات . فهي ترى أن الإنسان نشط وفعال ولديه الإرادة الحرة من حيث استقبال المعلومات واخضاعها إلى العديد من العمليات المعرفية في ضوء ما هو متوفر لديه من خبرات في مخزون الذاكرة وذلك من أجل التوصل إلى نواتج سلوكية معينة . وبهذا المنظور ، فالمدرسة المعرفية تؤكد عمليات وسيطية مثل التفكير والإدراك والتخيل والتخطيط والتوقع والتحليل واتخاذ القرارات وغيرها من العمليات الأخرى في العمليات السلوكية (الزغول ، 2003) .

ينضوي تحت اطار هذه المدرسة عدد من النظريات ، كنظريات النمو المعرفي التي تؤكد التغيرات التي تطرأ على تفكير الفرد وإدراكه عبر مراحل نموه المختلفة مثل نظرية بياجيه في النمو العقلي . وتشمل أيضاً نموذج معالجة المعلومات الذي يؤكد عمليات استقبال المعلومات ومعالجتها وتنظيمها وربطها معاً واستدعائها في أداء سلوكي معين . وهناك كذلك نظرية الجشتلت التي أكدت دور الإدراك الحسي وعمليات التنظيم الإدراكي للخبرات الحسية وعمليات الاستبصار في السلوك .

فروع علم النفس:

لقد أدى التطور السريع الذي شهدته البشرية بعد الثورة الصناعية والعلمية إلى تعقد الحياة وزيادة مطالبها وصعوباتها ، وتمخض عن ذلك تعدد ميادينها ومجالاتها ، الأمر الذي أدى إلى زيادة الاهتمام بالدراسات النفسية على اعتبار أنها ترتبط بالجوانب السلوكية المختلفة لدى الأفراد . فالاهتمام بالدراسات النفسية وما تمخض عنها من مبادئ ومفاهيم ونماذج حول السلوك الإنساني جاء لغاية رفع كفاءة الأفراد على الأداء ومساعدتهم على التكيف النفسي والاجتماعي . وهذا بالتالي أدى إلى ازدياد الاهتمام بموضوع علم النفس والعمل على توظيف نظرياته ومبادئه في جميع ميادين الحياة ، مما تترتب عن ذلك ظهور فروع متعددة لعلم النفس . ويمكن تصنيف هذه الفروع إلى مجموعتين هما :

أولاً : مجموعة الفروع الأساسية :

وتعنى مثل هذه الفروع في إجراء الابحاث النظرية والاساسية حول المظاهر السلوكية النفسية لدى الأفراد بغية صياغة مبادئ وقوانين حول الظاهرة السلوكية ، وتشمل هذه المجموعة فروعاً متعددة تتمثل بالآتي :

1-**علم النفس العام** : يعد هذا الفرع المظلة العامة للعديد من فروع علم النفس الأخرى ، فهو يتناول جميع المظاهر النفسية والأنماط السلوكية : العقلية والانفعالية والاجتماعية واللغوية والحركية ، ويسعى إلى فهم مثل هذه الأنماط في المواقف الحياتية المتعددة ، في محاولة منه لتحديد الأسس المميزة للسلوك الإنساني بصفة عامة . وتحديداً فإن هذا الفرع ، يدرس كافة أوجه النشاط النفسي لدى الإنسان مثل الدوافع والتعلم والذاكرة والإدراك والتفكير والتخيل والانفعالات والذكاء والتذكر والشخصية والميول والاتجاهات إلى غير ذلك . ويتمثل الهدف الأساسي لهذا الفرع في اكتشاف المبادئ والقوانين العامة التي تقف وراء مثل هذه الأنشطة من أجل الاستفادة منها في ضبط السلوك الإنساني وتوجيهه الوجه الأمثل .

2- علم النفس الاجتماعي : يعنى هذا الفرع بدراسة سلوك الجماعات في المواقف الاجتماعية المتعددة . كما ويهتم بدراسة أوجه التفاعل المختلفة بين الأفراد من مختلف الفئات العمرية التي تتم سواء في الشارع أو دور العبادة أو النوادي أو المدارس أو مؤسسات العمل أو في البيت ، بالإضافة إلى دراسة أثر وسائل الإعلام المختلفة في سلوك الفرد والجماعة .

يتعرض هذا الفرع أيضاً إلى دراسة السلوك الفردي في ظل المعطيات الاجتماعية التي تؤثر فيه ، ويتناول أثر العادات والقيم والمعتقدات والثقافة في مثل هذا السلوك .

ويهتم هذا الفرع بالقيم الاجتماعية مثل التعاون والتنافس والولاء والمسايرة والغيرية والتعصب ، ويدرس النظم الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية والتغير الاجتماعي وعمليات التنشئة الاجتماعية والعوامل المؤثرة فيها . كما ويتناول بالبحث والدراسة مواضيع أخرى مثل : القيادة والاتجاهات وديناميات الجماعات والفروق بين الجماعات من حيث أساليب تطورها وأنماط التنظيم داخلها وأهدافها وأنماط معيشتها .

3- علم نفس النمو : ويعنى هذا الفرع بدراسة خصائص الأفراد المختلفة : الجسمية والفسيولوجية والحسية والعقلية والانفعالية والعصبية والاجتماعية والحركية والجنسية واللغوية والاخلاقية خلال مراحل نموهم المختلفة بدءا من مرحلة المهد وانتهاء بمرحلة الشيخوخة . ويهتم أيضاً بدراسة التغيرات التي تطرأ على مثل هذه الخصائص من مرحلة عمرية إلى أخرى والعوامل المؤثرة في ذلك سواء البيئية أو الوراثية . وتحديداً ، فهو يسعى إلى تزويد المربين والتربويين والعاملين في مجال الطب والدراسات النفسية والاجتماعية والتربوية بالمعرفة العلمية حول خصائص الإنسان في كل مرحلة والتغير الذي يطرأ على مثل هذه الخصائص ، والعوامل المؤثرة في النمو وذلك من أجل المساعدة في إحداث النمو السليم .

4- علم النفس الفسيولوجي : يهتم هذا الفرع بدراسة الجهاز العصبي والجهاز الغدي من حيث مكوناتها ووظائفها وعلاقتها بالأنشطة النفسية المتعددة . وتحديداً فهو يدرس أجزاء الجهاز العصبي كالدماغ والنخاع الشوكي والجهاز العصبي الودي والطرفي بالإضافة إلى آلية عمل الغدد وافرازاتها والعمليات الفسيولوجية التي تحدث داخل الإنسان في محاولة منه لفهم علاقتها بعمليات نفسية مثل : الانفعالات والتفكير والتذكر والاحساس والنسيان والتعلم والانتباه والاضطرابات النفسية التي تحدث لدى الإنسان .

5- علم نفس الشواذ : يدرس هذا الفرع الأمراض العقلية والنفسية والاضطرابات السلوكية والانفعالية التي تحدث لدى الأفراد والتي تجعل منهم غير أسوياء أو عاديين . فهو

يحاول دراسة أسباب مثل هذه الحالات والعوامل المؤثرة فيها وما يترتب عنها من سلوكات منحرفة مثل : الإدمان والإجرام والانحراف الجنسي والعدوان وغيرها . وبالتالي ، فهو يسعى إلى العمل على وضع البرامج والأسس الفعالة لعلاج مثل هذه الأمراض والاضطرابات لتخليص المجتمع من آثارها السلبية .

ثانياً : مجموعة الفروع التطبيقية :

تعنى مثل هذه الفروع في استخدام المعرفة النفسية في مواقف عملية تطبيقية : فهي تعمل على توظيف النظريات والمبادئ والمفاهيم المشتقة من فروع علم النفس الأساسية في المواقف الحياتية وفي كافة المجالات : التربوية والصناعية والعسكرية والتنظيمية والإرشادية والعلاجية وإلى غير ذلك . وتشمل هذه المجموعة عدداً كبيراً من الفروع يتمثل بعضها بالآتي :

1- **علم النفس التربوي** : ويعنى هذا الفرع في توظيف المعرفة النفسية في المواقف التربوية : التعلمية التعليمية . فهو يهدف إلى تحسين مستوى العملية التربوية لدى المتعلمين ورفع كفاءتهم على التعلم والأداء .

وبذلك فهو يتعرض إلى مواضيع مثل : التعلم والتعليم والتفكير والانتباه والذكاء والذاكرة والإدراك والدافعية وبرامج التدريب ومصادر التعلم وتكنولوجيا التعليم وإعداد المناهج والمعلمين وأساليب القياس والتقويم النفسي والتربوي ، بالإضافة إلى التعرف إلى المشكلات التربوية والنفسية المختلفة والعمل على علاجها والتخلص منها من خلال إعداد البرامج العلاجية المناسبة .

2- **علم النفس الصناعي** : ويعنى هذا الفرع في توظيف المبادئ النفسية في مسائل تتعلق بانتقاء العاملين وتوزيعهم على المهن المختلفة والاهتمام بتدريبهم لزيادة كفاءتهم الإنتاجية . كما ويهتم بتشخيص المشكلات المختلفة المرتبطة بالعمل ، والبحث عن الأساليب المناسبة لحلها مع الاهتمام بالعلاقات الرأسية والأفقية بين العاملين وسبل تطويرها بما يعود بالنفع عليهم وعلى نوعية الإنتاج وجودته . ويتعرض هذا الفرع إلى مواضيع هامة أيضاً لها ارتباط وثيق بالعاملين ومسائل الانتاج وتشمل : التوجيه والاختيار المهني ، والتدريب الصناعي ، والهندسة البشرية ، وحوادث العمل ، والمكافآت والحوافز ، والمنافسة الصناعية ، ومسائل التخزين والتسويق للمنتجات ، ونوعية المنتجات وحاجات المستهلك ، والمشكلات التي تخلقها الصناعة مثل مشكلات نقص الموارد والتلوث البيئي .

3- **علم النفس العيادي** : يستخدم هذا الفرع المعرفة النفسية في تشخيص وتقويم الاضطرابات النفسية : العصابية والذهانية والأمراض السيكوباثية والسيكوسوماتية والاضطرابات العقلية ومشكلات سوء التوافق ومشاكل الإدمان ومشاكل الانتحار والعدوان والجنوح والاضطرابات السلوكية والانفعالية ومسائل التخلف العقلي للعمل على وضع البرامج المناسبة لعلاجها والتخلص منها .

4- **علم النفس الإرشادي** : يسعى هذا الفرع إلى الاستفادة من المعرفة النفسية في وضع البرامج الارشادية المتعددة وتشمل : برامج التوجيه والإرشاد النفسي والتربوي ، والمهني والأسري . وتحديداً فهو يسعى إلى مساعدة الأفراد على التعرف على المشكلات التي تواجههم وكيفية التعامل مع هذه المشكلات لمساعدتهم على التكيف وتحقيق النمو السليم .

5- **علم النفس القضائي أو الجنائي** : يوظف هذا الفرع المعرفة والمبادئ النفسية للتعرف على الدوافع الشعورية واللاشعورية التي تقف وراء السلوك الجرمي والعدواني لدى المجرمين والمنحرفين والجانحين . كما أنه في الوقت نفسه يعنى بدراسة خصائص أطراف الدعوى الجنائية : القاضي والمدعي والمدعى عليه والشهود والمحامين ومدى تأثر إدعاءاتهم وأحكامهم بما يتوفر من معلومات وحقائق حول السلوك الجنائي .

6- **علوم نفسية أخرى وتشمل** : علم النفس التجاري ، وعلم النفس الرياضي ، وعلم النفس السياسي ، وعلم النفس التنظيمي وغيرها من الفروع الأخرى التي تستخدم المعرفة النفسية لتوجيه وضبط سلوك الأفراد في مثل تلك المجالات ، من أجل رفع كفاءتهم الادائية .

علم النفس العسكري:

يعد هذا الفرع أحد فروع علم النفس التطبيقية ، ويعنى باستخدام المعارف والمبادئ والقوانين النفسية وتوظيفها في المسائل العسكرية في أوقات السلم والحرب على السواء . ويكمن الهدف الأساسي لاستخدام مثل هذه المعارف في تنظيم أعمال القوات المسلحة وتحسين كفاءة الأفراد ورفع مستوى أدائهم في الأعمال العسكرية المتعددة . فالقوات المسلحة تمثل مجتمعاً قائماً بحد ذاته كأي مجتمع تنظيمي آخر ، ويشتمل على مجموعة كبيرة من الأفراد تجمعهم علاقات معينة ويسعون إلى تحقيق أهداف وغايات محددة . ومثل هذا المجتمع له بنية تنظيمية ومشاكل وأهداف خاصة تجعل منه كياناً على درجة عالية من الحساسية ، الأمر الذي يستدعي الحذر والانتباه لجميع المسائل المرتبطة بهذا التنظيم . وتجدر الإشارة هنا ، أن المجتمع العسكري يشتمل على جميع المقومات والمجالات التي تشتمل عليها المجتمعات التنظيمية

الأخرى كالمجتمعات الأمنية والصناعية والتجارية وغيرها . وبالوقت نفسه تقع على عاتق هذا المجتمع أعباء ومسؤوليات حرجة غير متوفرة في المجتمعات الأخرى . وتتمثل في الحفاظ على أمن وسلامة المجتمع الكبير في أوقات الحرب والسلم والمساهمة في أعمال الانقاذ في حالات الكوارث والطوارئ الطبيعية . وهذا بطبيعة الحال يعني ضرورة ايلاء المجتمع العسكري عناية فائقة للحفاظ على تماسكه واستمرار بقاءه وتطوره حتى يستطيع القيام بالأعمال والأعباء الموكلة إليه .

تاريخ علم النفس العسكري:

قد يعتقد البعض أن توظيف الجوانب النفسية في المجال العسكري حديث العهد ، حيث يرى العديد من الناس أن الاهتمام بالمبادئ والمفاهيم النفسية انتقلت إلى القوات المسلحة كنتيجة لتطور علم النفس العام في بداية القرن العشرين واتساع دائرة استخداماته في الميادين الحياتية الأخرى . ولكن الواقع ليس كذلك ، إذ إن توظيف الجوانب النفسية في الشؤون العسكرية ولا سيما مسائل الحرب ، يعود إلى عصور ما قبل الميلاد .

تشير الوثائق التاريخية أن قدماء الصينيين استخدموا بعض المبادئ النفسية في مجال الحرب النفسية ، كما وقد استغل اليونانيون القدماء الجوانب والخصائص النفسية لإعداد المقاتلين الاشداء . ونجد أن الامبراطورية الرومانية استغلت مصادر القوة خير استغلال لتعزيز معنويات مواطنيها وإنزال الرعب والهلع في قلوب أعدائها .

أما الحضارة الإسلامية ، فقد أبدت اهتماماً بالغاً بالجانب النفسي ، واستغلت الدوافع على أتم وجه لبناء مجتمع وجيش قويين ، ونجد ذلك واضحاً وجلياً في العديد من المواقف والمعارك الإسلامية . فعلى سبيل المثال ، لطالما تم التأكيد على الخير الذي سيصيب المسلمين سواء في الدنيا أو الآخرة وذلك لقاء طاعة الله والالتزام بالقيم الإسلامية . وقد كانت الدعوة إلى المنافسة بين المسلمين تقوم على أساس العلم والتقوى والطاعة وليس الغنى أو النسب ، وهذا بالتالي كان دافعاً لأفراد الأمة الإسلامية في الالتزام والعمل والجهاد . وقد استغل قادة المسلمين أمثال خالد بن الوليد ، وسعد بن أبي وقاص ، وصلاح الدين الأيوبي الجوانب النفسية لرفع معنويات المقاتلين المسلمين بالوقت الذي كانوا فيه أيضاً يسعون إلى إضعاف معنويات العدو ، وإنزال الرعب في قلوبهم وخلق الحيرة لديهم من خلال استغلال مبدأ الايحاء بأن شيئاً خطيراً ما سيتم حدوثه أثناء المعركة .

وتجدر الإشارة هنا ، أن هناك فرقاً بين استخدام بعض المبادئ النفسية في المجالات العسكرية وبين وجود علم خاص بالشؤون العسكرية . ويمكن القول إن علم النفس العسكري ظهر كأحد فروع المعرفة وله أهدافه ومناهجه وأساليبه العلمية الخاصة في بداية القرن العشرين ، وذلك إبان الحرب العالمية الأولى . فقد تنبهت الولايات المتحدة الأمريكية إلى اهمية نتائج الدراسات النفسية حول السلوك الإنساني وامكانية الاستفادة منها في الشؤون العسكرية ، وهذا ما دفع القائمين على السياسة الأمريكية إلى الاستعانة بالكثير من علماء النفس وتشكيل لجان منهم لبحث امكانية توظيف نظريات ومبادئ علم النفس في المجال العسكري (فرج وعطيه ، 1987) .

لقد تركز عمل اللجان في الأنشطة التالية :

أولاً : وضع اختبارات لقياس الذكاء والقدرات العقلية بهدف انتقاء الجنود والضباط والطيارين والملاحين وتوزيعهم على المهمات والقطاعات العسكرية المختلفة . فقد تم وضع اختبار للذكاء يعرف باختبار الفا (The Army Alpha) واستخدم مثل هذا الاختبار للأفراد الذين يجيدون القراءة والكتابة ، وهناك اختبار آخر يعرف باسم اختبار بيتا (Army Beta) ويصلح مثل هذا الاختبار للأفراد الذين لا يجيدون القراءة والكتابة .

ثانياً : دراسة سيكولوجية الحواس ولا سيما السمع والبصر وتزويد القوات المسلحة بالمبادئ والأسس التي من شأنها أن تساعد في استغلال مثل هذه الحواس في الحرب على أتم وجه .

ثالثاً : الاهتمام ببرامج التدريب العسكري إعداداً وتنفيذاً وذلك من خلال توظيف مبادئ التعلم المتعددة في ذلك .

رابعاً : الاهتمام بمسائل الحرب النفسية من حيث كيفية تصميم الدعايات والاشاعات وترويجها على نحو فاعل للتأثير في معنويات الأعداء ، وكذلك الاهتمام بكيفية التصدي للاشاعات المعاكسة التي يروجها العدو ، وتحديداً فقد تركز الاهتمام على أساليب الحرب النفسية دفاعاً وهجوماً .

بعد توقف الحرب العالمية الأولى ، خبأ الاهتمام لدى الأمريكان في إجراء المزيد من الابحاث والدراسات النفسية في المجال العسكري في الوقت الذي فيه ازداد مثل هذا الاهتمام لدى الألمان . فبعد خروج ألمانيا مهزومة من تلك الحرب ، فكر الألمان بأخذ الثأر . لذلك عكفوا على دراسة أسباب الهزيمة والكيفية التي من خلالها يمكن بناء أمة وجيش قويين . وهذا الأمر حدا بهم إلى الاهتمام بنتائج الدراسات النفسية وتوظيفها في المجال العسكري ، حيث تركز جل اهتمامهم بالمسائل التالية (فرج وعطيه ، 1987) :

أولاً : إنشاء وحدات نفسية في جميع قطاعات الجيش الألماني مهمتها إجراء البحوث النفسية وتطبيق نتائجها على أفراد القوات المقاتلة بغية رفع كفاءتهم على القتال والعمل على مساعدتهم على التكيف النفسي مع الظروف المتغيرة .

ثانياً : التعبئة النفسية للشعب والجيش الألماني استعداداً لخوض معارك جديدة . وقد كان الاهتمام منصباً على بناء جبهة داخلية قوية ممثلة بالشعب الألماني ، وأخرى خارجية ممثلة بالجيش الألماني ، ولتحقيق ذلك استغل الألمان الشعارات التي تمجد الشعب الألماني (العرق الآري) والتي تدعو إلى ضرورة اخضاع الشعوب الأخرى لسيطرتهم .

ثالثاً : الاهتمام بسيكولوجية القيادة وعملية اعداد القادة المهرة المدربين على صنوف القتال تحت مختلف الظروف . وقد نجح الألمان في ذلك إلى درجة كبيرة ، حيث يصف ليدل هارت (1948) القادة الألمان على أنهم كانوا مهندسي حرب .

رابعاً : تعزيز الروح المعنوية الهجومية والدفاعية لدى أفراد الجيش الألماني من خلال الاهتمام بعمليات التدريب وتوفير الامكانات والمستلزمات العسكرية المناسبة .

خامساً : الاهتمام بسيكولوجية الحرب النفسية من حيث كيفية ترويج الدعايات والاشاعات الهدامة في صفوف الأعداء ، مع الاهتمام بأساليب التصدي للدعايات المعاكسة ومقاومتها .

سادساً : تحليل أعمال الجيش المختلفة وتطبيق الاختبارات العقلية والنفسية لانتقاء الأفراد والضباط وتوزيعهم على هذه الأعمال بما يتناسب مع خصائصهم وامكانياتهم الشخصية . فقد كان الهدف اعداد جيش قوي يتمتع أفراده بالشجاعة والقوة والصرامة والمثابرة والتكيف النفسي والاخلاص للأمة الألمانية والحزب النازي ، الأمر الذي حدى بالساسة الألمان إلى إيلاء الجوانب الشخصية للمقاتل كل الاهتمام والجدية .

سابعاً : دراسة الآثار النفسية المترتبة على الحرب وما ينتج عنها من اضطرابات نفسية سلوكية مثل : الصدمات النفسية وحالات الانتحار والجُبن ومشاكل الجيش والشذوذ .

لقد استطاع الألمان من بناء جيش مدرب وقوي قادر على القتال وتحقيق الانتصارات ، حيث استطاع هذا الجيش من اكتساح مناطق عديدة من هذا العالم في زمن قياسي . ويرى العديد من المحللين العسكريين أن هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية تعود إلى سياسة هتلر الهوجاء وسوء تقديره لأولوية تحقيق الأهداف الاستراتيجية . فلطالما تدخل هتلر في سير المعارك وتحركات القوات المسلحة متجاهلاً نصائح المستشارين العسكريين وكبار القادة ولا سيما المتواجدين في ميادين المعارك ؛ وهذا ما أدى بالتالي إلى هزيمة القوات الألمانية في العديد من الجهات وانخفاض الروح المعنوية لدى المقاتلين .

أثناء الحرب العالمية الثانية عاد الاهتمام بموضوع علم النفس في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية . ففي أمريكا تم تجنيد المئات من علماء النفس أمثال سكنر وجانيه وبلوم وغيرهم من العلماء لإجراء البحوث النفسية المتصلة بأعمال الجيش ، وقد دأب هؤلاء العلماء إلى استغلال أحدث ما تم التوصل إليه من نتائج في مجال الدراسات النفسية ، وتوظيفها في المجالات المختلفة للقوات المسلحة ، و قد تمثلت بالآتي :

أولاً : تحليل أعمال ووظائف الجيش على نحو دقيق وتوظيف الاختبارات النفسية المتعددة من أجل اختيار الأفراد والضباط ، وتصنيفهم وتوزيعهم على الأعمال المختلفة .

ثانياً : تطوير وتحسين اختبارات الذكاء والقدرات العقلية والسمات الشخصية والاستعدادات والتوسع في تطبيقها على جميع قطاعات القوات المسلحة .

ثالثاً : تحسين نوعية برامج التدريب العسكري من خلال توظيف أحدث ما تم التوصل إليه من مبادئ التعلم السلوكية والمعرفية .

رابعاً : إجراء المزيد من البحوث المتعلقة بسيكولوجية الإحساس والانتباه والإدراك واستغلال المعرفة المتعلقة بالاحساس والإدراك في العمليات الحربية مثل : تموية المهمات والآليات العسكرية ، وتضليل العدو ، والتشويش على اتصالات العدو وفي عمليات تمييز الأهداف ، وتحديد أوقات الهجوم المناسبة حسب الوقت من النهار ، والمسير الليلي ، واستراتيجيات التنصت وتمييز الأصوات أثناء الصخب والقصف .

خامساً : الاهتمام بسيكولوجية الدعاية والحرب النفسية والعمل على تقوية الروح المعنوية للمقاتلين .

سادساً : ارشاد وعلاج المصابين بالصدمات النفسية وحالات الاضطراب النفسي مثل الهستيريا وعصاب الحرب والقلق والاكتئاب الناتجة من خوض المعارك وما يترتب عليها من التعرض إلى خطر الموت أو مشاهدة الزملاء الذين يتعرضون إلى القتل أثناء تلك المعارك .

سابعاً : توفير المعلومات الضرورية التي من شأنها أن تساعد في تحسين صناعة الأسلحة والمعدات العسكرية بما يتناسب وخصائص الإنسان .

ثامناً : اعداد البرامج المناسبة لمساعدة العسكريين على التكيف مع الحياة المدنية وذلك بعد انتهاء الحرب ، أو بعد تقاعدهم من الخدمة .

تاسعاً : إعداد الاختبارات الشخصية لتحديد اتجاهات وميول واهتمامات المقاتلين للاستفادة منها في المهمات العسكرية وتوجيهها على نحو يساعد في تحقيق الأهداف العامة للقوات المسلحة .

عاشراً : إعداد قوائم الاستفتاءات العامة للتعرف على آراء الجمهور حول مواقف الحرب والسلم .

ونتيجة للآثار الايجابية التي حققتها المعرفة النفسية في الشؤون العسكرية ولا سيما في أمريكا وبريطانيا ، ازداد الاهتمام بهذه المعرفة من قبل معظم دول العالم ، وأصبحت تدعو إلى ضرورة الاستفادة منها في هذا المجال .

ويلاحظ أنه بعد الحرب العالمية الثانية تمحور اهتمام الدول الكبرى مثل روسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا في استغلال الجانب النفسي في مسائل حرب الأعصاب أو ما يعرف بالحرب الباردة ، حيث أصبحت مثل هذه الدول تستغل الدعاية الإعلامية النفسية للتأثير في الطرف المعادي من خلال التباهي بمدى قوة ونوعية الأسلحة التي تمتلكها ، ولا سيما الأسلحة ذات التدمير الشامل والقنابل والصواريخ الموجهة الكترونياً ، والتي تستطيع اصابة أهدافها على مستوى عالٍ من الدقة ، وتشمل الصواريخ التي تحمل الرؤوس النووية أو البيولوجية (الجرثومية) أو الكيميائية وغيرها من الأسلحة التدميرية الأخرى .

وفي الوقت الحاضر ، يمكن القول إن علم النفس أصبح ركناً أساسياً من أركان القوات المسلحة ، فلا يكاد جيش في هذا العالم يخلو من توظيف المعرفة النفسية المتعلقة بأعمال القوات المسلحة في أوقات الحرب والسلم . ففي الأردن على سبيل المثال ، يوجد ما يسمى بمديرية التوجيه المعنوي والتي تتبع القيادة العامة للقوات المسلحة ، وتعمل على اعداد البرامج الاذاعية والنشرات والمجلات العسكرية بهدف تعريف المقاتلين على أحدث المخترعات العسكرية ، ونتائج الابحاث المتعلقة بالمعارف العسكرية ، كما أنها بالوقت نفسه تعمل على تعزيز الثقة لدى المقاتل الأردني ورفع الروح المعنوية لديه وتعميق انتمائه للوطن وكيفية التصدي إلى الدعايات المغرضة والهدامة .

وعموماً ، يمكن تحديد استخدامات الجيوش الحديثة لعلم النفس العسكري في المجالات التالية :

أولاً : توظيف سيكولوجية الإدراك الحسي لغايات التمويه للمعدات العسكرية وتضليل العدو وعمليات تمييز الأهداف .

ثانياً : التوجيه المهني في المجال العسكري من خلال تصنيف الأفراد وتوزيعهم على قطاعات ومهام الجيش حسب خصائصهم الجسمية والشخصية .

ثالثاً : دراسة القيادة من حيث طبيعتها وأساليبها ومتغيراتها وعواملها ، والكيفية التي من خلالها يمكن إعداد قادة قادرين على القيام بالمهمات العسكرية المتعددة .

رابعاً : أساليب وطرق تعزيز الثقة في نفوس العسكريين ورفع الروح المعنوية لديهم .

خامساً : التعليم والتدريب المهني والعسكري في مختلف المجالات القتالية والإدارية والفنية والرياضية .

سادساً : تنظيم العلاقات الرأسية والأفقية بين قطاعات ودوائر القوات المسلحة المختلفة والعمل على تنظيم وتعزيز العلاقات وفرص التفاعل بين الجنود والضباط ، وبين الجنود أنفسهم .

سابعاً : التعرف على ميول واهتمامات واتجاهات ودوافع أفراد القوات المسلحة ، والعمل على اشباعها وتوجيهها على نحو يساعد في تحقيق الأهداف الرئيسية التي تسعى القوات المسلحة إلى تحقيقها .

ثامناً : إعداد أدوات واختبارات القياس النفسي والعقلي لقياس الذكاء والميول والاستعدادات لدى الأفراد والضباط بهدف الاستفادة من ذلك في تصنيف وتوزيع الأفراد على القطاعات المختلفة للقوات المسلحة .

تاسعاً : التعرف على المشكلات النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها أفراد القوات المسلحة والعمل على وضع البرامج العلاجية المناسبة التي تساهم في التخلص منها .

عاشراً : تصميم الأسلحة والمعدات العسكرية المختلفة بما يتناسب وخصائص الطبيعة الإنسانية ، بحيث تمتاز بامكانية استخدامها وفقاً لأوضاع الجسم المختلفة ، وسهولة الفك والتركيب والصيانة ، وسهولة الحمل بالإضافة إلى رفع مستوى فعاليتها .

حادي عشر : علاج الاضطرابات النفسية والعقلية لدى أفراد القوات المسلحة ولا سيما تلك الناتجة بفعل خبرات الحرب المؤلمة .

ثاني عشر : التهيئة النفسية لأساليب الحرب الالكترونية وأسلحة الدمار الشامل ، وما يترتب عليها من أضرار ومخاطر .

ثالث عشر : الاهتمام ببرامج الترفيهة والتسلية والترويح عن النفس ، وتنمية الهوايات وانشاء النوادي الخاصة بأفراد القوات المسلحة .

رابع عشر : الاهتمام بمسائل الحرب النفسية وسيكولوجية الدعاية والاشاعة ، من حيث كيفية صياغتها ونشرها على نحو يكون مؤثراً في إضعاف معنويات العدو بالوقت الذي يتم فيه إعداد البرامج الخاصة لرفع معنويات أفراد القوات المسلحة والشعب على المقاومة والتصدي للاشاعات المعاكسة .

خامس عشر : الاهتمام بجوانب العمل الاستخباراتي إعداداً وتنظيماً وتنفيذاً من خلال إفراز الكوادر المدربة .

ملامح المجتمع العسكري:

لكي تتضح الصورة لنا حول امكانية تطبيق مبادئ علم النفس في الشؤون العسكرية لا بد من التعرض إلى أهم الملامح والخصائص التي تمتاز بها القوات المسلحة ، والتي يمكن ابرازها على النحو الآتي :

1- يعد المجتمع العسكري من أكثر التجمعات عدداً في أي مجتمع من المجتمعات . فالقوات المسلحة تأتي بالعدد بعد جماهير الطلاب ، وهي تشكل بناء معقداً من العلاقات المتداخلة والمتشابكة .

2- يشكل المجتمع العسكري حقلاً للنزاع والصراعات بسبب طبيعة هذا المجتمع والاهداف التي يسعى إلى تحقيقها . وترتبط مثل هذه النزاعات بطبيعة المهمات القتالية والدفاعية ، أو الحاجة إلى الأمن والاستقرار ، أو بسبب كثرة الضغوط والتحديات .

3- يخضع المجتمع العسكري مباشرة لسيطرة الدولة أو الحكومة ، فالقوات المسلحة تقع تحت تعهد الدولة من حيث تخطيط أهدافها الاستراتيجية والتكتيكية واختيار واعداد القادة ، وتلبية الاحتياجات الضرورية للأفراد مثل الغذاء والسكن والملبس والنقود والتعليم والتدريب والرعاية الصحية ، بالاضافة إلى توفير الامكانات والوسائل المادية الحربية والمدنية .

4- عراقة التقاليد والاعراف العسكرية التي تشكلت وترسخت مع الزمن وهذا ما يجعل من القوات المسلحة في حالة من الجمود الشديد وعدم القابلية للتغيير .

5- يعد المجتمع العسكري بالمفهوم الاقتصادي قطاعاً غير منتج ، وهذا بالتالي يضعنا أمام موقف غير منطقي يتمثل في أن عمل القوات المسلحة يتناقص بقدر ما تكون طاقتها الذاتية أقوى ، فإذا كان بالامكان تحديد مستوى التدريب والمهارة التي حققته القطاعات العسكرية ، فإن من الصعب تحديد سلوكها أو موقفها في المعارك المحتملة الحدوث مستقبلاً .

تنظيم القوات المسلحة:

هناك تشابه إلى حد كبير بين مختلف المجتمعات العسكرية في هذا العالم من حيث بنيتها التنظيمية والاهداف التي وجدت من أجلها . وعموماً ، يمكن النظر إلى القوات المسلحة على أنها بنية تنظيمية معقدة تخضع مباشرة إلى الحكومة أو الدولة . وتعمل هذه الحكومة على تحديد السياسة العسكرية التي ينبغي على القوات المسلحة الإلتزام بها .

ويرتبط بالحكومة القيادة العليا للقوات المسلحة ممثلة بقيادة العمليات الاستراتيجية والتكتيكية واللوجستيكية ، وتشمل مثل هذه القيادات انساقاً قيادية هي (شانديسي ، 1984) :

1- قيادة القطاعات المقاتلة .

2- القيادة التقنية .

3- القيادة الاقليمية .

ويوجد بالاضافة إلى ذلك مراقبون ومفتشون عسكريون تكمن مهمتهم بالتفتيش الدروري أو المفاجئ على مسائل ترتبط بالتدريب القتالي والشؤون الإدارية والجاهزية التقنية ، ومثل هؤلاء المراقبين يرتبطون مباشرة بوزير الدفاع .

وتقسم القوات المسلحة إلى القوات النوعية التالية :

أ- القوات البرية (الجيش) .

ب- القوات البحرية (الاسطول) .

ج- القوات الجوية (الطيران) .

ولكل من هذه القوات النوعية قيادة مستقلة تتبع القيادة العليا ، ولكن هناك نوعاً من التنسيق يجري بين هذه القيادات لتنفيذ المهمات العسكرية .

تنقسم هذه القوات النوعية الى قيادات وهيئات عسكرية أخرى تشتمل :

- قيادات وهيئات أركان .
- قطاعات مقاتلة .
- مصالح .
- مؤسسات .

فعلى سبيل المثال تضم القوات البرية قطاعات وصنوف مثل : المشاة ، المدرعات ، المدفعية ، الصواريخ ، الهندسة والكيمياء والقوات الخاصة ، في حين تشتمل القوات الجوية وحدات المقاتلات الاعتراضية والقاذفات المقاتلة ، وطائرات النقل وطائرات الاستطلاع والرادارات وغيرها ، أما القوات البحرية فتشتمل حاملات الطائرات والغواصات والطرادات والمدمرات والطيران البحري والمشاة البحرية والسفن البرمائية والزوارق الدورية وسقف الدعم اللوجستيكي .

ويلاحظ أن هذه القوات تتفرع إلى فرق وألوية وكتائب وسرايا وفصائل ووحدات وكل منها يخضع إلى نمط قيادي معين . وبسبب هذه التعددية وتعقد العلاقات التنظيمية الافقية والرأسية في هذا التنظيم ، والخصوصيات والتحديات التي تواجهه ، فإن المسائل المطروحة أمام علم النفس متعددة وكثيرة ، ولذلك يجب على عالم النفس أن يكون واسع الاطلاع والمعرفة من حيث طبيعة هذا التنظيم والعلاقات القائمة ، لذلك فإن حجم المهمات التي يضطلع بها كبير وذلك كي يتسنى له تطبيق المبادئ النفسية على نحو فاعل في القوات المسلحة فيه .

2

الفصل الثاني

القيادة وأساليب تنميتها

مقدمة:

القيادة ظاهرة نفسية -اجتماعية بالغة التعقيد من حيث طبيعتها وتعدد متغيراتها وأساليبها وأهدافها . فهي تحظى باهتمام الباحثين والدارسين في العديد من التخصصات المعرفية ولا سيما العلوم الإنسانية منها : كعلم الاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم السياسة ، وعلوم الإدارة والاقتصاد . ويعود سبب الاهتمام بهذه الظاهرة للحاجة الماسة لممارستها في المواقف الحياتية المختلفة . فالإنسان كائن اجتماعي بطبيعته يعيش في تنظيمات أو جماعات لها أنظمتها وأهدافها الخاصة ، ومثل هذه الجماعات تتطلب نوعاً من الإشراف والتوجيه والضبط والسيطرة ، الأمر الذي يستلزم وجود شخص ما يتمتع بخصائص معينة لترأس الجماعة من أجل توجيه جهود أفرادها نحو الأهداف التي تطمع إلى تحقيقها .

ومن هنا ، نجد أن مفهوم القيادة يرتبط بوجود الجماعة . وتعرف الجماعة على أنها تنظيم أو بناء يتألف من عددٍ من الأفراد تجمع بينهم علاقة اجتماعية متبادلة ، وتحكم طبيعة العلاقات بين أفرادها مجموعة قواعد ومعايير لتنظيم أنماط السلوك المختلفة ، بحيث تسعى إلى تحقيق أهداف وغايات معينة .

إن مفهوم القيادة وممارستها ليس حديث العهد ، حيث تشير الوثائق والسجلات التاريخية إلى أن الإنسان منذ القدم مارس الأساليب القيادية في المجتمعات التي كان يعيش فيها كمجتمعات الصيد والزراعة والحرب وغيرها . وقد شهد مفهوم القيادة تطوراً عبر الحقب الزمنية المتتالية وعبّر عنها بمسميات عديدة مثل الزعامة ، والسيادة ، واستخدمت أنعات وأوصاف متعددة للدلالة على الشخص الذي يمارسها مثل زعيم القبيلة ، أو سيد القوم ، أو الحاكم أو الملك إلى غير ذلك من الألفاظ .

لقد نبعت الحاجة إلى القيادة بسبب تعقد طبيعة العلاقات وتعددها بين أفراد الجماعة وزيادة المطالب والحاجات والتحديات والأزمات التي تواجه الجماعة . كما أن تعدد وتعارض الأهداف الشخصية لأفراد الجماعة مع الأهداف العامة للجماعة جعلت من الضروري وجود قائد للجماعة يتمثل دوره في تنظيم العلاقات والأدوار والتوجيه لتحقيق الأهداف التي تعود بالنفع على الأفراد وعلى الجماعة معاً .

وتجدر الإشارة هنا ، أن الحاجة إلى ممارسة الأدوار القيادية كانت تشتد في أوقات الأزمات والصعاب مثل : الأزمات الاقتصادية المتمثلة في نقص الموارد الغذائية ومصادر الرعي والمياه ، أو بسبب حدوث الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين ، والأمراض والفيضانات أو بسبب حدوث الحروب ، حيث كان يلجأ أفراد الجماعة إلى السيد أو الزعيم لأخذ المشورة والرأي أو تلقي الأوامر والتعليمات للقيام بما يتوجب عليهم القيام به لمواجهة مثل تلك المواقف .

وانطلاقاً من أهميتها ، فقد حظيت ظاهرة القيادة باهتمام الفلاسفة والمفكرين القدماء ، وعنيت بها الأمم السابقة وتناولتها بالبحث والدراسة من حيث طبيعتها وأسسها وجوانبها الأخلاقية . فنجد الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس قد تناول بالبحث والدراسة خصائص القائد الجيد ومدى الحاجة إلى وجوده والجوانب الأخلاقية التي يجب أن يتمتع بها القائد بالإضافة إلى دراسة أثر المناخ والاقليم الجغرافي في خصائص الأفراد والقادة . كما بيّن الفيلسوف اليوناني أفلاطون في كتابه المسمى "جمهورية أفلاطون" خصائص المجتمع المدني المثالي ، وطبيعة العلاقات التنظيمية في ذلك المجتمع والخصائص المثالية التي يجب أن يتمتع بها القائد أو الحاكم المدني .

أما الفيلسوف كونفو شيوس فقد درس طبيعة القيادة ، وأسسها ، في حين قدم الفيلسوف الصيني سون تزو وصفاً لطبيعة العلاقة بين القائد والتابعين . وتناول الفيلسوف بلوتارك بالتحليل الدقيق مشكلات العلاقات بين القادة والتابعين من خلال دراسة حياة نبلاء وقادة اليونانيين والرومان القدماء ، بالإضافة لذلك ، فقد درس كل من فابكتيتس وماركوس المسؤوليات والقيم الأخلاقية للقادة بالإضافة إلى المعايير والقواعد الأخلاقية التي يتحتم على مثل هؤلاء القادة (الفرسان) الالتزام بها في ظل الحضارة الرومانية (هيز وتوماس ، 1983) .

لقد شهدت ظاهرة القيادة عناية بالغة في ظل المجتمع الإسلامي وذلك منذ بداية نشوءه ، وانصب الاهتمام في مسائل تتعلق بأسس اختيار القادة والخصائص التي يجب أن يتمتع بها مثل هؤلاء القادة ، والمسؤوليات التي تقع على عاتقهم تجاه أنفسهم والتابعين والمجتمع ، بالإضافة إلى تحديد المعايير والقيم الأخلاقية التي يفترض على القائد الالتزام بها . فلم يكن أساس الاختيار للقائد يرتبط بشرف النسب أو العُمر أو درجة الثراء والغنى ، ولكن بمعايير أخرى أهمها درجة التقوى والحرص على أهداف الأمة ، والخبرة والخصائص الشخصية مثل : درجة الذكاء والفطنة والشجاعة والقوة البدنية . ويلاحظ أن العديد من الفلاسفة المسلمين أمثال الفارابي وابن خلدون وابن رشد وغيرهم قد تناولوا موضوع القيادة بنوع من التفصيل متعرضين إلى أسباب الحاجة لها ، وأخلاقياتها والخصائص والسمات الشخصية التي يجب أن يمتاز بها القائد .

تعريف القيادة The Defention of Leadership:

ليس من السهل إيجاد تعريف واضح ومحدد للقيادة وذلك لاتساع دائرتها وتعدد متغيراتها من جهة أو لاختلاف المواقف والمجالات التي تستخدم فيها ، فالقيادة لا تقتصر على الجوانب العسكرية فحسب ، بل تستخدم في المجالات الأخرى : الاجتماعية والتربوية والصناعية والسياسية والإدارية ، وهذا بالتالي يزيد من صعوبة تعريفها . وعموماً يمكن النظر إلى القيادة على أنها :

أولاً : القيادة : هي فن التأثير في السلوك الإنساني بغية تحقيق مهمات وأهداف مهمة بالأسلوب الذي يرغب فيه القائد .

ثانياً : القيادة : هي مجموعة السلوكات التي يمارسها القائد في الجماعة والتي تعكس أوجه التفاعل في مواقف الممارسة القيادية ، وتهدف إلى حفز الأفراد على تحقيق الأهداف المناطة بالجماعة بأكبر قدر من الفعالية مع الحفاظ على رضى وتماسك أفراد الجماعة .

ثالثاً : القيادة : مجموعة الجهود التي يبذلها القائد للتأثير في الأفراد من أجل حثهم على التعاون لتحقيق الأهداف التي يرغبون بها .

رابعاً : القيادة : هي مجموعة الوسائل والأساليب التي تقوم علي الاقناع والثقة والتعاون ، أو تلك التي تستند إلى السيطرة وممارسة السلطة والحث لدفع مجموع الأفراد على تحقيق أهداف مهمة بأكبر قدر من الفعالية .

طبيعة القيادة Nature of Leadership:

كما هو حال بعض الظواهر الاجتماعية الأخرى مثل ظاهرة التدريس والإدارة هناك ثمة جدل حول طبيعة القيادة . ويدور محور الجدل والتساؤل حول ما إذا كانت القيادة فن أم علم ، أم أنها ظاهرة تجمع بين الفن والعلم ؟ يرى العديد من الباحثين ، أن القيادة هي فن وعلم بالوقت نفسه ، إذ يتمثل الجانب العلمي منها في دراسة وتحليل العديد من الجوانب المرتبطة بها مثل القوانين والقواعد التي تحكم السلوك القيادي ، وأهداف الجماعة ، وخصائص الأفراد من حيث ميولهم واتجاهاتهم وأساليب تفكيرهم وخبراتهم ومشكلاتهم ، والقيم الأخلاقية والإنسانية والجمالية والمثل العليا التي يؤمن بها الاتباع ، وطبيعة الأدوار في الجماعة وأنماط التفاعلات والعلاقات القائمة في الجماعة ، ونوع الثقافة السائدة ، وطبيعة المناخ والعوامل البيئية المحيطة ، ومدى توفر الوسائل والامكانات المادية ، وطبيعة التحديدات والعوائق التي تقف أمام تحقيق الأهداف ، ومثل هذا الجانب يطلق عليه القيادة أو الإدارة العلمية .

أما الجانب الفني للقيادة فيتمثل في الموهبة والإبداع والذكاء والفطنة والحزم وسرعة البديهة وسرعة اتخاذ القرارات والبراعة في الاستفادة من الخبرات السابقة والوعي والحدس والحس الإداري والجاذبية والقدرة على التأثير والتحلي بالقيم والسمات الإنسانية مثل : التعاطف والمرونة الفكرية والشجاعة والحساسية للمشكلات .

العلاقة بين القيادة والإدارة:

هناك بعض المصطلحات التي تتداخل على نطاق واسع في الاستعمال العسكري والمدني ، ومثل هذه المصطلحات هي : الإدارة "Management" والقيادة "Leadership" والآمر "Command". وفي الغالب ، يُعتبر المصطلحان القائد والآمر مترادفين في المجال العسكري ، أما في المجالات الصناعية والإدارية ، فغالباً ما يتم التفريق بين الإدارة والقيادة . وعموماً تستخدم كلمة الآمر "Commandor" في المجال العسكري كبديل لكلمة المدير "Manager" في المجال المدني (هيز وتوماس ، 1983) .

ينظر العديد من الباحثين إلى القيادة على أنها جزء من مهام الإدارة ، وأن العلاقة بينهما هي علاقة الجزء بالكل أو الخاص بالعام . فالإدارة تعنى بعمليات توجيه الجهود الإنسانية والبيئية معاً بغية الوصول إلى نتائج أكثر فعالية في مواقف العمل أو الإنتاج أو أية مواقف أخرى . وبذلك فإن الإدارة تعنى بالجانب الإنساني والجانب البيئي المتمثل بالمسائل التنظيمية والفنية ، في حين نجد أن القيادة تنحصر في عمليات توجيه الأفراد من خلال اتباع أسلوب معين بغية الوصول إلى أهداف محددة ؛ أي الجانب الإنساني . فعلى العكس من المدير ، فإن القائد لا يتهم بالمسائل الفنية والتكنولوجية والمالية ، وإنما ينحصر دوره في توجيه جهود الأفراد . وبذلك يمكن القول إن القيادة هي حالة خاصة من حالات الإدارة بحيث يعتبر كل مدير قائداً في الوقت الذي لا يعتبر فيه القائد مديراً (Saal & Kight, 1988) .

أهمية دراسة القيادة:

يولي المتخصصون في الدراسات النفسية والاجتماعية والإدارية عناية فائقة لموضوع القيادة للاعتبارات التالية :

أولاً : يتوقف نجاح أو فشل أي تنظيم أو جماعة أو مؤسسة على طبيعة القيادة والأساليب القيادية المتبعة فيها .

ثانياً : تعمل القيادة على التأثير في سلوك واتجاهات وجهود الأفراد على نحو فاعل ، الأمر الذي يساعد في تحقيق الأهداف ولا سيما في الأوقات العصيبة .

ثالثاً : حاجة المجتمعات المتزايدة ولا سيما تلك النامية منها إلى القادة الجيدين الذين لديهم القدرة على تنظيم وإدارة الأعمال والمؤسسات والجماعات الرسمية وغير الرسمية والعمل على تطور أدائها لمساعدتها على الارتقاء والتطور والاستمرارية .

رابعاً : التعرف على المشكلات العديدة التي تواجه القادة وتحد من فعاليتهم ولا سيما تلك التي ترتبط ببيئة العمل أو الأنظمة المعمول بها أو المشكلات التي تتعلق بالأفراد أو تلك التي ترتبط بالجوانب الصحية والجسمية والنفسية للقادة ، الأمر الذي يساعد في توليد المعارف والمعلومات الكافية عن هذه المشاكل وأساليب معالجتها .

خامساً : للمساهمة في توليد المعرفة النظامية حول القيادة ووسائل تطويرها وأساليبها الفعالة للاستفادة منها في إعداد وتدريب القادة في مختلف القطاعات .

السمات والخصائص القيادية:

كما أسلفنا سابقاً ، إن العديد من المفكرين والفلاسفة والباحثين اهتموا بموضوع القيادة من حيث بيان الخصائص التي يجب أن يتمتع بها القائد والمعايير الأخلاقية التي يتحتم عليه الالتزام بها . ففي هذا الصدد ، نجد أن خليفة رسول الله (ﷺ) أبا بكر الصديق قد وضع دستوراً للقيادة يوضح فيه مواصفات وأخلاق القائد الجيد ، والتي تتمثل بالآتي (أسعد والخلفات ، 1981) :

1- القيادة عمل وفعل وليست قولاً .
2- التقوى والعمل الصالح أساس القيادة .
3- الحفاظ على وحدة الجيش وتماسكه .
4- بيان النهج القيادي للتابعين .
5- استخدام الموعظة الحسنة والتوجيه السليم للأفراد .
6- اصلاح النفس قبل الآخرين .
7- المحافظة على الصلوات في أوقاتها .
8- احترام رسل العدو وعدم الإساءة لهم .
9- الحفاظ على السرية والكتمان حول خطط وتحركات الجيش .
10- إنزال الضيف في المكان الذي يرمز للقوة بهدف نقل رسالة للعدو عن قوة الجيش .
11- تولي أمر المفاوضة مع مفاوضين الأعداء .

12- الوعي اليقظة للحفاظ على سلامة الجيش .
13- اللجوء إلى الشورى في مناقشة بعض الخطط العسكرية .
14- التفتيش الدوري على مواقع الحرس .
15- توخي العدل في توزيع المهمات والوظائف على أفراد الجيش .
16- ايقاع العقوبات التي يستحقها المخالفون .
17- التريث والصبر وعدم التسرع في اتخاذ القرارات .
18- تفقد حاجات الجيش والتعرف على مشكلاتهم .
19- عدم التجسس على جنوده .
20- الحفاظ على المستوى الديني والخلقي المطلوب لدى الجنود .
21- عدم التعرض لرجال الدين من الأديان الأخرى ، والحفاظ على ممتلكات الغير .
22- عدم الغدر ونقض العهد .
23- عدم قتل الأطفال والشيوخ والنساء أو التمثيل بالقتلى .
24- عدم استباحة أموال وأعراض الآخرين بغير حق .
25- عدم اتلاف المزارع والأشجار أو هدم المنازل .
26- إشاعة العدل والرحمة وعدم الإسراف في العمليات الحربية .
27- ايصال الحقوق لجميع الأفراد دون أي نقص أو خلل .
28- الاهتمام والتعاطف مع جميع أفراد الجيش والإصغاء إليهم .

يلاحظ من هذا الدستور ، شمولية النظرة الإسلامية لمفهوم القيادة ، فهو يتضمن أسس إعداد واختيار القادة ، ويشتمل أيضاً على السمات النفسية والاجتماعية التي يجب أن يمتاز بها القائد بالإضافة إلى المسؤوليات الفنية والأخلاقية التي تقع على عاتقه .

ويرى الفارابي في كتابه المعروف "آراء أهل المدينة الفاضلة" ضرورة توفر السمات التالية في القائد ، أو من يتولى مركز السيادة والزعامة ، وهذه السمات تتمثل بالآتي (شوقي ،1999) :

1- سلامة أعضاء الجسم المختلفة .
2- توفر قدرات الفهم والحفظ والتصور .
3- الذكاء والفطنة .
4- حسن العبارة والافصاح عما يريد .
5- القابلية والرغبة في التعلم .

6- الصدق والأمانة والاستقامة .

7- الاعتدال في الملذات .

8- الاعتزاز بالنفس والحفاظ على الكرامة .

9- توخي العدل وتجنب الظلم .

10- الاتزان في ممارسة أساليب القيادة .

11- قوة الإرادة والعزيمة .

12- الإقدام والمثابرة .

ينزع الباحثون في العصر الحديث إلى تصنيف السمات التي يجب أن يمتاز بها القائد في عدد من الفئات ، ويرى مثل هؤلاء الباحثين عدم ضرورة توفر جميع هذه السمات في كل موقف من مواقف القيادة ، كما أن هذه السمات قد تختلف من مجال قيادي إلى آخر ، وعموماً ، يمكن تصنيف السمات والصفات التي يجب أن تتوفر لدى القائد على النحو الآتي :

أولاً : مجموعة السمات المزاجية :

وتشتمل هذه الفئة على مجموعة الصفات التالية :

أ- الاتزان الانفعالي :

القائد الجيد هو الذي يستطيع التحكم في انفعالاته وعدم المبالغة في الافصاح والتعبير عنها سواء في مواقف الحزن أو مواقف الفرح . ومثل هذه الخاصية تجعل من القائد موضع احترام الأفراد التابعين له ، حيث توفر بيئة تمتاز باستقرار العلاقات بينه وبينهم وتجنبه بالوقت نفسه من الإصابة بالأمراض النفسجسمية ، وتتضمن مثل هذه السمة أيضاً القدرة على اخفاء مشاعر الخوف والقلق من نتائج أي ظرف طارئ أو غير متوقع من الأفراد التابعين ، وذلك حتى لا يتم اساءة تفسير مثل هذه المشاعر من قبلهم (Wolman, 1975) .

ب- القدرة على التحمل :

ويقصد بها القدرة على تحمل المتاعب والمشقة الناتجة بفعل الضغوط النفسية والجسمية المرتبطة بتنفيذ مهمة في زمن ما . فمن المعروف أن القائد هو بمثابة رمز للجماعة أو الهيئة أو المؤسسة التي يتزعمها . وهذا بالطبع يتطلب منه القدرة على تحمل الصعوبات ومواجهة المشكلات التي تصادفه أثناء تنفيذ المهمات المختلفة والعمل على اظهار كفاءة عالية أمام اتباعة ، وذلك من أجل تحفيزهم وتعزيز الروح المعنوية لديهم .

ج- الحماس والمثابرة :

ويقصد بها القدرة على متابعة تنفيذ المهمات والإصرار على انجاز الأهداف بالرغم من الصعوبات والمشكلات التي تقف في طريق تحقيقها . وهذا بطبيعة الحال يعني الإشراف المتواصل من قبل القائد على أداء اتباعه والمتابعة الشخصية لهم دون كلل أو ملل ، والعمل على إزالة جميع الصعوبات التي تقف في طريق تحقيق أهداف الجماعة ، ويتوقف حماس القائد ومثابرته وإصراره على إيمانه بالأهداف والعمل على مدى الحاجة إلى تحقيق مثل هذه الأهداف (الديري ، 1984) .

ثانياً : مجموع السمات العقلية :

وتشمل هذه الفئة مجموعة قدرات عقلية معرفية تتمثل بالآتي :

أ- القدرة على الابتكار والابداع :

إن اتباع نفس الأساليب القيادية في المواقف المتعددة ربما لا يصلح نظراً لاختلاف ظروف ومتغيرات مثل تلك المواقف ، كما أن استخدام نفس الحلول لعلاج المشاكل المتعددة التي يواجهها القائد أثناء تنفيذ المهمات قد يكون غير موفق . وعليه فالقائد الجيد هو ذلك الذي تتوفر لديه قدرات الخلق والإبداع بحيث يبتكر في أساليبه القيادية وفي أساليب حل المشكلات ما يتناسب مع مختلف المواقف التي يواجهها .

ب- القدرة الاستدلالية :

ويقصد بها القدرة على الاستفادة من معلومات متوفرة ومعروفة بالنسبة للقائد للتوصل إلى معلومات ومعارف جديدة غير معروفة . تشتمل مثل هذه القدرة على عدد من القدرات العقلية الفرعية الأخرى مثل : قدرة التحليل ، والربط ، والمقارنة والتفسير والاستنتاج والتنبؤ . فالقائد الجيد هو الذي يستطيع قراءة النتائج المتوقعة في ضوء المعطيات المتوفرة لديه ، وهذا من شأنه أن يساعده في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب .

ج- الحساسية للمشكلات :

وتتمثل في القدرة على استشفاف المشكلات وتوقع حدوثها قبل وقوعها للعمل على تفاديها إن أمكن ، أو الاستعداد لها واتخاذ الإجراءات الوقائية المناسبة حيالها . وتتطلب مثل هذه القدرة قدرات نوعية أخرى مثل الفطنة والحدس ودقة الملاحظة . فالقائد الجيد لا ينتظر حتى تحدث المشكلات لا بل يتحسس المصادر المتوقعة للمشكلات ويستعد لها قبل وقوعها ، أو أنه يعمل على منع حدوثها مسبقاً .

د- المرونة العقلية والانفتاح الفكري :

يمتاز القائد الجيد بالانفتاح الفكري والقابلية للتغيير في الرأي أو الفكر في ضوء مطالب المواقف التي يواجهها . فالالتزام بنمط فكري واحد أو أسلوب قيادي معين قد لا يكون مناسباً للمواقف المختلفة . وعليه فيفترض بالقائد تغيير أفكاره وتعديل أنماطه السلوكية بما يتناسب ومعطيات المواقف المختلفة . وتتضمن قدرة المرونة العقلية أيضاً القدرة على النظر إلى المشكلات من زوايا متعددة وتجريب حلول مختلفة لمثل هذه المشكلات وعدم الالتزام بمعايير ثابتة اتجاه مختلف المسائل التي يواجهها .

ثالثاً : مجموعة السمات الاجتماعية :

وتتضمن هذه الفئة عدداً من المهارات الاجتماعية تتمثل بالآتي :

أ- تأكيد الذات :

ويقصد بها قدرة التعبير عن الرأي بصرف النظر ما إذا كان منسجماً مع آراء الأطراف الأخرى أم لا . ويتضمن هذا البعد أيضاً جوانب أخرى مثل الافصاح عن المشاعر الذاتية السلبية والايجابية ، ومقاومة الضغوط والرضوخ للمطالب غير المقبولة من الآخرين ، والدفاع عن الحقوق التي تخصه أو تخص اتباعه والحفاظ على المكتسبات التي حققها للجماعة والدفاع عنها (شوقي ، 1999) .

إن مثل هذه السمة لا تعني بالضرورة استبدادية القائد والنزعة إلى التسلط ، ولكنها تعني مرونة القائد ، لأنها تجعل من القائد أكثر حرصاً على أفراد جماعته ، فهي تتيح للقائد فرص التفاعل مع أفراد جماعته والاستماع إلى آرائهم وأفكارهم حيال المواضيع المتعددة . كما أنها بالوقت نفسه تشجع الآخرين على إبداء الرأي واقتراح الحلول وتوجيه النقد للقائد ، الأمر الذي يسهم في تطوير أداء القائد والجماعة .

ب- إدارة المناقشات الجماعية :

القائد الجيد هو ذلك الشخص الذي يمتاز بقدرة فائقة على إدارة المناقشات والتوصل إلى اتخاذ قرارات فعالة تعود بالنفع على الجماعة التي ينتمي لها . وتتضمن هذه القدرة عدداً من المهارات تتمثل بالآتي :

1- تقديم الموضوع على نحو يبدو أنه مشكلة حقيقية بحاجة إلى حل .

2- تقديم معلومات موضوعية حقيقية عن المشكلة .

3- تشجيع أفراد الجماعة على الاشتراك في النقاش دون أي نقد أو تجريح للأفكار التي يقدمونها .

4- التسوية والموازنة بين الأفكار المتطرفة .

5- اشعار أعضاء الجماعة إن التوصل إلى الحل المناسب هو من مسؤوليتهم .

6- توجيه المناقشات والحيلولة دون الخروج عن الهدف الأصلي .

7- اقتراح بعض الحلول ومناقشتها ومقارنتها معاً والبت بالحل النهائي المناسب .

ج- التفاعل الاجتماعي :

ويقصد به مهارة توليد فرص التفاعل مع التابعين وتكوين علاقات إنسانية معهم . فالقائد الجيد هو الذي يستطيع تحديد متى تبدأ مثل هذه العلاقات ومتى تتوقف وما هي طبيعتها وحدودها . إن تكوين العلاقات الإنسانية مع التابعين من شأنها أن تشعرهم بأهميتهم وتعزز مفهوم الذات لديهم ، كما أنها بالوقت نفسه تجعل من القائد أكثر قرباً من أفراد الجماعة وأكثر قبولاً لديهم ، مما يسهم بالتالي في استثمار جهودهم إلى أقصى حد لتحقيق الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القائد الجيد يجب أن يكون واعياً لحدود وطبيعة هذه العلاقات بحيث يعمل على انتهائها أو تعديلها عندما يشعر أنها تشكل عبئاً على كاهله ، أو أنها تُستغل من قبل الآخرين من أجل تحقيق غايات شخصية ، أو أنها تتعارض مع الأهداف العامة للجماعة .

تتضمن هذه المهارة أيضاً التأكيد أن الجميع يتبعونه وأنهم يعملون معه وليس من أجله ، وهذا يعني ضرورة أن يتعامل القائد مع التابعين كصديق لهم ، وأن يشعر معهم وبمشاكلهم بالوقت الذي يؤكد فيه على الأهداف العامة .

د- القدرة على الإقناع :

يجب أن يمتاز القائد الجيد بالقدرة على الاقناع والتأثير بالأفراد على نحو يسهم في تحقيق الأهداف المنشودة . وتتطلب مثل هذه القدرة عدداً من المهارات تشمل : طلاقة التعبير اللغوي ، ومهارة استخدام المهارات غير اللفظية مثل الايماءات والتعابير الوجهية لتوضيح المعنى ونقله إلى التابعين . وتحديداً تتطلب هذه القدرة استخدام جميع الوسائل اللفظية وغير اللفظية ، والأمثلة المادية المحسوسة والتفاصيل المحددة القليلة لنقل الرسائل إلى المعنيين بها .

بالإضافة إلى السمات السابقة ، يضيف البعض صفات أخرى للقائد الجيد ، والتي تتمثل بالآتي :

1- سلامة الإيمان والاعتقاد .

2- القدرة الجسمية والجاذبية .

3- الحكمة في إصدار الأوامر والقرارات .

4- التريث في اتخاذ القرارات .

5- المشاركة الوجدانية مع التابعين .

6- الحساسية لمشاعر الآخرين .

7- العدل والأمانة .

8- الشجاعة الجسدية والأدبية .

9- المبادرة .

10- الايثار .

11- الروح المعنوية العالية .

طرق الوصول إلى القيادة :

هناك عدد من الطرق يمكن من خلالها الوصول إلى مراكز القيادة ، وتتمثل هذه الطرق بالآتي :

أولاً : وجود بعض الصفات الشخصية لدى الأفراد مثل الذكاء والفطنة والقدرة على التأثير والإقناع والميل إلى السيطرة والمغامرة والجاذبية الشخصية في الوقت التي تكون فيه الظروف البيئية مهيّأة وتسمح لمثل هؤلاء الأفراد في تزعّم أو سيادة الجماعة ، ويستمد هنا القائد قوته من خصائصه الشخصية وقدراته على التأثير .

ثانياً : عن طريق التعيين ، حيث يتم اختيار فرد ما بمواصفات أو مؤهلات معينة من قبل سلطة عليا ليتولى هذا الشخص منصباً قيادياً ، وهذا ما يحدث في المؤسسات الحكومية المتعددة وفي وحدات القوات المسلحة أو المؤسسات الإدارية والتجارية . ويستمد القائد قوته في هذا النوع من السلطة المفوضة إليه ، وتكون العلاقات القائمة بين القائد والمرؤوسين بهذا النوع من القيادة أكثر تنظيماً وأكثر رسمية .

ثالثاً : عن طريق الاختيار حيث يصل الفرد إلى المركز القيادي من خلال الترشيح للمنصب ليتم اختياره من قبل أفراد الجماعة . وفي الظروف الطبيعية التي لا يكون فيها أي تأثير على الأفراد ، غالباً ما يتم اختيار الأفراد الذين يمتازون بخصائص ومؤهلات معينة تؤهلهم لهذا المركز . وهذا ما يحدث في الانتخابات الديمقراطية كاختيار رؤساء الجمهوريات أو رؤساء المجالس ، أو أعضاء مجلس الأمة والنواب أو انتخاب رؤساء الفرق الرياضية وأعضاء النقابات المهنية .

رابعاً : عن طريق فرض السيطرة والابتزاز . ويحدث هذا النوع عندما يستخدم بعض الأفراد نفوذهم المستمد من قوة العشيرة أو النفوذ المالي أو أية مصادر قوة أخرى للتأثير بالأفراد لاختيارهم قادة لمركز ما . وقد يأخذ التأثير أشكالاً متعددة كالإغراء أو الرشوة أو التهديد أو التزوير أو التضليل . ويلاحظ أن بعض رؤساء الدول الديكتاتوريين يستخدمون مثل هذه الأساليب باستخدام ما يعرف باستفتاءات الرأي العامة .

أصناف القيادة:

يوجد عدد من المعايير التي يمكن على أساسها تصنيف القيادة ، ومثل هذه المعايير لا تصلح مع كافة أنواع التنظيمات والمجموعات أو الأهداف المنشودة ، وعموماً يمكن تصنيف القادة حسب الأبعاد التالية :-

1- حسب طبيعة التنظيم أو الجماعة ، أو الأسلوب الذي من خلاله يحقق الفرد المركز القيادي :

يوجد نوعان من التنظيمات أو الجماعات : الرسمية وغير الرسمية . ففي الجماعات غير الرسمية ربما يظهر القائد على نحو تلقائي من بين أفراد الجماعة ويفرض على الآخرين الاعتراف بمركزه ، وغالباً ما يمتاز هذا القائد أو الشخص بمميزات جسمية وشخصية تؤهله لمثل هذا الدور كالقوة الجسدية والمهارة في أداء الأعمال ، واللياقة البدنية ، واللباقة ، والقدرة على الاقناع والتأثير ، والذكاء ، وقوة الشخصية ، والحزم ، والرعاية والاهتمام .

فعلى سبيل المثال ، قد يقرر عدد من الأفراد القيام برحلة ما ، عندها ربما يظهر أحد الأفراد مستخدماً براعته الشخصية في تحديد زمان ومكان الرحلة ومسارها والأدوار الخاصة بكل فرد ، ومثل هذا الشخص يصبح القائد المرجع بحيث يرجع إليه أفراد الجماعة لإرشادهم وتوجيههم أثناء الرحلة .

وقد يظهر القائد في الجماعات غير الرسمية معتمداً على قوة نفوذه المستمدة من الجاه أو النفوذ المالي كما هو الحال في زعيم القوم أو شيخ العشيرة . وفي الغالب ، يصل الفرد إلى هذا المركز من خلال العامل الوراثي . وفي بعض الحالات يظهر القائد في الجماعات غير الرسمية على نحو مفاجئ ولا سيما عندما تواجه الجماعة مواقف طارئة أو بعض الأزمات ، عندها يظهر بعض الأفراد ليقود هذه الجماعة وتوجيهها ، بحيث تجد الجماعة في مثل هذا الشخص المنقذ والموجّه .

إن الحديث عن الجماعات غير الرسمية والقائد التلقائي تقودنا إلى التعرض إلى مفهوم الشخصية الكرازماتية أو ما يسمى بالشخصية المغناطيسية (الجذّابة) ، حيث إن هذه الشخصية تشبه إلى حد كبير شخصية القائد التلقائي .

ويمتاز الشخص الكرازماتي بقدرة شخصية خفية تجعل الآخرين يمنحونه حق القيادة ، علماً أن هذا الشخص قد لا يكون أكثر أفراد الجماعة قدرة من الناحية الفنية ، ولكن جاذبيته الشخصية تجعل منه الشخص الوحيد الذي تبحث عنه الجماعة لتخضع له .

أما في الجماعات الرسمية فلا تترك الفرصة للصدفة لظهور القادة . فالجماعات الرسمية تخضع إلى قواعد تنظيمية ، تحكمها معايير محددة وتسعى إلى تحقيق أهداف معينة . وبالتالي فإن عملية اختيار القادة تخضع إلى معايير ومواصفات وأنظمة محددة . وعادة ما يتم اختيار قادة الجماعات الرسمية من خلال الانتخاب أو التعيين .

2- حسب الهدف من وجود الجماعة :

حسب هذا التصنيف فإن القيادة قد تكون مؤقتة ، أي ينتهي دور القائد بتحقيق الأهداف الذي وجدت من أجله الجماعة ، وربما تكون بصفة شبه دائمة ، حيث يستمر الشخص في اشغال مركز القائد لفترة طويلة . وعموماً فإن هذا التصنيف يعتمد على طبيعة الجوانب الوظيفية أو النشاط الفكري أوالفني أو العملي الذي يضطلع به أفراد الجماعة . ويمكن أن يكون التصنيف حسب الأبعاد التالية :-

أ) **قيادة علمية** : وتوجد في جماعات التخصصات العلمية مثل ترأس فريق طبي أو لجنة بحث علمي .

ب) **قيادة إدارية** : وتوجد في الجماعات التنفيذية كما هو الحال في المؤسسات التربوية والجامعات والشركات والبنوك .

ج) **قيادة إنتاجية** : وتوجد في جماعات العمال والنقابات المهنية والمصانع .

د) **قيادة رياضية** : وتوجد في النوادي والجماعات والفرق الرياضية .

هـ) قيادة مالية : وتوجد في الشركات المساهمة والمؤسسات المالية .

و) قيادة عسكرية : وتوجد في مختلف قطاعات القوات المسلحة ، وتشمل كافة أنواع القيادات السابقة .

3- حسب مستويات القيادة :

تصنف القيادة حسب عدد من المستويات التي تتألف منها كما هو الحال في القطاع العسكري والصناعي ، ففي مجال الصناعة ، يمكن تصنيف القيادة إلى فئات مثل الإدارة العليا ، والإدارة الوسطى ، والإشراف . أما في القطاع العسكري ، فيمكن تصنيف مستويات القيادة على نحو القائد العام ، الآمر ، ضابط الميدان ، ضابط السرية ، ضابط الصف . . . . الخ .

4- حسب درجة التقارب المكاني من التابعين :

يمكن تصنيف القيادة حسب درجة تقارب القائد الجسدي أو المكاني من التابعين . فبعض أنواع القيادة تتطلب التفاعل المباشر من قبل القائد مع التابعين وعادة ما يكون وجهاً لوجه . وفي مثل هذا النوع ، يكون القائد أكثر قرباً من التابعين وبذلك فهم أكثر تأثراً به وأكثر دراية ومعرفة بقدراته وامكانياته .

ولكن في حال تعقد المستويات التنظيمية للجماعات أو المؤسسة ، يصبح أحياناً من الصعب التفاعل المباشر وجهاً لوجه مع التابعين ، وعندها يكون التابعين أقل دراية ومعرفة بخصائص القائد مما يؤثر في درجة تأثرهم به .

5- حسب طريقة التأثير أو الأسلوب القيادي المتبع :

يعد هذا التصنيف من أكثر التصنيفات استخداماً لأنه يعكس الممارسات الحقيقية المتبعة في الأسلوب القيادي ، لدرجة أن التصنيفات السابقة للقيادة يمكن تقييمها وفقاً لهذا البعد .

فوفقاً لهذا التصنيف ، يمكن تقسيم الأساليب القيادية إلى ثلاثة أنماط على النحو التالي :

أولاً : القيادة الديمقراطية Democratic Leadership :

تستند مثل هذه القيادة إلى مبادئ الشورى والاقناع في التأثير على الأفراد ، بحيث يتم اللجوء إلى استمالتهم من خلال الترويج لفكرة ما واقناعهم أن ما سيتم عمله هو بالمحصلة النهائية لمصلحتهم . ففي ظل هذا النمط القيادي لا يتم الزام التابعين بالأوامر أو القرارات إلاّ بعد مناقشتها مع أفراد الجماعة . وهنا لا يتم احتكار السلطة واللجوء إلى الترهيب

والتخويف ، لا بل على العكس من ذلك ، فقد يلجأ القائد إلى الأسلوب الأبوي القائم على الترغيب والتقبل والرعاية . ويمتاز هذا النمط القيادي بعدد من الخصائص تتمثل بالآتي :

1- الشورى والاقناع والترغيب والقبول .
2- تركّز السلطة بيد الجماعة .
3- قبول القائد والاقتناع به من قبل الجماعة .
4- يتم اتخاذ القرارات بمشاركة الجماعة .
5- شعور كل فرد بأهميته في الجماعة .
6- تشجع حرية التعبير عن الرأي وتعمل على تفجير الطاقات والمواهب .
7- تعمل على تحقيق الأهداف المنشودة بأقل جهد .
8- تشعر الأفراد بأن تحقيق الأهداف العامة من شأنه أن يساعدهم في تحقيق أهدافهم الخاصة .
9- المرونة في اتخاذ القرارات وإعادة صياغتها وتعديلها .
10- تعمل على تقوية العلاقات بين القائد والتابعين وبين التابعين أنفسهم .
11- تعمل على إزالة أو التخفيف من حدة الصراعات بين الوحدات أو الأقسام .
12- تزيد من ولاء الأفراد إلى الجماعة والحرص على بقائها واستمرارها .
13- ارتفاع مستوى الروح المعنوية لدى الأفراد والدافعية للعمل والإنتاج .

ويجدر القول هنا ، أنه بالرغم من خصوصية القيادة العسكرية والتي تتطلب من القائد في بعض المواقف الحزم في اتخاذ وتنفيذ بعض القرارات ، إلا أن هذا لا يمنع اللجوء إلى الأسلوب الديمقراطي في مناقشة العديد من المسائل العسكرية ، مثل مناقشة نقاط الضعف والقوة في بعض القرارات أو الحلول ، ومناقشة الجوانب الفنية المتعلقة بالعديد من المواقف العسكرية .

تشير المصادر التاريخية إلى أن العديد من القادة العسكريين الناجحين لم يكونوا مستبدين في آرائهم أو محتكرين لسلطة اتخاذ القرار ، لا بل على العكس من ذلك فغالباً ما كانوا يلجأون إلى التابعين لمناقشة القضايا والشؤون العسكرية . فعلى سبيل الذكر لا الحصر ، نجد أن سيدنا محمد (ﷺ) استشار المسلمين في العديد من المواقف ؛ فقد أخذ برأي المسلمين بالخروج إلى بدر لقتال كفار قريش ، كما أنه أخذ بنصيحة الحُباب بن المنذر عندما أشار عليه بجعل آبار المياه خلف ظهر جيش المسلمين في موقعة بدر . ونزل عند رأي المسلمين بالرغم من معرفته بخطئه عندما طلبوا منه الخروج خارج المدينة لقتال قريش في موقعة أحد ، وأخذ أيضاً بمشورة سليمان الفارسي عندما أشار عليه بحفر الخندق حول

المدينة . وهناك العديد من المواقف الأخرى التي كان سيدنا محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدون وغيرهم من قادة المسلمين يستشيرون فيها المسلمين ويناقشونها معهم وذلك تجسيداً لقوله تعالى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (سورة الشورى ، آية 38) .

ثانياً : القيادة الدكتاتورية Dectatorate Leadership :

تعتمد هذه القيادة على أساليب تقوم على الاستبداد والقهر والتسلط ، إذ غالباً يلجأ القائد في هذه الأساليب إلى ترهيب التابعين من خلال التهديد بالحاق الضرر بهم ممثلاً ذلك في الغرامات أو الخسائر المادية أو الحرمان من بعض الامتيازات . كما أن القائد ربما يلجأ إلى أسلوب الإغراء ممثلاً ذلك في الاحتيال البارع في اعطاء المكافآت ، وتقديم الوعود ، واستخدام الرشوات المالية ، واللجوء إلى الدعاية والتلاعب والتضليل والتدليس . ففي مثل هذا النمط ، يحتكر القائد سلطة اتخاذ القرارات معتمداً سياسات تقوم على المناورة والاحتواء والتضليل بحيث يشعر التابعون بأنه يعتمد عليهم في اتخاذ القرارات بالوقت الذي يكون فيه قد اتخذ القرارات مقدماً . ويمتاز هذا النمط القيادي بالخصائص التالية :

1- تركّز السلطة بيد القائد .

2- يستمد القائد قوته من خلال السلطة المفوضة إليه وليس من خلال الجماعة .

3- يتخذ القائد جميع القرارات بنفسه متجاهلاً الجماعة .

4- تؤدي بالجماعة إلى الاتكالية والاعتماد على القائد .

5- تجمع كل الاهتمام بشخصية القائد .

6- تهميش دور الجماعة .

7- إضعاف روح التعاون والتماسك بين أفراد الجماعة .

8- ضعف الروح المعنوية والدافعية لدى أفراد الجماعة .

9- بروز الصراعات بين القطاعات المختلفة .

10- تقديم الأهداف الشخصية على المصلحة العامة .

لقد انبثق النمط الدكتاتوري من فلسفة أفلاطون الذي رأى فيها أن القيادة السياسية يجب تفويضها إلى "النخبة" من أفراد المجتمع ، ومثل هذه الفلسفة تبناها العديد من رجال الفكر والسياسة أمثال الكسندر هاملتون الذي دعا إلى مبدأ الرجل القادر وتوماس كارلايل صاحب مذهب "الإنسان العظيم" ، أما ماك غريفور فهو يرى أن القيادة الدكتاتورية قائمة على أساس فلسفة السلوك الإنساني ، إذ يرى أن الإنسان كسول بطبعه ولديه كراهية متأصلة للعمل وتحمل المسؤولية ، ويسعى دائماً وراء تحقيق السلامة قبل كل شيء . ومن هنا تكمن الحاجة

إلى الأساليب التي تقوم على القهر والتهديد أو تلك التي تستند إلى الاغراء والترغيب لحفز الإنسان على العمل (هيز وتوماس ، 1983) .

لقد تبنى العديد من القادة العسكريين هذه الفلسفة ، فنجد على سبيل المثال لا الحصر : نابليون بونابرت ، وجورج س ، وباتون ، ويوليسيس جرانت ، وهتلر وغيرهم حيث كانوا قادة مركزيين متطرفين ، اتجهوا نحو مركزية السلطة واتباع الأساليب الدكتاتورية في اتخاذ القرارات . ففي هذا الصدد ، يرى المؤرخ العسكري البريطاني ليدل هارت أن أحد الأسباب الرئيسية التي سارعت في هزيمة ألمانيا هو استبداد هتلر في اتخاذ القرارات دون مناقشتها أو الاستماع إلى رأي القادة العسكريين حيالها .

ثالثا : القيادة السائبة أو الفوضوية :

يظهر مثل هذا النمط من القيادة عندما يترك القائد لاتباعه مسؤولية اتخاذ القرارات وتنفيذها دون أي تدخل منه في تقديم النصح أو الارشاد لأفراد الجماعة . ويمتاز القائد بهذا النمط بالتسيب والاهمال والتساهل واللامبالاة وهي ما تعرف باسم "سياسة جعل الحبل على الغارب" ، وهذا من شأنه أن ينعكس على أداء أفراد الجماعة ، من حيث انخفاض مستوى الرضى عن العمل ، وانخفاض مستوى الدافعية والتهرب من المسؤولية وتدني مستوى الإنتاج كماً ونوعاً . وفي هذا النوع من القيادة لا يقوم القائد بأي جهد ملموس لإدارة المناقشات أو تنظيم مجرى العمل ، لا بل يترك الحبل على الغارب ، ومثل هذه القيادة تشجع المزاج الخشن بين الأعضاء وتخلق الشعور بالعداء والكراهية بينهم ، فهي تعرف بقيادة عدم التدخل (مرعي وبلقيس ، 1984) .

العوامل التي تؤثر في اختيار الأسلوب القيادي :

يتأثر الأسلوب القيادي للقائد بجملة من العوامل منها ما يتصل به شخصياً ، والبعض الآخر يتعلق بالتابعين ، في حين بعضها الآخر يرتبط بالمواقف البيئية المحيطة . وفيما يلي عرض لهذه العوامل :

أولاً : العوامل التي تخص القائد وتشمل :

أ- **درجة ثقته بنفسه وبالآخرين** : إن توفر الثقة لدى القائد بالآخرين وقدرتهم على تحمل المسؤولية ربما تدفعه إلى اللجوء إلى الأسلوب الديمقراطي في القيادة ، في حين أن انخفاض ثقة القائد بالآخرين والتشكك حول قدرتهم على تحمل المسؤولية من شأنه أن يعزز النمط التسلطي .

ب- **طبيعة القيم التي يؤمن بها القائد** : إن إيمان القائد بأهمية اشراك التابعين في صنع القرارات واتخاذها من شأنه أن يؤدي به إلى الاستعانة بهؤلاء التابعين في مناقشة وتداول المسائل التي تهم الجماعة ، وهذا بالتالي يؤدي إلى استخدام الأساليب الديمقراطية في إدارة وتوجيه أفراد الجماعة . وعلى النقيض من ذلك فالقائد الذي لا يؤمن بالآخرين غالباً ما يتجاهلهم في عمليات صنع القرارات ويلجأ إلى الأساليب التسلطية في القيادة .

ج- **ميول القائد الفلسفية** : يعتمد الأسلوب القيادي المتبع من قبل القائد على ميول القائد اتجاه النمط القيادي الذي يحقق له الراحة والرضى . فالقائد الذي يميل إلى الفلسفة التسلطية غالباً ما يستخدم النمط الاستبدادي في القيادة ، في حين القائد الذي يهوى المشاركة الجماعية قد يلجأ إلى الأساليب الديمقراطية .

د- **الاتزان الوجداني** : فالقائد الذي يتسم بخصال وجدانية ومزاجية ثابتة غالباً ما يستقر على اتباع أسلوب قيادي معين ، في حين نجد أن القائد الذي لا يمتاز بالاستقرار الوجداني أو المزاجي غالباً ما يمتاز بالتقلب وعدم الاستقرار ، مما يترتب عليه عدم التزامه بأسلوب قيادي ثابت ومحدد .

ثانياً : العوامل التي ترتبط بالتابعين :

تؤثر خصائص التابعين إلى درجة كبيرة في تحديد النمط القيادي الذي يختاره القائد في سياستهم وإدارتهم . فالميل إلى الاستقلالية وتحمل المسؤولية في اتخاذ القرارات لدى التابعين من شأنها أن تدفع القائد إلى الرجوع إليهم لمناقشة القرارات واشراكهم في صنعها . في المقابل ، نجد أن تردد التابعين وتخاذلهم والميل إلى الاعتمادية قد يعزز اللجوء إلى استخدام الأساليب التسلطية . وتلعب أيضاً توقعات التابعين دوراً بارزاً في تحديد النمط القيادي ، حيث يعمل القائد عادة على تعديل أنماطه السلوكية في ضوء توقعات التابعين حول ما يمكن للقائد عمله .

ثالثاً : العوامل المرتبطة بالظروف البيئية :

وترتبط هذه المجموعة بعدد من العوامل تتمثل في بيئة العمل وطبيعة التنظيم القائم في المؤسسة أو الجماعة والمناخ الثقافي السائد فيها . فالقائد لا يستطيع أن ينحرف كثيراً في أسلوبه القيادي عما اعتادت عليه الجماعة من نمط قيادي لأن ذلك يثير الكثير من المتاعب . كما وتؤثر طبيعة الهيكل التنظيمي في الأسلوب القيادي ، من حيث توزيع الأدوار وتقسيم العمل واتخاذ القرارات وتفويض السلطة . ففي التنظيم الرأسي غالباً ما تتركز السلطة بيد

عدد محدد من الأفراد ويسود فيه المركزية ، أما في التنظيم الأفقي فتوجد مستويات أقل ، وهذا بالتالي يتمخض عنه توزيع السلطة على التابعين واستخدام أساليب أكثر ديمقراطية في إدارتهم . بالإضافة إلى ما سبق ، يلعب حجم أو موقع المؤسسة الجغرافي دوراً في تحديد الأسلوب القيادي . فكلما زاد حجم المؤسسة وبُعْد موقعها الجغرافي زادت فرص تفويض السلطة للتابعين والسماح لهم بالمشاركة في اتخاذ القرارات . كما أن العمل لفترة طويلة مع أفراد الجماعة من شأنه أن يعزز بذور الثقة والتعاون والاحترام بين القائد والتابعين ، وهذا من شأنه أن يزيد من احتمالية اعتماد القائد على هؤلاء التابعين في المشاركة في صنع القرارات واقتراح الحلول للمشكلات .

رابعاً : مجموعة عوامل أخرى :

هناك عدد من العوامل الأخرى التي تؤثر في اختيار الأسلوب القيادي منها :

أ- **طبيعة المواقف التي يتعرض لها القائد** : يقل لجوء القائد إلى المشاركة مع التابعين في حالة كون المواقف صعبة جداً وتقع خارج نطاق امكانية هؤلاء التابعين .

ب- **العامل الزمني** : قد يتحتم على القائد أحياناً اتخاذ قرارات عاجلة وحاسمة بسبب وجود بعض الضغوط أو حالات طارئة بحيث لا يسمح الوقت للقائد بالرجوع إلى الجماعة لمشاركتهم في اتخاذ في مثل هذه القرارات . فعلى سبيل المثال ، قد يضطر القائد العسكري إلى اعطاء أمر بالانسحاب المفاجئ أو تغيير مواقع بعض الوحدات العسكرية أثناء المعركة تجنباً لخطر محدق يراه أو سعياً وراء تحقيق بعض الأهداف العسكرية . ففي مثل هذا الموقف ، لا يسمح الوقت بمشاركة الآخرين في مثل هذا القرار ، مما يضطر القائد إلى الانفراد في اتخاذه .

نلاحظ أن خالد بن الوليد عندما تسلم القيادة في معركة مؤتة ، اضطر إلى اتخاذ قرارات سريعة دون استشارة الجيش ، وتمثلت في إعادة تشكيل الوحدات المقاتلة ، والانقضاض المفاجئ على قوات العدو ، ثم فك الاشتباك والانسحاب السريع . وكان يهدف من وراء هذه التكتيكات انقاذ الجيش من خلال ايهام العدو بأنه يسعى إلى جر جيشه إلى منطقة تقتيل وقد كان صائباً في قراره هذا وتمكن من انقاذ الجيش المسلم من خسائر كبيرة (الديري ، 1982) .

ج- **عوامل الثقافة والظروف الاقتصادية والتكنولوجية** : تؤثر مثل هذه العوامل في أسلوب القائد القيادي لأنها تشكل عوامل ضاغطة تدفع إلى استخدام الأسلوب الذي ينسجم مع طبيعة الثقافة ويتمشى مع الظروف الاقتصادية والتطورات التكنولوجية .

مصادر قوة القائد:

تعرف القوة على أنها قدرة أحد الأفراد (أ) للتأثير في سلوك شخص آخر (ب) ، بحيث يعمل بموجب مطالب الشخص (أ) . ويقاس مقدار التأثير بدرجة التغيير أو التعديل التي تطرأ على سلوك الشخص (ب) (العطية ، 2003 ، أبو سريع 1991) . قد يستمد القائد قوته للتأثير في سلوك التابعين من مصادر متعددة تتمثل في شرعية وجوده كقائد ، أو طبيعة السلطة المفوضة إليه ، أو خصائصه الشخصية . وفيما يلي عرض لمثل هذه المصادر :

أ- **قوة الاثابة** : تزداد قوة القائد اعتماداً على مدى قدرته على تعزيز الأفراد واستخدام المكافآت والحوافز . إذ إن إدراك التابعين بامكانية حصولهم على مكافآت أو بعض المكتسبات ، لقاء خضوعهم وامتثالهم لمطالب القائد من شأنه أن يعزز قوة هذا القائد .

ب- **قوة العقاب** : ويمثل قدرة القائد على الحاق الأذى وانزال العقوبة في التابعين سواء بالنقد أو التجريح أو الحسم المادي أو الطرد أو النقل والفصل من العمل . فإذا أدرك التابعون إمكانية ايقاع العقوبة بهم من قبل القائد ، فإنهم في الغالب يميلون إلى عدم مخالفة أو عصيان هذا القائد تجنباً للعقوبة .

ج- **السلطة المفوضة للقائد بموجب المركز الرسمي الذي يشغله** : يستمد القائد أحياناً قوته من الصلاحيات التي تفوض إليه بموجب التعليمات والأنظمة المعمول بها في المؤسسة التي يقودها .

د- **قوة الخبرة** : يمتلك القائد القوة عندما يتوقع أو يدرك الأفراد التابعون له بأنه يتمتع بالدراية والمعرفة والخبرة في المجالات التي تقع ضمن اهتمامات الجماعة أو المؤسسة .

هـ- **الجاذبية الشخصية** : تعد قوة الجاذبية الشخصية للقائد من العوامل التي تزيد في قوته وسيطرته ، إذ إن توفر خصائص جذابة لدى القائد من شأنها أن تزيد الرغبة لدى التابعين في التوحد أو التشبه بهذا القائد والخضوع له .

نظريات القيادة:

القيادة ظاهرة نفسية -اجتماعية على غاية من التعقيد تمتاز بتعدد متغيراتها وأبعادها وأهدافها ، وهذا ما جعل منها ظاهرة إنسانية فريدة دفعت العديد من الفلاسفة والمفكرين والباحثين لدراستها بجوانبها المختلفة . وترتب على ذلك بروز عدد من النظريات في هذا الشأن يمكن إجمالها بالآتي :

أولاً : نظرية السمات

ترى هذه النظرية أن القادة هم قادة بطبيعتهم ، أي أنهم يولدون وهم مهيّؤون فطرياً ليصبحوا قادة نظراً لتميزهم بخصائص وسمات لا توجد عند غيرهم من الأفراد العاديين . وتشمل هذه السمات خصائص الطموح والرغبة بالقيادة والأمانة والثقة بالنفس والذكاء والقدرة على الاقناع والتأثير والطاقة والاستقامة واللياقة البدنية والطول والصحة الجسدية وغيرها من الصفات الأخرى . لقد درس ستوجدين العوامل الشخصية المرتبطة بالقيادة لدى العديد من جماعات الطلاب والجماعات الدينية وجماعات العمال وغيرها من الجماعات الأخرى فوجد أن القادة يتميزون بسمات جسدية واجتماعية وانفعالية وعقلية متعددة تميزهم عن غيرهم (مرعي وبلقيس ، 1984) ، ومن هذه السمات الذكاء وقوة الإرادة والتصميم والصحة البدنية والطموح والاستقلالية والثقة بالنفس والمثابرة والاتزان الانفعالي .

ثانياً : النظريات الموقفية

ترى هذه النظريات أن طبيعة المواقف هي التي تحدد القائد المؤهل لقيادة الجماعة للتعامل مع هذه المواقف . وتقترح أن القائد الذي يصلح في موقف ما ربما لا يصلح لقيادة الجماعة في مواقف أخرى . وترى مثل هذه النظريات أيضاً أن طبيعة الأسلوب القيادي يعتمد إلى درجة كبيرة على نوعية المواقف وطبيعتها ، حيث إن الأسلوب القيادي المستخدم في موقف ما ربما لا يتناسب مع مواقف أخرى . تؤكد هذه النظرية أنه عند اختيار النمط القيادي المناسب يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ثلاثة عوامل رئيسة هي : سمات القائد وقدراته ؛ خصائص التابعين وإمكانياتهم ؛ وأخيراً خصائص المواقف والعوامل المرتبطة بها .

ثالثاً : نظرية المركز الوظيفي

ترى هذه النظرية أن طبيعة المنصب أو الوظيفة التي يشغلها الفرد على أنها المسؤولة عن المركز القيادي الذي يضطلع به . فمدير المدرسة على سبيل المثال ، يعد قائداً للمدرسة بحكم المركز الوظيفي الذي يشغله والذي يؤهله للقيام بدور القائد . كما أن الطبيب في الفريق الطبي هو بمثابة قائد لهذا الفريق بحكم أنه رئيس لهذا الفريق . ومن هذا المنطلق ، فإن هذه النظرية ترى أن المنصب أو المركز الوظيفي هو المسؤول بالدرجة الأولى عن تحديد القائد (فرج وعطيه ، 1987) .

وعليه فإن هذه النظرية تركز على دراسة وتحليل المهام والوظائف التي يفترض من أفراد الجماعة القيام بها من أجل تحقيق أهداف الجماعة ، وتسعى أيضاً إلى تحديد دور القائد في الجوانب التنظيمية ومهماته في مساعدة الأفراد على تحقيق الاهداف (مرعي وبلقيس ، 1984) .

رابعاً : نظرية الإلهام

تعرف هذه النظرية باسم نظرية الرجل الملهم العظيم "Great man theory" وتفترض هذه النظرية أن التغيرات الاجتماعية تتحقق من خلال أفراد ملهمين ذوي صفات وقدرات خارقة غير عادية . يعد فرانسيس جالتون من أشد المتحمسين لهذه النظرية ، وقد درس من خلال بيانات احصائية كبيرة خصائص الأفراد العقلية لدى العديد من الأفراد الذين يشغلون الوظائف المحترمة مثل الطب والهندسة والمحاماة وغيرها وتوصل إلى أن هؤلاء يمتازون بخصائص شخصية عقلية غير عادية وأن مثل هذه الخصائص وراثية المنشأ .

خامساً : النظرية التوفيقية

تعرف هذه النظرية باسم النظرية التفاعلية ، وهي تحاول التوفيق بين النظرية الوظيفية والنظرية الموقفية ، إذ تنظر إلى القيادة على أنها عملية تفاعل اجتماعي يتوقف نجاحها أو فشلها على تفاعل عناصر الموقف مع الخصائص الشخصية للقائد بالاضافة إلى المهام التي يتطلبها الموقف الذي يستوجب ممارسة القيادة (مرعي وبلقيس ، 1984) .

خصوصية القيادة العسكرية :

تشترك القيادة العسكرية مع أنواع القيادات في المجالات الأخرى الصناعية والتربوية والإدارية والعلمية في عدد من العوامل والمتغيرات مثل وجود جماعة يشترك أفرادها معاً لتحقيق أهداف معينة ، ووجود بنية تنظيمية تحكم شبكة العلاقات القائمة في الجماعة ، ووجود بعض المعتقدات والمحددات التي تؤثر في الأسلوب القيادي وغيرها .

وبالرغم من أوجه التشابه الكبيرة هذه ، فإن للقيادة العسكرية خصوصية تميزها عن غيرها من القيادات الأخرى ، وذلك للاعتبارات التالية :

1- **تشمل القيادة العسكرية كافة أنواع القيادات الأخرى** : حيث يشكل المجتمع العسكري مجتمعاً مصغراً للمجتمع الأب . فهناك العديد من القطاعات في القوات المسلحة ومثل هذه القطاعات تشتمل على العديد من الوحدات التي تعنى بالمجالات المتعددة : الصناعية ، والإدارية ، والطبية ، والعلمية ، والرياضية ، والمالية . . . إلخ (فرج وعطيه ، 1987) .

وبذلك نجد أن القوات المسلحة تشمل أنواعاً مختلفة من القيادات مثل :

1- القيادة العلمية .

2- القيادة الانتاجية .

3- القيادة الإدارية .

4- القيادة الميدانية .

5- القيادة المالية .

6- القيادة الإعلامية .

7- القيادة الرياضية وغيرها .

2- **طبيعة الأهداف التي من أجلها وجدت القوات المسلحة** : تعد الأهداف التي تسعى القوات المسلحة إلى تحقيقها على غاية من الأهمية والحساسية لأنها تتعلق بأمن وسلامة المجتمع الأب من أية مصادر تهديد خارجية ، ويتعدى ذلك إلى دورها في مجال الانقاذ والحفاظ على سلامة المجتمع أثناء حدوث الكوارث الطبيعية والأزمات والصراعات الداخلية .

فالأهداف هنا تتجاوز أهداف الجماعة كما هو الحال في التنظيمات والمؤسسات الأخرى لتشمل أهداف المجتمع ككل . ففي هذا النوع من القيادة ، ليس من الضروري تحقيق الأهداف التي تعود بالدرجة الأولى بالنفع على جماعة القوات المسلحة وإنما تتبدى الأولوية في تحقيق أهداف المجتمع الأب . واعتماداً على ذلك فالمسؤوليات التي تقع على القائد العسكري كبيرة جداً تتطلب منه الوعي واليقظة التامة لما يدور في المجتمع المحلي أو العالم الخارجي من أحداث ، بالإضافة لما يحدث في الوحدات والقطاعات العسكرية . كما تتطلب منه بالوقت نفسه التعرف على الامكانيات المتوفرة لديه والقدرات التي يتمتع بها التابعون . ففي العديد من الحالات ، تتطلب القيادة العسكرية الحزم والجدية في اتخاذ القرارات وتنفيذها بالوقت الذي يفترض من التابعين الطاعة وعدم التذمر أو الاعتراض ، ولا سيما في المواقف أو الحالات الحرجة أو تلك التي تشكل خطراً على المجتمع .

3- **طبيعة التنظيم واللوائح والأنظمة المعمول بها في القوات المسلحة** : يأخذ الهيكل التنظيمي في القوات المسلحة الطابع الرأسي ، حيث يوجد عدد من المستويات التنظيمية ، بحيث يشكل المستوى الأعلى في التنظيم المرجعية للمستوى الأدنى ، وبذلك نجد أن هناك نوعاً من المركزية في المجتمع العسكري ، إذ يفترض من القائد في المستوي الأدنى الرجوع إلى القائد في المستوى الأعلى وهكذا .

بالإضافة لذلك ، يفرض النظام العسكري العديد من اللوائح والأنظمة والتعليمات الصارمة نظراً لطبيعة المجتمع العسكري وخصوصية الأهداف التي وضع من أجلها . وبناء على ذلك ، نجد أن للقائد العسكري مساحة محدودة من التحرك ، الأمر الذي يحد في بعض المواقف من عدم اشراك أفراد الجماعة (الوحدة) التي يتزعمها في اتخاذ بعض القرارات .

وظائف القائد ومهماته:

يلخص العقيد شارل شانديسي (1984) الوظائف والمهام التي يجب على القائد العسكري الاضطلاع بها وذلك اعتماداً على تحليل نتائج العديد من الدراسات . ويرى أن مثل هذه الوظائف ليست مستقلة عن بعضها بعضاً ، ولكنها تتداخل وتتشابك معاً لتشكل جوهر المركز القيادي . وتتمثل هذه الوظائف بما يلي :

1- **وظيفة القيادة** : وتتمثل بالعلاقة بين الرئيس والمرؤوس ، وتشتمل على عددٍ من المهام منها : دراسة القرار واتخاذه ، وتحرير الأوامر وتوجيهها إلى أصحاب العلاقة ، ومراقبة تنفيذ القرارات وتوجيه جهود الأفراد .

2- **وظيفة مساعد في القيادة** : وتتمثل في علاقة القائد بالقائد من المستوى الأعلى . حيث يتطلب الأمر تزويده بالمعلومات المشتقة من مختلف المصادر ومساعدته في صياغة الأوامر واتخاذ القرارات وتسهيل عملية الاتصال بين القائد الأعلى والأفراد في المستويات الدنيا من القيادة .

3- **وظيفة المقاتل** : وتتمثل في الاقتراب من مراكز العدو والخطر وخوض المعارك .

4- **وظيفة التكتيك** : وتتمثل بعملية تركيز الوحدات والقطاعات العسكرية وتنظيم التحركات وإدارة النيران .

5- **وظيفة التدريب والتعليم** : وتتمثل في الأنشطة التعليمية والتربوية في جميع المجالات التقنية والثقافية والعسكرية .

6- **وظيفة الانضباط** : وتتمثل في الافعال والأنشطة التي توفر الخضوع الواعي أو الإلزامي للقوانين والأنظمة والأوامر ، بالإضافة إلى الأعمال التي تهدف إلى الحفاظ على أمن المجتمع بشكل عام وأمن المؤسسة العسكرية بوجه خاص .

7- **وظيفة تقنية** : وتتمثل في توظيف قواعد ومبادئ مدروسة مسبقاً في بعض المجالات أو الحقول كما هو الحال في حقول الميكانيك والكهرباء والكيمياء والالكترونيات .

8- **وظيفة دراسة وأبحاث** : وتتمثل في تحديد القواعد والمبادئ المناسبة للتقنيات المتعددة ، بالإضافة إلى مهمة البحث والاستقصاء للمعرفة والمعلومات .

9- **وظيفة تنظيم** : وتتمثل في تنسيق نمط العلاقة بين الوحدات والأقسام ، وتشكيل نمط من الروابط بين الأفراد والاشياء التي تشتمل عليها الوظائف والمهام وذلك على نحو تكون فيه مثل هذه العلاقات والروابط ذات طابع عملي وتأخذ شكل الأنظمة والتعليمات .

10- **وظيفة إدارية ولوجستيكية** : وتتمثل في تطبيق القواعد الفنية أو التنظيمية على الأفراد أو المهمات بغية ابقاءها في حالة الجاهزية بحيث تصلح للاستعمال تحت ظل مختلف الشروط .

11- **وظيفة مالية** : وتتمثل في ضبط عملية صرف الأموال وتنظيمها .

12- **وظيفة مكتبية** : وتتمثل في الأعمال الكتابية من حيث إعداد الكتب الرسمية وارسالها أو تحويلها إلى الجهات المعنية بالإضافة إلى عملية تصنيف المستندات والوثائق وتنظيمها .

13- **وظيفة اجتماعية** : وتتمثل في إقامة علاقات ذات طابع إنساني مع الأفراد والأفراد أو السلطات والمواطنين المدنيين بالإضافة إلى المساهمة في أنشطة الخدمة الاجتماعية أو ما يعرف ببرامج خدمة المجتمع .

14- **وظيفة العلاقات الخارجية** : ومثل هذه المهمة يمكن للقائد تأمينها مباشرة من خلال الملحقين العسكريين أو من خلال عمليات المراسلة .

اختيار القادة وتطويرهم :

هناك جدل لا زال دائراً حول أفضل الطرق لانتاج القادة الفعالين ، ويتمثل هذا الجدل في المسألة التالية : أيهما الأفضل في إنتاج القادة ؟ الاختيار وفقاً لخصائص شخصية معينة ، أم إعداد بعض الأفراد ليكونوا قادة من خلال عمليات التدريب والتطوير ؟ وفي الواقع أن كلا النشاطين موجهان نحو تحقيق نفس الغرض وهو النجاح في تحديد القادة الفعالين .

والمعضلة التي تطرح نفسها هنا هي : إذا كان الأفراد قابلين للتغير والتطور من خلال برامج التدريب والتطوير ، عندها فإن المتغيرات الشخصية تصبح غير ضرورية ، بحيث يمكن تدريب أي شخص بصرف النظر عن خصائصه الشخصية ليشغل منصباً إدارياً أو قيادياً . أما إذا كان الأفراد غير قابلين للتغير أو التطوير من خلال برامج التدريب والتعلم ، فعندها تصبح الخصائص الشخصية المحك الرئيس لاختيار القائد الكفؤ .

ولكن واقع الخبرة العملية غير ذلك ، إذ تفيد نتائج العديد من الدراسات والمواقف العملية أن كلا هذين البعدين مهمان لاختيار القائد الكفؤ ، فهما يتفاعلان ويتداخلان معاً في التنبؤ بالقدرات القيادية للأفراد . وهكذا يتضح لنا أن كلاً من الاختيار والتدريب ضروريان لإنتاج القادة .

أولاً : اختيار القادة :

هناك عدة اجراءات يمكن استخدامها في اختيار القادة للقيام بأعباء المراكز القيادية ، وهذه الإجراءات تقوم على أساس استخدام منهج السمات الذي يتم على أساسه اختيار قادة في ضوء بعض الخصائص الشخصية التي تميزهم عن غيرهم من الأفراد ، ويتم هذا من خلال :

أ- لجنة أو هيئة من قادة كبار لديهم الخبرة والمعرفة الكاملة بالمرشحين .

ب- تطبيق اختبارات نفسية - عقلية وشخصية على المرشحين مثل اختبارات الذكاء والقدرات العقلية واختبارات الشخصية .

ج- استخدام أسلوب المقابلات الشخصية مع المرشحين .

د- استخدام الاختبارات الموقفية التي تتطلب وضع المرشحين في مواقف اشكالية ، أو مواقف تفاعل اجتماعي وملاحظة أداء هؤلاء المرشحين أثناء انشغالهم في مثل هذه المواقف .

هـ- استخدام مواقف غير محددة البناء مثل : مشكلات ما تتطلب تقديم توصيات بشأنها ، أو معضلات عسكرية معينة تتطلب اتخاذ إجراء عسكري مناسب حيالها ، ويطلب هنا من المرشحين وصف الإجراءات المناسبة للتعامل مع تلك المواقف .

إن مثل هذه الأساليب استخدمت في معظم الجيوش من أجل انتقاء الضابط في العديد من الدول مثل : الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا ، ولكن يؤخذ عليها أن بعضاً منها يخضع إلى معايير ذاتية غير موضوعية مثل الإجراءات التي تستخدم هيئة قضاة من القادة العسكريين لترشيح القادة ، أو تلك التي تقوم على الملاحظة . في حين أن البعض الآخر يواجه مشكلة صدق الأداة كما هو الحال في الإجراءات القائمة على استخدام الاختبارات والمقاييس والمقابلة . ولضمان اختيار القادة الفعالين ، يفضل عدم الاعتماد على إجراء واحد فقط في عملية الاختيار . فكلما كان هناك تنويع في استخدام الإجراءات أو اعتماد عدة إجراءات معاً في اختيار القادة ، زادت احتمالية تحديد القادة الأكثر كفاءة وفعالية .

ثانياً : تطوير القادة وتدريبهم :

يتوقف نجاح القائد على عددٍ من العوامل يتمثل بعضها بالآتي :

(1) الدافع الذي حدا به لقبول المركز القيادي .

(2) قدرته على تحديد حاجات الجماعة وتلبية مثل هذه الحاجات .

(3) اقتناع الجماعة بتحقيق هدفها في ظل الظروف التي تواجهها .

واعتماداً على ذلك ، فإن المميزات الشخصية للقائد تلعب دوراً هاماً في هذا الصدد . ولكن المعضلة هي أنه ليس باستطاعة أي برنامج لتطوير القيادة أن يشمل كافة العوامل المرتبطة بالجماعة والمواقف والقائد . وهذا يتطلب بالتالي تحديد الهدف الرئيس لبرنامج التدريب أو التطوير والذي يجب أن يعنى بالدرجة الأولى في تطوير المواقف والمهارات القيادية . إن هذا النمط من التدريب من شأنه أن ينمي قدرات القائد على معالجة العوامل المتعلقة بالجماعة والمواقف التي يواجهها مستقبلاً .

يمكن تطوير المهارات القيادية للقائد من خلال عدة اجراءات تتمثل في :

أولاً : التعرض إلى نماذج قيادية : أي من خلال ملاحظة القادة الذين يشغلون مراكز قيادية عليا . فالتعلم من خلال الملاحظة من شأنه أن يكسب القادة الكثير من الخبرات والمهارات والقيم والعادات والممارسات التي ربما يصعب اكتسابها من خلال الخبرة الشخصية المباشرة وهذا النوع من التعلم يسمى بالتعلم من خلال النمذجة .

ثانياً : التعلم من خلال مبدأ المحاولة والخطأ : أي من خلال الخبرات الشخصية المباشرة في المواقف المتعددة . وحتى يكون هذا النوع من التدريب ، فعالاً يجب توفير عناصر التغذية الراجعة الإعلامية والتصحيحية ، حتى لا يتكرر وقوع الأخطاء في مرات أخرى .

ثالثاً : من خلال استخدام الطرق التقليدية في التعليم : وتتمثل في اعطاء المحاضرات ، ودراسة الحالات ، وورشات العمل ، والمناقشات والدروس أو نقل المعلومات المتعلقة بمهارات القيادة مباشرة من خلال وسائل التدريس والتلقين .

رابعاً : التنشئة القيادية : ويتم في مثل هذا الإجراء اختيار عدد من الأفراد ممن هم في أدنى المستويات التنظيمية للجماعة أو المؤسسة ، ويصار إلى إعدادهم وتطويرهم خطوة خطوة من خلال استخدام برامج تدريبية على مهارات القيادة ، وفي الغالب يتم ترقية مثل هؤلاء الأفراد أو نقلهم من مركز إلى مركز قيادي أعلى وفق فواصل زمنية قصيرة من أجل وصولهم إلى المركز القيادي المطلوب .

3

الفصل الثالث

الروح المعنوية والضبط العسكري

مقدمة:

يتميز الكائن البشري عن سائر المخلوقات الأخرى بعدد من المميزات التي تجعل منه مخلوقاً فريداً ، إحدى هذه المميزات هي النزعة إلى التفاعل والعيش ضمن جماعة من الأفراد تجمع بينهم روابط معينة ، وتحكمهم معايير محددة تنظم أنماط السلوك لديهم ، ويسعون إلى تحقيق أهداف أو إنجاز مهمات محددة .

فالجماعات الإنسانية هي تنظيمات ديناميكية تتباين في حجمها ودوافعها وأهدافها وبنيتها التنظيمية ، فهناك الجماعات الصغيرة كالأسرة أو فريق لعبة ما أو طلاب فصل دراسي ، وهناك الجماعات الكبيرة التي تحكمها علاقات تنظيمية معقدة مثل : الصناعات والشركات والقوات المسلحة والمجتمعات والدول ، وهناك الجماعات المؤقتة التي انشئت من أجل تحقيق هدف معين بحيث تزول بتحقيق الهدف منها ، في حين أن هناك جماعات شبه دائمة أو مستمرة . وأي كان الأمر ، فإن هذه الجماعات الصغيرة والكبيرة ، المؤقتة أو الدائمة ، منها ، جميعها تسعى إلى إنجاز أو تحقيق مهمات معينة .

فتحقيق أي مهمة وإنجازها بنجاح من قبل الجماعة لا يتم على نحو اعتباطي أو عشوائي ، وإنما يتوقف على مجموعة من الأبعاد والمتغيرات تتمثل في :

(1) طبيعة الجماعة ودرجة تماسك أفرادها وانجذابهم نحوها .
(2) توفر الامكانات والمصادر والوسائل المادية وغير المادية التي تساعد في انجاز المهمة .
(3) طبيعة البنية التنظيمية داخل الجماعة وأساليب الإدارة والإشراف والقيادة المستخدمة لتوجيه الجهود .
(4) العوائق والمثبطات الداخلية والخارجية التي تحول دون انجاز المهمة .
(5) طبيعة المهمة وما تنطوي عليه من أهداف وغايات .
(6) خصائص أفراد الجماعة من حيث المهارة ومستوى التدريب والمعرفة .
(7) مستوى الحفز والروح المعنوية والإيمان لدى أفراد الجماعة .

تشير الخبرات العلمية ونتائج الدراسات الاجتماعية إلى أن تحقيق الأهداف التي تطمح لها أي جماعة لا يتوقف على طبيعة الطاقات التي يتميز بها أفرادها ومستوى التدريب والمهارة

لديهم أو على مدى توفر الامكانات والوسائل المادية وغير المادية فحسب ، لا بل يتدخل في ذلك عامل آخر يتمثل في حالة الحفز والروح المعنوية التي يتمتع بها أفراد الجماعة ومدى ايمانهم بالجماعة والمبادئ التي تقوم عليها ، وما تسعى إلى انجازه من أهداف (الزغول ، 2003) .

ففي الحرب العالمية الثانية على سبيل المثال ، أظهر الجنود الألمان معنويات عالية ودافعية شديدة نحو القتال مما مكنهم من تحقيق انتصارات سريعة في بداية الحرب . ويرجع ذلك إلى ايمانهم بالجنس الآري وتميز الشعب الألماني والحاجة إلى الثأر ، في حين نجد أن الجنود الإيطاليين رغم توفر التدريب والامكانات والمعدات العسكرية لم يظهروا مثل هذا الحماس لانعدام الروح المعنوية لديهم .

وعند قراءة وتحليل التاريخ الإسلامي ، نجد أن المسلمين لم يحققوا الانتصارات الباهرة لكثرة عدتهم أو عددهم أو بسبب عوامل المهارة أو التدريب ، ولكن بسبب عوامل الحفز والروح المعنوية العالية لديهم لايمانهم بالجماعة الإسلامية وعدالة القيم والمبادئ والأهداف التي قامت عليها .

تعريف الروح المعنوية Morale :

ليس من السهل ايجاد تعريف واضح ومحدد للروح المعنوية نظراً لأنها ظاهرة نفسية معقدة متعددة الابعاد والمتغيرات . ويمكن القول إن الروح المعنوية هي بمثابة حالة نفسية داخلية تنطوي على الشعور الذاتي من قبل كل فرد من أفراد الجماعة بأهمية الجماعة التي ينتمي إليها والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها ، ومدى الحاجة إلى العمل لمواجهة كافة التحديات التي تحول دون تحقيق الأهداف ، أو تلك التي تهدد كيان الجماعة أو تماسكها .

ويرى غوبون (1961) أن الروح المعنوية على أنها مزيج من الجوانب النفسية العقلانية والانفعالية الشخصية التي تعمل على حفز الفرد للعمل بالتعاون مع أفراد الجماعة التي ينتمي لها في سبيل تحقيق أهداف الجماعة وذلك على اعتبار أنها تسهم في تلبية حاجاته وتحقق له حالة من الرضى (هيز وتوماس ، 1983) .

ففي هذا الصدد ، يعرفها موكوربس (Moucorps) على أنها إرادة يدعمها العقل لبلوغ هدف مشترك . ومثل هذا التعريف يستمد مقوماته من آراء الفيلسوف الألماني شوبنهور الذي اعتبر الإرادة على أنها جوهر الحياة ، وينظر إليها على أنها اندفاع أعمى إلى الحياة . كما ويعتبرها نيتشه على أنها أصل الحياة لأنها إرادة ، وما الإرادة إلا إرادة القوة . ويبرز في هذا التعريف التأكيد على التدعيم العقلي الذي يكمن وراء الإرادة .

هناك البعض الآخر أمثال هاريمان (Harriman) يؤكد الجوانب الانفعالية في تعريف الروح المعنوية ، إذ يعتبرها شعوراً إنفعالياً حماسياً تجاه ما تقدم عليه الجماعة من أعمال . أما وارين (Warren) فيجمع في تعريفه بين الجانب الوجداني والجانب القيمي في اتجاه الجماعة ، ويرى أن الروح المعنوية اتجاه قوامه الثقة والمثابرة في العمل والتمسك بمُثل الجماعة .

يربط البعض الروح المعنوية بعوامل التوتر النفسي الناتج من خبرات النجاح والفشل أو وجود الضغوط التي يتولد عنها الحاجة إلى العمل على المستوى الفردي والجماعي ، إذ إن خبرات النجاح تولد الرغبة وتزيد من مستوى الحفز لدى الأفراد لاستثمار هذا النجاح وتحقيق المزيد من الأهداف ، في حين حالة الفشل أو الضغط تولد الإرادة والعزيمة على التصدي ومواجهة أسباب الفشل بدوافع تتمثل في الثأر أو تحقيق النجاح .

وبالنظر إلى التعاريف أعلاه ، نلاحظ أن الروح المعنوية تنطوي على مفهوم "روح الفريق الواحد" ، ومثل هذا المفهوم يتضمن معان كثيرة تشمل الشعور بالولاء والانتماء إلى الجماعة ، والانجذاب نحو الجماعة والحاجة إلى التوحد الجماعي ، والإيمان بأهمية الأهداف والحاجة إلى انجازها حتى وإن كانت متعارضة نوعاً ما مع أهداف الفرد الشخصية .

لقد استغل الألمان بعد الحرب العالمية الأولى هذا الجانب استغلالاً رائعاً ، حيث انصبت كل وسائل الدعاية لتعبئة الجيش والشعب الألماني ورفع الروح المعنوية لديهم استعداداً للثأر نتيجة الهزيمة التي لحقت بهم . ويلاحظ هذا واضحاً وجلياً ، في الانتصارات السريعة التي حققها الجيش الألماني ومدى اندفاع المقاتل الألماني ومهارته في القتال تحت مختلف الظروف . ولكن مثل هذه الروح المعنوية والإندفاع نحو القتال بدأ بالتلاشي بسبب سياسات هتلر الهوجاء وزيادة مطامعه والتدخل في سير المعارك ، مما ولد شعوراً لدى أفراد الجيش الألماني بعدم عدالة الأهداف التي أصبح يطلب منهم تحقيقها ، وهذا بالتالي أدى إلى انخفاض الروح المعنوية لديهم .

إن الحديث عن الروح المعنوية يقودنا أيضاً إلى الحديث عمّا يسمى بمفهوم تماسك الجماعة ، ويقصد به درجة حرص أعضاء الجماعة على الانتماء إليها والاستمرار فيها . (Berkowitz, 1986) .

ومثل هذا التماسك يعتمد على عدد من المحددات تتمثل بالآتي :

أولاً : **درجة التجاذب بين أفراد الجماعة** : وينعكس في مشاعر الحب والاهتمام التي تسود بين أفراد الجماعة نحو بعضهم بعضاً ، بالإضافة إلى وجود أوجه التشابه بينهم

ومدى تماثل الأهداف الشخصية التي يطمحون إلى تحقيقها من جراء انتمائهم لمثل هذه الجماعة . فكلما زادت درجة التجاذب بين الأفراد في الجماعة ، زادت حالة الحفز والروح المعنوية للحفاظ على تماسك هذه الجماعة والعمل على تحقيق أهدافها .

ثانياً : قدرة الجماعة على تلبية حاجات أفراد الجماعة : تزداد الجماعة تماسكاً وقوة إذا أدرك أفرادها بأن بقاءها واستمرارها يساعد في تلبية حاجاتهم وتحقيق أهدافهم الشخصية .

ثالثاً : الشعور بوجود تهديد أو خطر خارجي يتهدد الجماعة : يزداد ولاء الفرد وانتماؤه إلى الجماعة عندما يشعر بأن هناك اخطاراً خارجية تتهدد الجماعة مثل الكوارث والحروب والازمات . ففي مثل هذه الحالة تتكاثف الجهود بين أفراد الجماعة وتزداد النزعة إلى التعاون والعمل الجماعي معاً لدرء مثل هذه الأخطار .

العوامل التي تؤثر في الروح المعنوية:

يرى هيز وتوماس (1983) أن من أهم العوامل التي تؤثر في الروح المعنوية لأفراد الجماعة ولا سيما الأفراد العاملين في القوات المسلحة هي حالة الحفز أو الإثارة . ويؤكدان أن حالة الحفز هذه يمكن تحقيقها من خلال عدد من الأنشطة يفترض بالقائد الاضطلاع بها والتي تتمثل بالآتي :

أ- **الحاجات الفيزولوجية الأساسية أو الحاجات الأولية مثل :** الجوع والعطش والجنس والنوم والهواء والحرارة . ومثل هذه الحاجات ضرورية للحفاظ على الحياة والبقاء والاستمرار . فمن الأهمية بمكان ايلاء مثل هذه الحاجات عناية بالغة ، إذ يفترض من القائد التأكد من توفر الغذاء والماء والملابس ووسائل الأمن والشعور بالطمأنينة لأفراد الجماعة ، لأن اشباع مثل هذه الحاجات من شأنه أن يزيد من دافعية الأفراد نحو العمل والمثابرة .

ب- **الحاجات الثانوية :** وهي الحاجات المكتسبة أو الاجتماعية وتشمل الحاجة إلى الانجاز والتقدير والانتماء والحب والسيطرة وغيرها . ومثل هذه الحاجات أيضاً من المحركات الرئيسة للسلوك الإنساني ، مما ينبغي على القائد العسكري العمل والمساعدة على تحقيقها لدى الأفراد ، وذلك من خلال توفير كل الفرص والتدابير التي من شأنها أن تساعدهم على اكتسابها . فتوفير برامج التدريب والتنمية والترفيه وتنظيم اللقاءات والتفاعل الاجتماعي وتوفير فرص التعلم والنمو للأفراد جميعها عوامل تسهم في تعزيز مثل هذه الحاجات .

ج- **التوفيق بين أهداف ومطالب الجماعة وحاجات الأفراد** : على القائد أن يكون على درجة من الوعي واللباقة بحيث يخلق شعوراً لدى الأفراد بأن تحقيق أهداف الجماعة هو بمثابة تحقيق لأهدافهم الشخصية ؛ وهذا بالتالي يولد حالة حفز داخلية للعمل لدى الأفراد تعزز الروح المعنوية لديهم .

أما شانديسي (1984) فيرى أن هناك مجموعة عوامل أخرى ترتبط بالروح المعنوية وهي بمثابة مجموعة فضائل تتمثل في :

التماسك النفسي ، والشجاعة ، والمبادرة ، والعناد والاصرار ، والمزاج الطيب ، والانضباط ، وروح الفريق ، والإيمان بالنجاح ، والديناميكية بالإضافة إلى اشباع الحاجات . وعموماً يمكن تلخيص العوامل التي تؤثر في الروح المعنوية للأفراد بالمسائل التالية :

1- عامل الإيمان :

يعد الإيمان من أكثر العوامل أهمية في إثارة الروح المعنوية لدى أفراد أي جماعة أو تنظيم ، وينطوي مفهوم الإيمان على وجود عقيدة أو مجموعة مبادئ أو قيم تؤمن بها الجماعة . ومثل هذه العقيدة تختلف باختلاف الجماعات وطبيعة الثقافة السائدة في تلك الجماعات ، فهناك الإيمان القائم على أساس عقيدة دينية كما هو الحال في المجتمع الإسلامي مثلاً ، أو على أساس قومي - عرقي كالعقيدة النازية أو على أساس طبيعة المهنة مثل نقابات العمال وغيرها .

إن وجود مستوى عالٍ من الإيمان أو العقيدة لدى أفراد جماعة ما من شأنه أن يزيد من مستوى الروح المعنوية لديهم اتجاه الأهداف التي تنطوي عليها مثل هذه العقيدة . فالعقيدة تعمل على زيادة مستوى الصمود والمواجهة والتحدي والمثابرة وتحمل الشدائد والضغوط في سبيل الحفاظ على سلامة الجماعة وتماسكها .

إن إيمان المسلمين بالعقيدة الإسلامية ومبادئها عزز مفهوم تماسك الجماعة الإسلامية لديهم ، وزاد في شدة حرصهم على الحفاظ عليها ونشر أهدافها ، فكم تحمل المسلمون في بداية الدعوة الإسلامية الكثير من أنماط التعذيب والضغط النفسي من الكافرين ، وكل هذا لم يثنهم عن عزمهم وإصرارهم أو التأثير في الروح المعنوية لديهم . ويلاحظ ذلك على نحو جلي ، في مدى حماس المسلمين وارتفاع الروح المعنوية لديهم في العديد من المعارك التي خاضوها بالرغم من قلة عددهم وعدتهم مقارنة مع جيوش العدو .

فعلى سبيل المثال ، عندما علم المسلمون بعدد المقاتلين الرومان في معركة مؤتة ، أشار البعض منهم بعدم قتالهم نظراً لكثرتهم ، وهذا ما دفع عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى مخاطبة المسلمين بقوله : "إننا لم نقاتل يوماً بكثرة العدد والعدة وإنما بما أكرمنا الله به وهو الدين الإسلامي" . وهكذا نجد أن الإيمان بالعقيدة الإسلامية والمثل والأهداف التي قامت عليها كانت دوماً المحرك الأساس للمقاتلين المسلمين ، وهي العامل الحاسم في إثارة الروح المعنوية لديهم لتحقيق النصر أو الشهادة ، أو نيل رضى الله سبحانه وتعالى . وتشير الأدلة أيضاً ، أن مدى إيمان الروس الشديد بوطنيتهم وضرورة الحفاظ على أمن مجتمعهم عزز من مستوى الروح المعنوية لديهم للدفاع عن بلادهم بالرغم من سوء الإمكانات المادية والتسليح . فكما نعرف أن الجيش الألماني أصبح على مقربة من العاصمة الروسية (موسكو) ، حيث لم تتجاوز المسافة التي تفصل الجيش الألماني المحاصر عن هذه المدينة (17) كم ، ولكن تصميم ستالين واختياره المناسب للقائد "جوكوف" وعملهما الدؤوب معاً على تحفيز الشعب الروسي ساهم في طرد الجيش الألماني وإلحاق الهزائم المتعددة به .

2- العامل المرتبط باشباع الحاجات :

مما لا شك فيه أن لدى الإنسان العديد من ا لحاجات ، منها ما يرتبط بالحفاظ على الحياة والنوع وتتمثل بالحاجات الأولية البيولوجية مثل الجوع والعطش والجنس والدفء والهواء . ومنها ما يرتبط بالحاجات الاجتماعية والنمائية والجمالية مثل الحب والانتماء والأمن والشهرة والمكانة والمعرفة والتقدير والتملك والنمو والتفوق . . .الخ . وينطوي اشباع مثل هذه الحاجات على تحقيق التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي ، وهذا من شأنه أن يعزز مفهوم الذات لدى الفرد ويشعره بأهميته في هذا المجتمع .

إن إدراك الأفراد بقدرة الجماعة على مساعدتهم على اشباع وتحقيق مثل هذه الحاجات يعمل على زيادة مستوى الحفز لديهم ، مما يزيد من مستوى الروح المعنوية للعمل والإصرار والمثابرة والتحدي من أجل الحفاظ على تماسك هذه الجماعة وبقاءها واستمرارها .

فمن المعروف أن أفراد القوات المسلحة كباقي أفراد أي تنظيم أو جماعة أخرى ، لهم حاجاتهم ودوافعهم وأهدافهم الخاصة ، لا بل هناك خصوصية يتميز بها أفراد المجتمع العسكري عن غيرهم من أفراد المجتمعات الأخرى . ومثل هذه الخصوصية تنبع من طبيعة الأهداف والتحديات والمهام والمسؤوليات التي تقع على عاتقهم ، فالقوات المسلحة وجدت أصلاً للحفاظ على أمن وسلامة المجتمعات في أوقات الحرب والسلم .

وتواجه القوات المسلحة تحديات خطيرة تتمثل بوجود عدو خارجي يمتلك العدة والذخيرة والاسلحة المدمرة ويقتنص الفرص لتحقيق أهدافه ، أو بوجود قوى داخلية تعمل على إثارة الفوضى وزعزعة الأمن الداخلي ، أو حدوث أزمات وكوارث طبيعية مثل الأمراض والأوبئة والفيضانات والزلازل والبراكين . ومثل هذه الحالات تتطلب من أفراد القوات المسلحة الحفاظ على مستوى عال من اليقظة والجاهزية . ويضاف إلى ذلك أن القوات المسلحة تؤدي العديد من المهام العسكرية كالتدريب والمناورات تحت مختلف الظروف وفي مختلف المناطق الجغرافية النائية والوعرة والصحراوية والماطرة . لذا فمن المهم بمكان إبقاء الروح المعنوية عالية لدى أفراد القوات المسلحة لتمكينهم من القيام بالأعمال الموكلة إليهم .

مما سبق ، يتضح لنا مدى أهمية تلبية حاجات أفراد القوات المسلحة والمتمثلة بما يلي :

1- تلبية الحاجات الأولية الأساسية من خلال توفير الغذاء والشراب الجيدين وعوامل السلامة العامة والرعاية الصحية والمسكن والدفء ووسائل الترفيه .

2- توفير فرص التدريب والتعلم والنمو ، من خلال البرامج التدريسية والتثقيفية والتدريبية والرياضية والعلمية ، وتوفير الدورات والمنشورات ومصادر التعلم والأجهزة والوسائل التعليمية .

3- استخدام مختلف أنواع المكافآت والحوافز لتعزيز الأفراد على أدائهم المتميز في المهام العسكرية المتعددة .

4- توفير فرص للأفراد لتحمل نوع من المسؤولية لتعزيز مفهوم الذات لديهم واشعارهم بأهميتهم في الجماعة .

5- اظهار الاهتمام والرعاية بالأفراد والتعاطف معهم من قبل القائد .

6- تعزيز الثقة بالنفس لدى الأفراد من خلال الإيحاء لهم بأنهم قادرون ويستطيعون القيام بالمهام الموكلة إليهم على اتم وجه ، أو من خلال اشعارهم بأن ما تم تحقيقه من أهداف أو ما سيتم تحقيقه هو راجع بالدرجة الأولى لمجهوداتهم .

7- اتاحة فرص التفاعل الاجتماعي على المستويين الأفقي والعمودي داخل الوحدات العسكرية ، لأن ذلك من شأنه أن يزيد من مستوى التجاذب بين الأفراد أنفسهم أو بين الأفراد والقادة .

8- تبديد مشاعر الخوف والقلق لدى الأفراد ، وخلق جو من الشعور بالأمن والطمأنينة ، والعمل على مساعدتهم على مواجهة المشكلات والتخلص منها ، حيث يشعر الأفراد

عادة بالطمأنينة والرغبة بالعمل والروح المعنوية العالية عندما يدرك هؤلاء الأفراد بأن قادتهم يشعرون معهم ويتعاطفون مع مشاكلهم الشخصية .

ففي هذا الصدد ، تشير العديد من المصادر التاريخية إلى وجود نماذج كثيرة من القادة لا يتسع المجال هنا لذكرهم جميعاً ممن كانوا يظهرون الاهتمام والرعاية والتعاطف بالتابعين ، فسيدنا محمد (ﷺ) من أكثر القادة الذين شهد لهم التاريخ اهتماماً بالجوانب الإنسانية والتعاطف والشعور مع اتباعه . كما ويذكر التاريخ أن خالد بن الوليد كان يولي هذا الجانب أهمية بالغة ، فكم كان يتفقد جنوده ويتلمس حاجاتهم . وهناك القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي الذي كان يتابع باستمرار اخبار جنده ويطمئن على توفير حاجاتهم .

ومن الأمثلة التاريخية الحديثة ، نجد أن القائد الألماني رومل اهتم بهذا الجانب أيضاً ، فقد كان يبدي حاسية شديدة لسلامة وأمن المقاتلين تحت امرته ، ولطالما كان يتفقدهم ويتأكد من مدى تلبية احتياجاتهم ويساعدهم في حل العديد من المشكلات الشخصية والفنية التي تواجههم (رومل ، بلا) .

3- العامل المتعلق باختيار وإعداد القادة المؤهلين :

ترتبط الروح المعنوية لدى الأفراد بدرجة اقتناعهم بقدرات وامكانات القادة الشخصية وأساليبهم المتبعة في القيادة . ففي الغالب ، تنخفض الروح المعنوية لدى الأفراد في حال إدراكهم بأن قادتهم غير مؤهلين للقيام بأعباء هذا المنصب . وقد يرتبط سوء التأهيل بجوانب فنية مثل : نقص المعرفة أو الخبرة أو لأسباب شخصية مثل اللامبالاة وعدم الاكتراث بالجماعة أو الأفراد ، أو التسلط ، أو ضعف القدرات الذكائية والإدراكية ، أو بسبب الأنانية وتقديم المصالح الشخصية على المصلحة العامة ، أو بسبب الغرور والتكبر والميل إلى الانعزال ، والجبن والتردد وعدم الاتزان الانفعالي والتذبذب السلوكي .

وقد تنخفض الروح المعنوية لدى الأفراد بسبب الأساليب القيادية المستخدمة والتي تقوم على القهر والتسلط والاستبداد أو التسيب ، إذ يشعر الأفراد بعدم الولاء إلى هذا القائد وعدم الرغبة في العمل أو التعاون معه . عموماً ، ترتفع معنويات الأفراد عندما يرون في القائد عدداً من الخصائص التي تجعل منه نموذجاً يحتذى به مثل : التعاضد والتعاون والاهتمام والمبادرة والذكاء والحزم والمعرفة والفطنة وغيرها من الخصائص الايجابية الأخرى .

لقد كانت معنويات المقاتلين المسلمين دائماً عالية بسبب أن قادتهم كانوا يمتازون بخصائص إنسانية فريدة ، ويكاد يكون أهمها أنهم كانوا يتقدمون صفوف المقاتلين دوماً . فلم يذكر التاريخ أن هؤلاء القادة كانوا يطلبون من جندهم التقدم للقتال أو خوض الصعاب بينما هم يتأخرون في الصفوف الأخيرة ، حتى يتجلى لهم ما تسفر عنه المعركة .

ويشير المؤرخ العسكري ليدل هارت (1948) أن بعض القادة الألمان أمثال غودريان وروميل وغيرهم كانو من هذا الصنف ، فنادراً ما كان يتواجد مثل هؤلاء القادة في غرفة العمليات ، فهم على الدوام في مقدمة الجيش وفي قلب المعركة ، وهذا ما كان يعزز الروح المعنوية لدى الأفراد العاملين معهم .

4- العامل المرتبط بالتدريب :

إن شعور الأفراد وإدراكهم بأن لديهم قدرات وامكانيات تؤهلهم لتنفيذ مهمة ما من شأنه أن يعزز الثقة لديهم بالنفس ويرفع الروح المعنوية ويبدد مشاعر الخوف والقلق لديهم ، فكلما ارتفع مستوى التدريب الفني والتقني لدى الأفراد ، ازدادت قابليتهم للعمل وبذل الجهد . تشير بعض الأدلة ، أن الجنود في العديد من المعارك كانوا يلقون باسلحتهم ويستسلمون بسبب نقص الخبرة والتدريب ، فكم من القوات الإيطالية استسلمت خلال معارك شمال افريقيا للقائد البريطاني مونتجمري بسبب انخفاض مستوى الروح المعنوية لديهم لشعورهم بعدم قدرتهم على القتال (فرج وعطيه ، 1987) .

فمن أجل رفع معنويات الأفراد ، يفترض توفير فرص وبرامج التدريب المناسبة لذلك . ففي الشؤون العسكرية يفترض تطوير قدرات الجنود في المجالات المتعددة مثل :-

1) التدريب على المهارات القتالية الهجومية والدفاعية تحت ظل مختلف الظروف المناخية والجغرافية .
2) التدريب على مهارات استخدام الأسلحة من حيث الرماية ودقة التصويب على الهدف ، والصيانة ، والفك والتركيب .
3) التدريب من خلال برامج التمثيل المحوسبة "Assimlations" والمناورات على المهارات الحربية مثل كيفية توزيع القوى ، وتمويه المعدات ، والهجوم ، والانسحاب .
4) التدريب على كيفية استخدام الأجهزة والآليات الخفيفة والثقيلة مثل أجهزة الاتصال والتنصت ، والأجهزة الالكترونية ذات الاستخدام العسكري ، والمدافع والدبابات .
5) التدريب على بعض المهارات الفنية مثل مبادئ الميكانيك والسقوط المظلي .

6) التدريب على مهارات استخدام الحواس في تمييز الأهداف وعمليات التمويه للمعدات وتضليل العدو .

5- العامل المرتبط بعنصر المبادرة والمفاجأة :

لا شك أن لعنصر المفاجأة دوراً حاسماً في التأثير بالمعنويات ، ومثل هذا العامل سلاح ذو حدين ، فهو بالوقت الذي يؤدي فيه إلى رفع المعنويات لدى أفراد القوات المهاجمة نجده أيضاً يؤثر في معنويات الخصم على نحو سلبي .

لقد شكل هذا العامل أحد العناصر الهامة في الحربية الإسلامية (أسعد والحفات ، 1981) . ففي فتح مكة استخدم الرسول عليه الصلاة والسلام هذا العنصر حيث أخفى توجهاته وأهدافه حتى عن المقاتلين المسلمين ، كما أن خالد بن الوليد دائماً كان يستخدم الأسلوب القتالي المباغت أو المفاجئ ، وقد استغل القادة الألمان هذا العامل خير استغلال كما تم في احتلال بولندا وبلجيكا وفرنسا . كما أن القوات المصرية في حرب اكتوبر عام 1973 استخدمت هذا الأسلوب ، حيث قام الجيش المصري بعدد من الإجراءات التي توحي بعدم النية في القيام بأي هجوم مصري ضد الإسرائيليين . ففي هذا الصدد ، تم تسريح جميع القوات الاحتياطية ، واعطاء اجازات لكبار الضباط ، وإجراء مناورات عسكرية ، ثم جرى على نحو سري استدعاء المسُرَحين والضباط وتم تحديد الساعة الثانية ظهراً لتكون ساعة الصفر ، وكل هذه التكتيكات شكلت عنصر مفاجأة للقوات الإسرائيلية .

وعموماً يمكن تحقيق عنصر المفاجأة من خلال عدد من الاجراءات أو التكتيكات العسكرية يتمثل بعضها بالآتي :

1- المراوغة والخداع :

إذ يقول الرسول محمد ﷺ بهذا الصدد أن "الحرب خدعة" . فكم كان خالد بن الوليد يستخدم هذا الأسلوب في قتاله مع الأعداء . ففي معركة الكاظمية على سبيل المثال ، غيّر اتجاه تحركات الجيش لعدد من المرات ، وهذا ما أثار الحيرة والريبة في صفوف جنود الفرس مما ساهم بالتالي في هجومه الساحق والمباغت لقوات الفرس (الديري ،1982) .

ويذكر التاريخ أن خالداً بن الوليد استخدم أسلوب المراوغة والخداع في معركة مؤته ، حيث أوهم الروم بأن هناك مدداً قادماً لقوات المسلمين حيث طلب من بعض خيالة المسلمين إثارة الغبار خلف قوات المسلمين ، وهذا الأمر أقنع الروم بأن هناك قواتاً إضافية جاءت لنجدة المسلمين . ومثل هذا الإجراء استخدمه أيضاً رومل في معارك شمال أفريقيا ، حيث أوهم البريطانيين بوجود مدد جديد .

2- استخدام أسلحة تكتيكية جديدة :

إن استخدام الأسلحة التكتيكية غير المألوفة بالنسبة للعدو من شأنها أن تضعف المعنويات لدى مقاتليه . فالعدو عادة يضع خططه العسكرية في ضوء المعلومات الاستخبارية التي يحصل عليها عن القوات المقابلة له . فعند استخدام أسلحة جديدة ليس لدى العدو أية معلومات مسبقة عنها من شأنها أن تحقق المفاجأة والذهول في صفوف أفراده . وهذا ما حدث خلال الحرب العالمية الثانية عندما أطلقت ألمانيا لأول مرة ما يعرف بالقنابل الطائرة (أف ، 1 ،2) على بريطانيا ، مما سبب حالة من الخوف والذعر لدى البريطانيين .

3- استخدام أساليب قتالية تكتيكية :

يمكن تحقيق عنصر المفاجأة والتأثير في معنويات العدو من خلال بعض الإجراءات التكتيكية مثل :

أ- الهجوم الخاطف السريع .

ب- الهجوم الكاسح من أكثر من محور .

ج- سحب العدو إلى منطقة تقتيل .

د- انزال القوات في مناطق غير متوقعة للعدو .

هـ- ضرب أو اسقاط المظليين لقوات العدو .

6- العامل المرتبط بالصحة الجسمية للمقاتل :

تتأثر الروح المعنوية للمقاتل بمدى قبوله لجسمه واتجاهه نحو قدراته الجسمية ، فالشعور باللياقة البدنية والقدرة الحركية والمهارة الفنية من شأنها أن ترفع من مستوى الروح المعنوية لدى المقاتل .

7- العامل المرتبط باللوائح والأنظمة المعمول بها :

لا شك في أن معنويات الأفراد تتأثر إلى درجة كبيرة بطبيعة الأنظمة واللوائح المعمول بها في الجماعة التي ينتمون لها . فاختلاف المعايير وتذبذب تطبيقها على الحالات المتشابهة يؤثر على نحو سلبي في معنويات الأفراد . كما أن عدم وجود أنظمة أو التسيب في تطبيقها من شأنه أيضاً أن يضعف الروح المعنوية لدى افراد الجماعة . وبالمقابل فإن الانسجام والإلتزام في تطبيق اللوائح والأنظمة على جميع أفراد الجماعة يؤدي إلى رفع الروح المعنوية لديهم . وعليه

فإن التزام جميع أفراد القوات المسلحة بلا استثناء بقواعد الانضباط العسكري من شأنه أن يسهم في رفع المعنويات لديهم .

أهمية الروح المعنوية:

تخدم الروح المعنوية العديد من الفوائد لكل من الأفراد والجماعة ، ويمكن إيجاز أهمية الروح المعنوية في المسائل التالية :

1- تؤدي إلى تماسك الجماعة ووحدتها وزيادة الشعور بالانجذاب والولاء من قبل الأفراد للجماعة ولفلسفتها وقيمتها ومبادئها وقواعدها ونظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

2- تؤدي إلى زيادة فعالية الجماعة من حيث زيادة انتاجها وتحسين مستوى أدائها وانجازها في مواقف الحرب والسلم .

3- تؤدي إلى زيادة الثقة بالجماعة ودورها في تلبية حاجات الأفراد ومطالبهم .

4- تؤدي إلى زيادة ثقة الأفراد بأنفسهم وبأهمية الدور الذي يقومون به ، وهذا يزيد من دافعيتهم لتحقيق أهداف الجماعة .

5- تؤدي إلى زيادة مستوى الوئام والتوافق والانسجام بين أعضاء الجماعة ، وهذا ما يعزز بالتالي سيادة روح الفريق الواحد .

6- تؤدي إلى تبديد مشاعر الخوف والقلق والاكتئاب والعزلة والاغتراب لدى أفراد الجماعة مما ينعكس في شعورهم بالأمن والاستقرار .

7- تؤدي إلى توليد مشاعر الثقة المتبادلة بين أعضاء الجماعة والقائد .

8- تؤدي إلى تعزيز قيم لدى أفراد الجماعة مثل الايثار والتعاون والتعاطف والتفاني في العمل وتقديم المصلحة العامة على المصالح أو الأهداف الشخصية .

9- تؤدي إلى شعور كل فرد بالجماعة بالمسؤولية حول ما يواجه الجماعة من مخاطر ومصاعب أو أية مصادر تهديد محتملة .

الضبط والربط العسكري:

يتمثل احد اهداف التنشئة العسكرية في تعويد افراد القوات المسلحة على الانصياع للأوامر والتعليمات العسكرية والالتزام بالمعايير والمبادئ التي تقوم عليها . فالمجتمع

العسكري هو تنظيم اجتماعي بالغ التعقيد في طبيعة العلاقات المتضمنة فيه وفي الاهداف التي يسعى الى تحقيقها . ومن هذا المنطلق ، فإن خصوصية هذا المجتمع تتطلب من الأفراد المنتمين إليه احترام المبادئ والمعايير والأنظمة والتعليمات التي يقوم عليها بالإضافة الى الإيمان بمثل وقيم وأهداف هذا المجتمع والعمل على تحقيقها .

يشكل الضبط والربط العسكري احد العناصر الرئيسة التي ترتكز عليها القوات المسلحة في اوقات السلم والحرب . وتصبح الحاجة للانضباط اكثر الحاحاً في اوقات الحروب والمعارك ، ولاسيما أنه في مثل هذه الأوقات العصيبة يتطلب الامر من كافة أفراد القوات المسلحة في كافة المستويات العمل الجاد والمثابرة والتحمل واطاعة اللوائح والأنظمة في سبيل تحقيق النصر وتجنب الهزيمة . وتشير الكثير من الشواهد والأدلة التاريخية أن كثيراً من الأمم والجيوش واجهت الهزائم بسبب سوء الانضباط . ففي الحرب العالمية الثانية ، هزمت الجيوش الايطالية في معارك شمال افريقيا بسبب غياب الضبط والربط العسكري ، كما أن الدولة العثمانية واجهت العديد من الهزائم في الحرب العالمية الأولى لانعدام الانضباط العسكري لدى افراد وضباط جيوشها . وبالمقابل نجد أن الجيوش الإسلامية إبان الفتوحات العظيمة حققت الانتصارات تلو الانتصارات بسبب عوامل الضبط والربط العسكري التي تمتعت بها ، ونلاحظ أيضاً أن الجيوش البريطانية استطاعت تحقيق الانتصارات ضد دول المحور في الحرب العالمية الثانية لارتفاع مستوى الانضباط لدى افرادها .

ومن هذا المنطلق ، يمكن القول إن الضبط والربط العسكري هو أحد المحكات الرئيسة التي من خلالها يمكن الحكم على فعالية القوات المسلحة ، فالقوات التي تتمتع بقدر عالٍ من الطاعة واحترام الاوامر والالتزام بالانظمة واللوائح والتعليمات هي اكثر فعالية وديناميكية من القوات التي لا تتوفر فيها مثل هذه الحالة . وقد لاحظنا في حرب الخليج الثالثة المتمثلة بالعدوان الامريكي - البريطاني على العراق ، ان من احد الأسباب الرئيسة التي أدت إلى انهيار الحكومة العراقية وهزيمتها كان غياب عوامل الضبط والربط العسكري بين افراد وقطاعات القوات المسلحة العراقية ، والتي ربما تعود إلى عدم إيمانهم بالقيادة العراقية والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها .

ان غرس الانضباط في الوحدات العسكرية ليس امراً سهلاً ، لأن الانضباط بحد ذاته يشكل عملية اجتماعية معقدة تنطوي على الطاعة التلقائية واتباع السلوك المناسب من قبل افراد القوات المسلحة في ظل مختلف الظروف والحالات .

وبهذا المنظور ، يمكن تعريف الانضباط العسكري على أنه الحالة العقلية ومقدار التدريب التي تجعل الطاعة والسلوك السليم اموراً غريزية لدى العاملين في القوات المسلحة تحت مختلف

الظروف . وهو أيضاً بمثابة موقف الفرد أو الجماعة الذي يضمن الطاعة الفورية للأوامر والبدء بالعمل المناسب في حالة عدم وجود أوامر . كما يمكن النظر إليه على أنه حالة عقلية تُنتج الاستعداد للطاعة التلقائية واتباع السلوك المناسب والانضباط داخل الوحدة والاستمرار تحت وطأة الارهاق والعمل الشاق ، وهو شرط من شروط الانجاز الذي يمكن التنبؤ به (هيز وتوماس 1983) .

إن الانضباط العسكري لا يتضمن خلق حالة من الطاعة والامتثال للأوامر والتعليمات بوسائل التهديد والرقابة والعقاب فحسب . ولكن يتضمن أيضاً خلق حالة من الشعور والدافع الذاتي للعمل بفعل عوامل اخرى مثل الاقناع والتحفيز والتشجيع .

ففي هذا الصدد ، يقدم اللواء جون م . شوفيلد توجيهاً إلى طلاب الاكاديمية العسكرية الامريكية يتمثل في الخطاب التالي : «يجب ان لا يكون اكتساب الانضباط الذي يجعل جنود بلد حر جديراً بالاعتماد عليهم في المعركة ، بالمعاملة القاسية او الاستبدادية ، فعلى العكس ، من الارجح بكثير أن تدمر مثل هذه المعاملة جيشاً ، بدلاً من ان تصنعه . ومن الممكن ابلاغ التعليمات واصدار الاوامر باسلوب ولهجة لا يبثان في الجندي غير شعور الرغبة الشديدة بالطاعة ، بينما لا يمكن ان يكف الاسلوب واللهجة المضادات عن إثارة الاشياء الشديدة والرغبة في العصيان وينشأ أسلوب أو آخر في التعامل مع المرؤوسين من روح منسجمة في صدر القائد . فالشخص الذي يشعر بالاحترام والواجب نحو الآخرين ، يمكنه ان يكف عن بث الاحترام فيهم لنفسه ، بينما لا يمكن ان يكف ذلك الذي يشعر ، ومن ثم يظهر عدم الاحترام للآخرين وخصوصاً اولئك الادنى درجة منه عن بث الكراهية لنفسه . . (هيز وتوماس 1983) » .

فمن خلال هذا الخطاب ، يمكن استنتاج المبادئ التالية التي دعا اليها شوفيلد لغرس الانضباط لدى افراد القوات المسلحة وهي :

أ . خلق الانضباط والانصياع والامتثال لدى افراد القوات المسلحة هي احدى المسؤوليات الرئيسة للقادة .

ب . التفاعل بين القادة والمرؤوسين القائم على الاحترام المتبادل والقيم الاخلاقية احد العوامل الرئيسة في خلق الانضباط لدى افراد القوات المسلحة .

ج . توفير فرص تحمل المسؤولية والعمل وفق توقعات الافراد من شأنه ان ينمي الضبط والربط العسكري لديهم .

د . استخدام الأساليب والوسائل التي تقوم على التشجيع والتعزيز والمكافآت .

هـ . استخدام اجراءات العقاب عندما يتطلب الامر ذلك ولا سيما في حالات التمرد والعصيان .

د . العمل على جعل الانضباط حاله تهيؤ واقتناع داخلية – ذاتية لدى افراد القوات المسلحة وليس مجرد حالة فرض اوامر .

المظاهر المختلفة للانضباط العسكري :

يتبدى الانضباط العسكري في العديد من المظاهر العسكرية والتي تشمل ما يلي :

أولاً : السيطرة على الذات :

يتطلب العمل العسكري بذل المزيد من الجهد والعمل الشاق نظراً لتعدد أوجه النشاط العسكري مثل التدريب وأداء المهام وصيانة الاسلحة والمعدات وتقديم الخدمات الاخرى ، الامر الذي يفرض على الافراد مسؤوليات جسيمة ، وهذا بالتالي يستدعي من الفرد التحمل وضبط الذات والسيطرة عليها .

ثانياً : تنظيم السلوك الشخصي والاجتماعي :

يتميز المجتمع العسكري بمناخ ثقافي يميزه عن غيره من المجتمعات الاخرى . ومثل هذا المناخ يتطلب من افراد القوات المسلحة اخذه بعين الاعتبار في تفاعلاتهم وعلاقاتهم داخل المؤسسة العسكرية او خارجها .

فالعسكريون مطلوب منهم بالدرجة الاولى احترام غيرهم ممن يحملون الرتب العسكرية الاخرى بالوقت الذي يفترض فيه منهم التعاطف مع مَنْ هم اقل منهم في الرتب العسكرية . كما يستدعي الامر من العسكريين تجنب كافة اشكال السلوكات المحظورة مثل التعامل مع هيئات او جهات مشبوهة او العمل خارج نطاق القوات المسلحة ، أو تسريب أية معلومات عسكرية .

ثالثاً : ينعكس الانضباط في التوافق النفسي لأفراد القوات المسلحة :

تستند فلسفة التنشئة العسكرية إلى احداث التعلم وانماط التغيير المطلوب في سلوك افراد القوات المسلحة ؛ فالافراد عندما يدخلون المؤسسة العسكرية يجدون انفسهم امام مطالب جديدة لم يتعرضوا لها في الحياة المدنية . وهذا الامر يستدعي تنشئة مثل هؤلاء الافراد

عسكرياً من حيث تعليمهم المهارات والخبرات الفنية بالإضافة الى التأثير في المنظومة القيمية وانماط السلوك الاجتماعي لديهم بهدف مساعدتهم على التكيف النفسي والاجتماعي . ومن هذا المنطلق فإن تعويد الافراد على الالتزام بالمعايير والمبادئ والانظمة المعمول بها في المؤسسة العسكرية من شأنه ان ينعكس في عمليات التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي لديهم .

رابعاً : يرتبط الضبط والربط العسكري بالروح المعنوية لأفراد القوات المسلحة :

ان تطبيق الانظمة والمعايير العسكرية يؤدي الى تفعيل السلطة العسكرية ، ومثل هذا الاجراء من شأنه أن يرفع من مستوى الروح المعنوية لدى افراد القوات المسلحة ولا سيما إذا كان هناك نوع من العدالة والمساواة في تطبيق الانظمة واللوائح على الجميع .

دور القائد في عمليات الضبط والربط العسكري :

مما لا شك فيه ، ان غرس الانضباط العسكري لدى افراد القوات المسلحة هي من احدى المسؤوليات الرئيسة للقائد العسكري (هيز وتوماس ، 1983) . ويستطيع القادة العسكريون تحقيق الضبط والربط العسكري لدى التابعين من أفراد القوات المسلحة من خلال الاجراءات التالية :

أولاً : يجب أن يكون القادة العسكريون نماذج يحتذى بها من حيث احترام المؤسسة العسكرية والالتزام بالأعراف والقواعد والأنظمة العسكرية ، فلا يجوز بأي شكل من الأشكال إلزام التابعين ومعاقبتهم على عدم الطاعة والإلتزام بالأنظمة والقواعد العسكرية في الوقت الذي فيه ينتهك القادة مثل هذه القواعد . فعلى سبيل المثال ، لا يمكن لقائد معاقبة أحد أفراد القوات المسلحة لعدم اهتمامه بهندامه العسكري في الوقت الذي فيه لا يحترم هذا القائد اللباس العسكري . وعموماً فإن القادة هم رموز يحتذى بها ، وهذا الأمر يتطلب منهم بالتالي أن يكونوا نماذج صالحة في أقوالهم وأفعالهم وفي جميع ما يصدر عنهم من أنشطة وذلك من أجل غرس حب الطاعة والإلتزام بالقواعد والأنظمة العسكرية لدى الأفراد التابعين .

ثانياً : يجب أن يتوخى القادة العسكريون العدل في تعاملهم مع كافة الأفراد من حيث تطبيق القواعد واللوائح العسكرية ، فلا يصح أن يتساهل هؤلاء القادة مع بعض الأفراد في تطبيق مثل هذه القواعد لاعتبارات شخصية أو مصالح فردية والتشدد في تطبيقها مع البعض الآخر .

ثالثاً : استخدام المكافآت والمعززات بشتى أنواعها تقديراً لجهود الأفراد ، حيث إن استخدام التعزيز من شأنه أن يعزز مفهوم الضبط والربط العسكري لدى أفراد القوات المسلحة لأنه يزيد من مستوى المثابرة والجهد لديهم ويؤدي أيضاً إلى رفع المعنويات والرغبة في اتقان العمل والإلتزام بالقواعد والأنظمة . وحتى تكون المكافآت فعالة يجب أن تتصف بمميزات معينة يكاد يكون أهمها قدرتها على إحداث نوع من التأثير النفسي لدى الأفراد أو إشباعها لبعض الحاجات (هيز وتوماس ، 1983) .

هناك عدد كبير من المكافآت يمكن للقادة استخدامها مثل التعزيز اللفظي والاجازات والمكافآت المالية والشارات والأوسمة وغيرها من المعززات الأخرى . وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة الانتباه والحذر من قبل القادة في استخدام المكافآت ولا سيما أنها أحياناً قد تعزز استخدام وسائل غير مقبولة لدى الأفراد من أجل الحصول عليها . فقد يضطر الجندي إلى الكذب والغش أو اتباع أساليب غير شرعية بغية الحصول على المكافأة .

رابعاً : استخدام اجراءات العقاب المختلفة لتحقيق الضبط والربط العسكري ، إذ يعرّف العقاب على أنه اجراء غير مرغوب فيه يهدف منه إضعاف أو إزالة سلوك غير مرغوب فيه . فالقادة بإمكانهم تحقيق الضبط والربط العسكري لدى الأفراد من خلال إنزال العقوبات الشديدة بحق المخالفين للقواعد والأنظمة العسكرية وعدم التساهل في ذلك . تتباين اجراءات العقاب التي يمكن للقادة العسكريين استخدامها وتشمل اشكالاً متعددة مثل التوبيخ واللوم والحرمان من الاجازات أو بعض الامتيازات وتنزيل الرتبة العسكرية وحسم الراتب والحبس وإلى غير ذلك من الاجراءات الأخرى .

وكما هو الحال في اجراءات التعزيز ، يجب أن تكون اجراءات العقاب فعالة وذات تأثير نفسي لدى الأفراد . كما تتطلب أيضاً بيان الأخطاء والعيوب للأفراد لأنه في كثير من الأحيان قد يقع الأفراد في أخطاء دون دراية منهم لجهلهم بالتعليمات والقواعد أو معايير الأداء المطلوب . فالعقاب في مثل هذه الحالات لا يكون فعالاً إذا لم يتم توضيح وبيان الأخطاء والأسباب التي من أجلها تم عقاب الأفراد عليها . وعموماً عند استخدام اجراءات العقاب يجب الاعتدال في تطبيقها وتوخي العدل وعدم الظلم في ذلك .

4

الفصل الرابع

التنشئة العسكرية وعمليات التعلم

مقدمة :

تعد القوات المسلحة ولاسيما في أوقات السلم مؤسسة تربوية ضخمة تنصبّ جل اهتماماتها وأنشطتها في تنشئة العناصر البشرية وإعدادها لتكون في أعلى مستويات الجاهزية عندما يتطلب الأمر استخدامها في العمليات المختلفة أثناء الحرب ، ويتم عادةً اعداد هؤلاء الأفراد من خلال مختلف أنواع برامج التدريب التي تصمم خصيصاً لهذا الغرض . ويمكن القول إن هذه البرامج تقع في أربع فئات هي (شانديسي ، 1984) :

أ- **برامج التدريب البدني** : وتشمل كافة الأنشطة والاجراءات التي تهدف إلى تنمية المهارات الحركية والجسمية والفنية لدى الأفراد بهدف بناء جسم قوي ومرن قادر على التحمل تحت مختلف أنواع الظروف البيئية والجغرافية والمناخية .

ب- **برامج التدريب العسكري** : وهي تلك البرامج التي تستهدف تنمية العادات التقنية الخاصة ذات الطابع الحركي والذهني ، وتتمثل في تنمية المهارات المتعلقة باستخدام الأسلحة والمعدات العسكرية وكيفية صيانتها والحفاظ عليها ، بالإضافة إلى تنمية القدرات العقلية المرتبطة بتحليل المواضيع المجردة ذات الطابع العسكري .

ج- **برامج التربية العسكرية** : وتتعلق ببرامج التوعية والتوجيه المعنوي والإعداد النفسي والضبط والربط العسكري والتي تستهدف رفع الروح المعنوية لدى الأفراد العسكريين وتعميق ايمانهم بعدالة الأهداف التي تضطلع القوات المسلحة بالحفاظ عليها أو تنفيذها . كما أن هذه البرامج أيضاً تستهدف في أحد جوانبها خلق مواقف ملائمة لظروف المعركة أو الحروب (مثل المناورات) لتدريب الأفراد وتهيئتهم لكيفية التعامل مع تلك الظروف .

د- **برامج التعليم الهادف** : وتسعى مثل هذه البرامج إلى تزويد أفراد القوات المسلحة بالمعارف والخبرات والمعلومات بهدف تطويرهم على الصعيد الفكري والعسكري والفني .

يمكن النظر إلى هذه البرامج على أنها بمثابة مراحل للتنشئة العسكرية ، وهي غير مستقلة عن بعضها بعضاً ، إذ إنها تتداخل معاً ، ويعتمد بعضها على بعضها الآخر على نحو يؤدي إلى إعداد الأفراد عسكرياً على اتم وجه .

البرامج والطرائق التربوية والتعليمية :

لا تختلف الطرائق والأساليب التربوية والتعليمية المستخدمة في إعداد الأفراد في القوات المسلحة عن تلك المستخدمة في القطاعات غير العسكرية الأخرى . ويكاد يكمن الفرق الوحيد بينها في الأهداف والوسائل نظراً لاختلاف طبيعة المجتمع العسكري والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها . وعموماً فإن عملية التنشئة العسكرية تتضمن الطرائق والأساليب التي تقوم على :-

1- **خلق الحوافز لدى أفراد القوات المسلحة** : أي تحريك الدافع والرغبة في التعلم من خلال خلق احساس قوي لديهم بأهمية تعلم المواد التي تعود بالنفع عليهم وعلى المجتمع الذي يعيشون فيه .

2- **الشرح والتفصيل** : ويتمثل في توضيح المهمات العسكرية المختلفة للأفراد وتدريبهم على الكيفية التي تعمل بها الآلات والمعدات العسكرية من خلال المحاضرات والدروس والندوات .

3- **العرض والتمثيل** : ويتمثل في قيام المدرب أو المساعدين له في تنفيذ المهمات العسكرية المراد اكسابها للأفراد عملياً وذلك حتى يتسنى لهؤلاء الأفراد تعلم مثل هذه المهمات من خلال النمذجة والتقليد . ففي كثير من الأحيان ، لا يمكن توضيح المهمات العسكرية من خلال الشرح أو التفصيل نظراً لتعقيدية مثل هذه المهمات ؛ كما أنه بالوقت نفسه لا يمكن ترك المجال للأفراد في تعلم مثل هذه المهمات من خلال المحاولة والخطأ بسبب بعض جوانب الخطر التي تنطوي عليها ، الأمر الذي يستلزم توضيح مثل هذه المهمات من خلال العرض والتمثيل .

4- **التنفيذ والممارسة** : ويتمثل في ممارسة الأفراد للمهمات العسكرية على نحو مباشر ، ويتطلب مثل هذا الإجراء الإعادة والتكرار لتنفيذ مثل هذه المهمات مع مراعاة مراقبة عمليات التنفيذ وتوفير التغذية الراجعة المناسبة .

إن مسأله إعداد برامج التدريب وتنفيذها في الشؤون العسكرية ليست بالأمر السهل أو اليسير ، وهي بالتالي لا تتم على نحو عشوائي اعتباطي لأنها تتطلب الأخذ بعين الاعتبار عدداً من الأبعاد تشمل :

أ- طبيعة القوات المسلحة والأهداف التي أنشئت من أجلها .

ب- طبيعة المهمات العسكرية والأدوات والمعدات المستخدمة فيها .

ج- طبيعة الأفراد والجماعات من حيث خصائصهم النفسية والاجتماعية والجسدية والعقلية .

د- طبيعة العلوم والمعرفة والتغيرات التقنية والتكنولوجية .

ومن هنا ، نجد أن برامج التدريب والإعداد العسكري تشتمل على شريحة واسعة من المعارف والمعلومات المستمدة من فروع العلوم المختلفة الإنسانية والعلمية منها . ويلعب علم النفس دوراً هاما في مثل هذه البرامج نظراً لارتباطه بالعديد من الخصائص الإنسانية مثل : الدوافع والميول والاتجاهات والقدرات العقلية مثل التفكير والإدراك والانتباه والتذكر والتعلم بالإضافة إلى المهارات الحس-حركية . وهكذا ، فإن برامج التدريب العسكري لا يمكن لها تحقيق أغراضها بمعزل عن الاستفادة من المعارف والخبرات النفسية ، لأن مثل هذه المعارف تشكل محوراً أساسياً في إعداد الأفراد . ولما كان محور اهتمام برامج التدريب ينصب بالدرجة الأولى على تطوير قدرات الأفراد ورفع مستوى الأداء الإنتاجي والقتالي لديهم وذلك من خلال إحداث تغيير في سلوكهم ممثلاً ذلك في اكتسابهم الخبرات والمعارف اللازمة وتطوير الانماط السلوكية المتعددة لديهم ، فإن مثل هذه البرامج توظف العديد من المناهج والمبادئ ذات العلاقة بالتعلم الإنساني المستمدة من نظريات التعلم السلوكية والمعرفية التي جاءت بها مدارس علم النفس المختلفة .

ومن أجل الوقوف على المدى الذي يمكن لموضوع التعلم الإسهام به في بناء برامج التدريب العسكري وتنفيذها ، فإنه من المفيد التعرض لهذا الموضوع بشيء من التفصيل والتوضيح .

مفهوم التعلم Concept of Learning:

يحظى موضوع التعلم باهتمام المختصين بالدراسات النفسية والاجتماعية وغيرها من العلوم الأخرى نظراً لارتباطه بالعديد من الأنشطة والأفعال الإنسانية . وتكمن أهمية التعلم في كونه أحد الأسباب الرئيسة في تطور المجتمعات الإنسانية وفي بقائها واستمرارها . فمن خلال عملية التعلم استطاع الإنسان الاستفادة من خبرات الأجيال التي سبقته ، وتمكن أيضاً من خلالها إضافة الكثير من الخبرات والمعارف والمهارات الجديدة التي ساهمت في تطوير كافة مناحي الحياة : الاجتماعية والعسكرية والصناعية والتجارية والعلمية والسياسية والاقتصادية وغيرها (الزغول ، 2003) .

إن دراسة عملية التعلم من شأنها أن تساعد في فهم الآليات التي تقف وراء التغيرات التي تحدث في الخبرات الإنسانية وما يصاحبها من تغيرات أو تطورات في الأنماط السلوكية والتي تنعكس بالتالي في انماط التفاعل الإنساني مع المواقف والحوادث البيئية المختلفة .

يعد التعلم تكويناً أو بناء افتراضياً يشير إلى عملية حيوية تحدث داخل الكائن البشري يستدل عليها من خلال ما يظهر عليه من أفعال وأنشطة ظاهرة للعيان ، بحيث يمكن ملاحظتها وقياسها . وتتضمن هذه العملية كافة التغيرات الثابتة نسبياً التي تطرأ على خبرات الفرد وأنماطه السلوكية نتيجة لعمليات التفاعل المستمرة مع البيئة بشقيها المادي والاجتماعي . وبهذا المنظور ، يمكن النظر إلى التعلم على أنه عملية ديناميكية تتجلى في جملة التغيرات المستمرة والمتراكمة في حصيلة الفرد السلوكية وفي خبراته بهدف تحقيق نوع من التوازن مع البيئة المحيطة به (الزغول والهنداوي ، 2002) .

وتأخذ هذه العملية عدة أشكال تتمثل في اكتساب أنماط سلوكية وخبرات جديدة ، أو تغيير وتطوير في بعض الخبرات والأنماط والسلوكية وتعديلها ، أو شكل التوقف والتخلي عن بعض الأنماط السلوكية والاستعاضة عنها بأنماط سلوكية أخرى (الزغول والهنداوي ، 2002) .

إن الإنسان بطبيعته مدفوع ومحفز نحو التعلم نظراً لأن مثل هذه العملية تمكنه من التكيف مع الأوضاع والظروف البيئية المختلفة المحيطة به وما يطرأ عليها من تغيرات ، وهذا بالتالي من شأنه أن يساعده على السيطرة على مثل هذه الظروف . فمن خلال هذه العملية ، يتمكن الإنسان من التعرف على خصائص الظروف والمثيرات والأحداث البيئية المختلفة ، الأمر الذي يساعده بالتالي على تعلم أنماط السلوك المناسبة للتعامل مع تلك الظروف والمثيرات (Catania, 1998) .

فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نجد أن الإنسان عبر خبرات التعلم المتراكمة استطاع التعامل والتكيف مع مختلف الظروف الجوية والمناخية ، كما أنه تعلم أيضاً كيفية التعامل مع الكوارث الطبيعية ، واستطاع اكتساب الكثير من الخبرات التي ساهمت في تطوير وسائل الاتصال والمواصلات وتحسين الخدمات الطبية وكيفية استغلال المواد الطبيعية . وتمكن أيضاً من توليد المعارف والمبادئ حول السلوك الإنساني والتي ساهمت بما يدعو للشك في تطوير الأداء الإنساني في المجالات العسكرية والإدارية والانتاجية والتربوية وغيرها .

تعريف التعلم Defention of Learning :

ليس من السهل إيجاد تعريف واضح ومحدد لعملية التعلم وذلك بسبب أنها ظاهرة متشعبة ومتعددة العوامل والمتغيرات ، ويرجع سبب تعقيدية هذه العوامل في كونها ترتبط

بالدرجة الأولى بالطبيعة الإنسانية المعقدة ، وهذا بالتالي تمخض عن بروز وجهات نظر مختلفة حول الطبيعة البشرية وخصائصها ، كما أنه بالوقت نفسه ، أدى إلى ظهور عدم اتفاق بين وجهات النظر المختلفة حول طبيعة المعرفة ومصادر الحصول عليها ، وعلاقتها بكل من الروح والجسد والعالم المادي المحسوس .

وانطلاقاً من ذلك ، نجد أن مدارس علم النفس المختلفة تباينت في نظرتها إلى الخصائص والقدرات الإنسانية والأنماط السلوكية لديهم تبعاً لاختلاف المنطلقات الفكرية التي اعتمدت عليها . ففي الوقت الذي نجد فيه بعض المدارس التي تؤكد الأصول الفطرية للسلوك وفي عمليات التعلم كما هو الحال في المدرسة المعرفية ، نجد أن هناك مدارساً أخرى مثل المدرسة السلوكية أكدت أهمية جوانب الخبرة والممارسة والعوامل البيئية في عمليات التعلم للأنماط السلوكية المتنوعة . ومهما يكن من أمر ، فإنه يمكن النظر إلى عملية التعلم على أنها :

العملية الديناميكية المتواصلة والتي تتضمن جميع التغيرات الثابتة نسبياً التي تطرأ على خبرات الأفراد وأنماطهم السلوكية المتعددة نتيجة عمليات التفاعل المستمرة مع البيئة بشقيها المادي والاجتماعي .

خصائص عملية التعلم:

باستعراض التعريف السابق ، يمكن استخلاص الخصائص التالية فيما يتعلق بعملية التعلم (الهنداوي والزغول ، 2002) :

أولاً : إنها عملية ديناميكية ، ويقصد بذلك أنها قابلة للتغيير والتعديل والتطوير في ضوء المستجدات والمتغيرات التي تواجه الأفراد أثناء عمليات التفاعل المتكررة . فالأنماط والخبرات السلوكية التي يتم تعلمها لا يعني بالضرورة بقاؤها كما هي ، فقد يطرأ عليها الكثير من التغيير والتعديل والتحسين بما يتناسب وطبيعة الظروف والمواقف التي يواجهها الأفراد .

ثانياً : إنها تتضمن فقط جميع التغيرات الثابتة نسبياً في الخبرة ، وهذا يعني أن مثل هذه الخبرات يجب أن تظهر في الأنماط السلوكية لدى الأفراد على نحو متكرر عندما يواجهون المواقف أو المثيرات التي تتعلق بها . أما التغيرات المؤقتة التي تحدث بفعل عوامل مثل النضج أو التعب أو الحالة الفسيولوجية أو تعاطي مخدر أو مسكر أو بسبب عوامل المرض والألم ، فهي لا تعتبر مؤشراً للتعلم لأن مثل هذه التغيرات مؤقتة وترتبط بعرض أو مسبب ما ، وسرعان ما تزول ولا تعود للظهور مرة أخرى عند زوال المسبب

(Mazur, 1998) . فعلى سبيل المثال ، يعد التعب حالة فسيولوجية تترافق بتغيرات سلوكية مؤقتة مثل تصبب العرق ، احمرار الوجه ، ارتفاع ضغط الدم ، وزيادة دقات القلب ، ومثل هذه التغيرات لا إرادية ترتبط بحالة التعب بحيث تزول بعودة الجسم إلى الوضع الطبيعي . كما أنه عندما يتناول الفرد مُسكراً ما ، فإن هذا المُسكر يؤثر على القدرات العصبية للفرد مما ينجم عنه عدم السيطرة على الجانب الانفعالي واللغوي والعقلي والحركي لديه ، ومثل هذه التغييرات هي نتاج لتأثير المُسكر إذ ليس للفرد أية سيطرة عليها وتزول حال انتهاء تأثير المسكر .

ثالثاً : ينطوي مفهوم التغيّر في الأنماط السلوكية على :

أ- اكتساب خبرة أو سلوك جديد ، أي تعلم أنماط سلوكية جديدة لم تكن في الحصيلة السلوكية السابقة لدى الأفراد .

ب- التعديل أو التطوير في خبرة أو سلوك معين ، أي تحسين وتطوير المهارات السلوكية والخبرات الموجودة لدى الأفراد .

ج- التخلي عن سلوك أو خبرة والاستعاضة عنها بسلوك أو خبرة جديدة ، أي عمليات التصحيح والتصويب للخبرات والأنماط السلوكية المتعلمة سابقاً .

رابعاً : تهدف عملية التعلم إلى تحقيق التكيف مع الظروف والعوامل البيئية المحيطة . إذ لا يمكن للإنسان الاستمرار في البقاء والمحافظة على عوامل السيطرة والتفوق على الموجودات البيئية ما لم يتم تعلم الخبرات والأنماط السلوكية المناسبة لذلك . وهذا بالتالي يشكل عاملاً دافعاً للإنسان للسعي وراء المعرفة بهدف إحداث التغيرات المناسبة في أنماطه السلوكية وخبراته .

خامساً : ترتبط التغيرات الناتجة بفعل عملية التعلم بمعظم مظاهر السلوك الإنساني ، فهي لا تقتصر على تعلم جوانب محددة كما هو الحال في السلوك الحركي مثلاً ، ولكنها ترتبط أيضاً بمظاهر سلوكية أخرى في الجوانب العقلية والاجتماعية والانفعالية واللغوية والاخلاقية وغيرها .

فعلى سبيل المثال ، يتعلم الأفراد اللغة واللهجة وأساليب التعبير ، كما أنه يتعلم أساليب حل المشكلات وكيفية التفكير في المواقف المختلفة ، ويتعلم أيضاً المهارات الحركية العامة والدقيقة بالإضافة إلى أنماط السلوك الاجتماعي مثل القيم والعادات والتقاليد وأساليب التفاعل وتكوين العلاقات والصداقات .

سادساً : هي عملية مستمرة لا تتوقف عند حدٍ زمني معين ، فعملية التعلم تبدأ منذ المراحل العمرية المبكرة (الولادة) وتستمر حتى المراحل العمرية اللاحقة (سن الشيخوخة) . وخلال هذه العملية تتراكم الخبرات على نحو تدريجي في حصيلة الفرد السلوكية بحيث يعمل في ضوء ذلك إلى إحداث التغيير والتعديل المناسب في المظاهر السلوكية لديه بما يتناسب وطبيعة المواقف والأحداث والمثيرات التي يواجهها . وتشير الدلائل التجريبية إلى إمكانية إثارة الاستعداد لتعلم بعض أنماط السلوك قبل الولادة . ففي إحدى التجارب التي أجريت على أمُهات حوامل في الشهر السابع والثامن من الحمل وفيها تم تقسيم هؤلاء الحوامل إلى مجموعتين : مجموعة تجريبية طلب من أفرادها قراءة القصص والمقالات بصوت مرتفع ، ومجموعة ضابطة طلب من أفرادها عدم القراءة بصوت مرتفع . وأظهرت النتائج أن أطفال الأمهات في المجموعة التجريبية أظهروا لاحقاً ميلاً كبيراً لتعلم القراءة وقدراً أكبر في اتقان القراءة من أطفال الأمهات اللواتي طلب منهن عدم القراءة بصوت مرتفع .

سابعاً : إن عملية التعلم لا تحدث في فراغ إذ تتطلب ضرورة التفاعل مع الخبرات والظروف البيئية الاجتماعية والمادية منها . فالبيئة تعد مصدراً رئيساً لتزويد الفرد بالخبرات والمعارف عن موجوداتها المادية وما يرتبط بها من خبرات ومعارف معنوية مجردة . فمن خلال فرص الخبرة والممارسة مع البيئة المادية يتعرف الفرد على الأشياء المادية الموجودة فيها ، ويكتسب اسماءها ويكتشف خصائصها وفوائدها ومضارها .

وهذا بالتالي يمكنه من اكتساب وتطوير أنماط السلوك المناسب حيالها ، كما أنه من خلال فرص التفاعل مع البيئة الاجتماعية يكتسب الفرد العادات والقيم واللغة واللهجة والأخلاق وأنماط السلوك الاجتماعي المناسب وأساليب التفاعل الاجتماعي ، بالإضافة إلى اكتساب العديد من الخبرات المرتبطة بهذا العالم . وتحديداً ، فإن البيئة بشقيها المادي والاجتماعي توفر فرص الخبرة والممارسة والتدريب للأفراد بحيث لا يمكن بأي شكل من الأشكال لهؤلاء الأفراد اكتساب الخبرات والأنماط السلوكية المناسبة بمعزل عن فرص الخبرة والممارسة تلك .

ثامناً : تنطوي عملية التعلم على اكتساب الأنماط السلوكية المرغوبة وغير المرغوبة منها في ظل الظروف والمعطيات التي يواجهها الفرد في المواقف الحياتية المتعددة . فكما يتعلم الفرد السلوك الاجتماعي والأخلاقي المناسب مثل الايثار والتعاون والانتماء والعادات الحركية الحميدة وأنماط التفكير المنتج والابتكاري ، فهو أيضاً يكتسب العادات والأنماط السلوكية غير المرغوبة مثل الإدمان على المخدرات والمسكرات ، والعدوان والغش والكذب والشذوذ الجنسي وغيرها .

تاسعاً : قد تكون عملية التعلم مقصودة بحد ذاتها ؛ أي يسعى الفرد بمحض إرادته إلى تعلم خبرة أو أنماط سلوكية معينة بحيث يبذل جهداً كبيراً في ذلك ويحدد مصادر التعلم المناسبة وإجراءاته وأساليب تحقيقه كما هو الحال في تعلم مهارة رياضية أو التدريب على السواقة مثلاً ، وقد تكون عملية التعلم غير مقصودة تحدث على نحو غير اتفاقي كما يحدث في حالة التعلم بالاكتشاف أو بالملاحظة العابرة .

عاشراً : لا ترتبط عملية التعلم بوجود مكان محدد بحيث قد تحدث بواسطة مؤسسة تعليمية معدة لهذا الغرض أو بعدم وجود مثل هذه المؤسسة . فالتعلم يحدث في الشارع والمصانع والنوادي والجمعيات والمدارس والجامعات ومراكز التدريب ومراكز التأهيل والسجون ودور العبادة والمزارع وعبر وسائل الإعلام . فكما يتعلم الأفراد الخبرات والمعارف في المؤسسات التعليمية مثل المدارس والجامعات ، فهم أيضاً يتعلمون من خلال فرص التفاعل التي تحدث في البيوت والشوارع والمساجد والمزارع والمواقف الحياتية المتعددة . وهذا بالطبع يعني ، أن عملية التعلم لا تتطلب بالضرورة وجود برامج أو مناهج خاصة إذ إنها قد تحدث بها أو بدونها .

مبادئ التعلم:

إن التعلم الإنساني واسع جداً ومتعدد الأطراف بحيث يصعب حصر جميع الآليات التي يتم من خلالها اكتساب الخبرات والمعارف وتشكيل الأنماط السلوكية المتعددة (Hill, 1990) . وهنا يجب التفريق ما بين آليات التعلم والمبادئ التي بموجبها تتشكل أنماط السلوك لدى الفرد وفق عمليات التفاعل الحياتية المستمرة وبين أساليب وطرائق التدريب أو التعليم التي تتم على نحو مقصود . وبالرغم من العديد من طرق التدريس تستخدم مبادئ التعلم لتصميم المواقف التعليمية وايصالها إلى المتعلمين ، إلا أن بعضاً منها يقوم على أساليب الايحاء والتلقين والاقناع أو حشو الخبرات والمعارف في أذهان المتعلمين . ومن هنا ، نلاحظ أن هناك فرقاً بين عملتي التعلم والتعليم ولاسيما أن عملية التعليم في أغلب الحالات تكون منظمة تتم عبر إجراءات مخطط لها ، وتسعى إلى تحقيق أهداف مرغوب فيها وفق تسلسل زمني محدد وتحت إشراف مؤسسة رسمية من حيث التخطيط لها وتمويلها وتنفيذها وتقويمها .

ويمكن النظر إلى مبادئ التعلم على أنها الآليات التي بواسطتها تتشكل أنماط الفعل السلوكي لدى الأفراد اتجاه المواقف والمثيرات التي يتفاعلون معها في بيئاتهم تحت ظل الظروف والمعطيات المتباينة بالإضافة إلى الآليات الأخرى التي يمكن أن تؤثر سلباً أو ايجاباً في التعلم . وعموماً يمكن تقسيم هذه المبادئ إلى فئتين : فئة المبادئ التي جاءت بها النظريات

السلوكية والتي تستند إلى مبادئ الارتباط والخبرات المعززة بيئياً ، وفئة المبادئ التي جاءت بها النظريات المعرفية والتي تستند إلى العمليات المعرفية والعقلية .

مبادئ التعلم السلوكية:

تنظر السلوكية إلى التعلم على أنه بمثابة عملية تشكيل ارتباطات بين استجابات ومثيرات معينة بحيث تقوي أو تضعف مثل هذه الارتباطات في ضوء طبيعة الخبرات البيئية التعزيزية أو العقابية . وتؤكد مثل هذه النظريات دور العوامل البيئية في حدوث عملية التعلم هذه ، وترى أن معظم السلوك الإنساني هو من النوع المكتسب الذي تحكمه مبادئ معينة . ومن هذا المنطلق فهي ترى أن نوع التعلم يعتمد على طبيعة الخبرات التي توفرها البيئة ، وأن الفروق في الأنماط السلوكية والخبرات بين الأفراد يمكن ردها جزئياً إلى طبيعة الخبرات التي يشكلونها عن المثيرات والمواقف التي يتعرضون لها في بيئاتهم عبر فرص الممارسة والتدريب .

لقد عمدت النظريات السلوكية المختلفة إلى صياغة ووضع العديد من المبادئ التي تحكم عمليات التعلم لدى الإنسان والحيوان على السواء من خلال إجراء كم هائل من الابحاث التجريبية بهذا الشأن ، ويمكن توضيح هذه المبادئ على النحو الآتي :

مبادئ التعلم الاشراطي Classical Conditioning :

تعرف هذه المبادئ باسم مبادئ الاشراط الكلاسيكي في التعلم ، ويرجع الفضل في ظهورها إلى كل من عالم النفس الروسي ايفان بافلوف وعالم النفس الأمريكي واطسون . كما ساهم عدد من علماء النفس الأمريكيين أمثال هل وجثري وايستس في تطوير العديد من الأفكار المتعلقة بهذا النوع من التعلم (Hill, 1990) .

تستند فكرة التعلم من خلال الاشراط إلى مبدأ الاقتران ، ويقصد به التجاور أو التزامن بين مثيرين أو حدثين . فوفقاً لهذا المبدأ ، فإنه إذا اقترن مثير محايد (غير قادر على إحداث استجابة) مع مثير طبيعي (قادر بطبيعته على إحداث استجابه ما) لعدد من المرات ، فإن المثير المحايد على الغالب يكتسب صفة المثير الطبيعي ، بحيث يصبح قادراً على إحداث الاستجابة التي يحدثها المثير الطبيعي ، وهذا يعني أننا نتعلم استجابة أو سلوكاً معيناً حيال حدث أو مثير ما نتيجة اقتران هذا الحدث أو المثير لعدد من المرات بمثير أو حدث آخر يستجر بطبيعته تلك الاستجابة لدينا . ففي إحدى تجارب واطسون ، تعلم الطفل سلوك الخوف من الأرنب (المثير المحايد) نتيجة اقترانه بالصوت المدوي (مثير طبيعي) . فالصوت المدوي (المرتفع) يستجر على نحو طبيعي استجابة الخوف أو الفزع ، حيث إننا فطرياً نستجيب بمثل هذه

الاستجابة ، ومثل هذه الاستجابة لا إرادية أي غير متعلمة . أما الأرنب فيعد مثيراً محايداً بالأصل لا يحدث أي نوع من الاستجابة ، ولكن نتيجة لاقتران الأرنب بالصوت المدوي لعدد من المرات ، فإن الطفل تعلم أن يستجيب له بنفس الاستجابة التي يحدثها الصوت المدوي وهي الفزع والخوف .

ولتوضح مبدأ الاقتران ، فلنأخذ المثال التالي ، وهو مستمد من إحدى تجارب بافلوف في الاشراط على الكلاب :

الطعام (مثير طبيعي) ←—— سيلان اللعاب (استجابة طبيعية غير متعلمة) .

صوت الجرس (مثير محايد) ←—— لا استجابة .

صوت الجرس (م ح) + الطعام (م ط/ م غ ش) ←—— سيلان اللعاب (س ط/ س غ ش)

صوت الجرس (م ح) + الطعام (م ط/ م غ ش) ←—— سيلان اللعاب (س ط/ س غ ش)

صوت الجرس (م ح) + الطعام (م ط/ م غ ش) ←—— سيلان اللعاب (س ط/ س غ ش)

صوت الجرس (م ش) ←—— سيلان اللعاب (س ش) .

ففي التجربة أعلاه ، نلاحظ أن الطعام هو مثير طبيعي (غير شرطي) يؤدي إلى حدوث استجابة سيلان اللعاب لدى الكلاب وهي استجابة فطرية طبيعية (غير شرطية) ؛ أي غير متعلمة . في حين نجد أن صوت الجرس هو مثير محايد لا يحدث أي رد فعل لدى الكلاب . ولكن نتيجة لاقتران صوت الجرس بالطعام لعدد من المرات ، فقد أصبح مثيراً شرطياً قادراً على إحداث استجابة شرطية لدى الكلاب وهي سيلان اللعاب . وهكذا فقد تعلمت الكلاب استجابة سيلان اللعاب لصوت الجرس وفقاً لمبدأ الاقتران .

إن قوة التعلم الناتج من خلال الاشراط يعتمد على عدد من العوامل تتمثل بالآتي :

1- تزداد الاستجابة الشرطية المتعلمة قوة واستمرارية تبعاً لعدد مرات التدعيم ، أي عدد مرات ظهور المثير غير الشرطي بعد المثير الشرطي . فكلما زادت عدد مرات الاقتران بين المثير الشرطي والمثير غير الشرطي ، زادت الاستجابة الشرطية قوة واستمرارية .

2- يعتمد ظهور الاستجابة الشرطية للمثير الشرطي على الفاصل الزمني الذي يفصل المثير الشرطي عن المثير غير الشرطي . فكلما كان الفاصل الزمني بينهما قصيراً كانت الاستجابة الشرطية أكثر قوة واستمراراً .

3- حتى يحدث التعلم من خلال الاشراط يجب أن يسبق المثير الشرطي المثير غير الشرطي ، إذ إن ظهور المثير غير الشرطي قبل المثير الشرطي لا يؤدي إلى حدوث التعلم ، لأن الاستجابة ستكون (تحصيل حاصل) للمثير الطبيعي (غير الشرطي) .

4- يعتمد التعلم الاشراطي على شدة المثير غير الشرطي الذي يقترن بالمثير الشرطي والذي يعمل بمثابة التدعيم للاستجابة الشرطية ، فكلما كان المثير غير الشرطي جذاباً وذا فاعلية في الكائن الحي ، كانت الاستجابة الشرطية المكتسبة أكثر قوة .

هناك الكثير من الاستجابات الشرطية التي تتشكل لدى أفراد القوات المسلحة ، فعلى سبيل المثال ، نجد أن الأفراد قبل الانضمام إلى سلك الجندية لا يهتمون كثيراً بالضباط أو مَن يحملون الرتب العسكرية ، ولكن عندما ينضمون إلى القوات المسلحة ، تتشكل لديهم استجابه اشراطية ممثلة في احترام الضباط والقاء التحية العسكرية لهم وذلك نظراً لاقتران الضباط بالرتبة العسكرية أو السلطة . ونجد أن الأفراد سرعان ما يكونون تحت أهبة الاستعداد عند سماع صفارة الإنذار ، كما أنهم يظهرون استجابة الانتباه عندما يصطفون في الطابور أو يدعون إلى ذلك .

الانطفاء أو المحو Extenction :

تميل الاستجابة الشرطية إلى الزوال التدريجي بحيث لا تعود بالظهور للمثير الشرطي في حال استمرار ظهور المثير الشرطي لعدد من المرات دون أن يتم تدعيمه بالمثير غير الشرطي . إن استمرار تقديم المثير الشرطي لوحده لعدد من المرات دون أن يتم اتباعه بالمثير غير الشرطي من شأنه أن يؤدي إلى انطفاء الاستجابة المتعلمة للمثير الشرطي .

الاسترجاع التلقائي Spantous recovery :

يمكن للاستجابة الشرطية المنطفئة أن تعود إلى الظهور مرة أخرى للمثير الشرطي بالرغم من عدم اقترانه أو تدعيمه بالمثير غير الشرطي . ويلاحظ أن عملية إعادة اشراط الاستجابة الشرطية المنطفئة تكون أسهل من عملية تكوينها أو تعلمها ، حيث يكفي اقتران المثير الشرطي بالمثير غير الشرطي لمرة واحدة حتى تعود هذه الاستجابة إلى الظهور ، أما في حالة الاكتساب فقد يتطلب الأمر تكرار الاقتران بين المثير الشرطي وغير الشرطي عدة مرات لتشكيل الاستجابة الشرطية .

التعميم والتمييز Generalization & Discrimenation :

يشير مفهوم التعميم إلى الاستجابة بنفس الطريقة لعدد من المثيرات المتشابهة غير المتطابقة ، فالاستجابة الشرطية المتعلمة لمثير شرطي معين يمكن استخدامها مع مثيرات أخرى مشابه لذلك المثير ، وخير مثال على ذلك الجندي الذي يتعلم أداء التحية لضابط معين يقوم بمثل هذه الاستجابة إلى جميع الضباط الآخرين .

أما مفهوم التمييز فيشير إلى تعلم التفريق بين المثيرات والاستجابة لها بطرق مختلفة . فمن خلال ، الخبرة يكتشف الفرد أن المثيرات المتشابهة تختلف في خصائصها أو ما ترتبط به من مثيرات طبيعية ، مما يؤدي به بالتالي إلى الاستجابة لها بطرق مختلفة .

التطبيقات العسكرية :

يمكن استخدام بعض مبادئ هذا النموذج في عدد من المسائل العسكرية وذلك على النحو التالي :

أولاً : يمكن توظيف مبدأ الاقتران لخلق استجابة الخوف والهلع وتوليد حالة من الفوضى في صفوف الأعداء من خلال استخدام الأصوات العالية والمدوية مع بدء الهجوم على قطاعاته المتعددة . إن مثل هذا الإجراء تم استخدامه من قبل القوات الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية ، إذ كانت الطائرات تحمل أجهزة تصدر صوتاً مرتفعاً عند عمليات الهجوم وذلك لخلق حالة من الرعب والفوضى في صفوف قوات الحلفاء .

ثانياً : يمكن استخدام كل من مبدأ التعميم والتمييز لتدريب أفراد القوات المسلحة على التعامل مع المواقف المختلفة . فمن خلال التعميم يمكن مساعدتهم على نقل أثر التعلم في موقف ما إلى مواقف أخرى تتشابه معه أو تشترك معه في عناصر معينة ، كما أنه من خلال التمييز يمكن تدريب الأفراد على كيفية التعامل مع الأنواع المختلفة من الأسلحة والمواقف العسكرية على نحو يساعدهم في استخدامها بشكل فعال .

ثالثاً : يمكن من خلال مبدأ إزالة فرط الحاسية التدريجي المتمثل في إزالة الاقتران بين مثير معين واستجابه ما يحدثها ، إعداد الأفراد وتهيئتهم إلى جو المعارك الذي يمتاز بالرهبة والخوف ، فمن خلال مواقف إعدادية عسكرية مثل المناورات العسكرية يمكن تهيئة الجنود نفسياً إلى أجواء المعارك الحقيقية ، مما يساعدهم بالتالي على التكيف مع ظروف الحرب المختلفة والتقليل من عوامل الخوف والفزع لديهم .

التعلم من خلال المحاولة والخطأ Trail & error Learning :

يرى ثورنديك أن هناك مبادئ أخرى غير الاقتران يمكن من خلالها تشكيل الارتباطات بين استجابات ومثيرات معينة ، فهو يرى أن تعلم الأنماط السلوكية حيال المواقف المثيرية المتعددة

يأتي من خلال مبدأ المحاولة والخطأ . فالتعلم حسب وجهة نظره هو بمثابة تشكيل ارتباطات تتم بين مثيرات واستجابات معينة على النحو التالي (مثير - استجابة) ، وأن مثل هذه الارتباطات هي نتاج خبرات الفرد بنجاح أو فشل محاولاته .

فعندما يواجه الفرد موقفاً أو مثيراً معيناً ، فإن هذا المثير يشكل بحد ذاته موقفاً إشكالياً بالنسبة للفرد يتطلب منه القيام باستجابة ما حياله . وحسب رأي ثورنديك ، فإن لدى الفرد القدرة على إصدار الاستجابات المتعددة ، وهي بمثابة محاولات تصدر عنه اتجاه ذلك الموقف بحيث يعمل على نحو تدريجي بالتخلي عن الاستجابات الفاشلة أو غير المناسبة ويحتفظ فقط بالاستجابة الصحيحة ؛ أي تلك التي تنسجم مع ذلك الموقف المثيري . وفي ضوء ذلك يتشكل الارتباط بين ذلك الموقف المثيري وتلك الاستجابة ، ويقصد ثورنديك بالارتباط الوصلات العصبية التي تتشكل بين مجموعة من الخلايا العصبية التي تتأثر بالمثير والانطباعات الحسية المتعلقة به وبين مجموعة أخرى من الخلايا العصبية التي تتسبب في حدوث استجابة معينة لذلك المثير . ويؤكد أن مثل هذه الارتباطات (الوصلات) تقوى أو تضعف في ضوء الأثر البعدي المترتب عليها والمتمثل بالنجاح أو الفشل .

قانون الأثر Law of Effect :

ما الذي يحدد ارتباط استجابة ما بمثير معين ؟ ولماذا يتم التخلي عن بعض المحاولات (الاستجابات) في موقف مثيري معين ، في حين يتم الاحتفاظ باستجابة ما ؟ إن بقاء الاستجابات والاحتفاظ بها أو عدمه يعتمد على الأثر البعدي المترتب عليها . يرى ثورنديك أن الاستجابات التي تتبع بنوع من الرضى والسرور تقوى ويتم الاحتفاظ بها ليتكرر استخدامها في الموقف المثيري الذي ترتبط به ، أي أن الارتباطات تقوى إذا اتبعت بحالة من الرضى والسرور ، في حين أنها تضعف إذا اتبعت بحالة من الانزعاج وعدم الرضى . وانطلاقاً من ذلك ، فالفرد عندما يقوم بمحاولات سلوكية حيال موقف مثيري معين ، فإنه يتخلى عن بعض المحاولات لأنها فاشلة نتج عنها حالة من عدم الرضى والارتياح ، ولكنه يحتفظ في محاولة أو بعض محاولات لأنها ناجحة ترتب عليها حالة من الرضى والارتياح . فعلى سبيل المثال ، ولد عمره ثماني سنوات يريد تناول قطعة حلوى موجودة في مكان مرتفع ، فنجده في إحدى محاولاته يمد يده لتناولها فإن فشلت ، نجده يلجأ إلى محاولة أخرى مثل وضع الكرسي والصعود عليه لتناول قطعة الحلوى ، فإذا ما فشلت هذه المحاولة فقد يلجأ إلى محاولة أخرى مثل اسقاط قطعة الحلوى باستخدام عصا ، فإذا نجحت هذه المحاولة فإنها ترتبط بذلك الموقف المثيري لأنها كانت ناجحة ونتج عنها حالة من الرضى والارتياح . وانطلاقاً من ذلك يمكن صياغة قانون الأثر على النحو الآتي :

1- تقوى الارتباطات بين المثيرات والاستجابات إذا اتبعت الاستجابات بحالة من الرضى والسرور .
2- تضعف الارتباطات بين المثيرات والاستجابات إذا اتبعت الاستجابات بحالة من الضيق والانزعاج .

قانون الاستعداد The Law of Readiness :

يرى ثورنديك أن قابلية الفرد للتعلم أو القيام بتنفيذ سلوك ما في موقف مثيري معين يتوقف على الظروف التي يكون فيها الفرد في حالة ارتياح أو عدم ارتياح . ويقصد بذلك حالة التهيؤ العصبي والمزاجي التي يمر فيها الفرد في لحظة من اللحظات . يتخذ هذا القانون أشكالاً ثلاثة هي :

1- إذا كان الفرد مستعداً (أي أن الوصلة العصبية مستعدة) للعمل وكانت الظروف مشجعة لذلك ، فإن السلوك الناتج يترافق بحالة من الرضى والارتياح للفرد .
2- إذا كان الفرد مستعداً (أي أن الوصلة العصبية مستعدة) للعمل ، وكانت هناك عوائق تمنع ذلك ، فإن السلوك قد لا يحدث وينتج عن ذلك حالة من الانزعاج وعدم الرضى .
3- إذا كان الفرد غير مستعد (أي أن الوصلة العصبية غير مستعدة) للعمل وأجبر الفرد على العمل ، فإن ذلك ينتج عنه حالة من عدم الرضى والارتياح لدى الفرد .

قانون الاستعمال والإهمال The Law of Use and Disuse :

يرى ثورنديك أن الارتباطات تقوى بالاستعمال وتضعف بالإهمال . فالاستجابات المتعلمة تزداد قوة تبعاً لتكرار مرات الاستخدام ، لكنها تضعف أو تزول بالإهمال أو عدم الاستعمال . ويؤكد ثورنديك أن تثبيت الاستجابات الصحيحة وتكرارها في موقف مثيري معين يتوقف على الأثر السار الذي تحدثه . ومن هنا فإن التدريب على المهارات والأنماط السلوكية يجب أن تتبع بالتغذية الراجعة المناسبة حتى يتم تعلم واتقان مثل تلك المهارات . ويقصد بالتغذية الراجعة الأثر الذي يتبع السلوك والذي قد يأخذ شكل التدعيم أو التصويب أو شكل إعطاء الارشادات والنصائح .

بالإضافة إلى المبادئ السابقة ، أضاف ثورنديك قوانين فرعية أخرى لها علاقة بالتعلم وتتمثل هذه المبادئ بالآتي :

قانون الاتجاه The Law of Attitude :

يتحدد التعلم في موقف ما بطبيعة الاتجاه الذي يحمله الفرد حيال موضوع التعلم . فالاتجاه هو بمثابة استجابة انفعالية مكتسبة نحو أشياء أو أشخاص أو أماكن أو مواضيع يعبر عنها

الفرد بالحب أو الكره . وقد يكون الاتجاه قوياً أو ضعيفاً أو متوسطاً ، وقد يكون بالاتجاه الموجب أو السالب أو المحايد . فالشخص الذي يحمل مشاعر الكره لموضوع معين ، فهو بالغالب لا يقبل على هذا الموضوع ويحاول تجنبه ، أما الفرد الذي لديه اتجاه موجب نحو ذلك الموضوع فنجده متحمساً له وينجذب نحوه . فعلى سبيل المثال ، الطالب الذي يكره مادة الرياضيات نجده لا يُقبل على دراستها ويكره حصة الرياضيات ومدرسها أيضاً .

قانون قوة العناصر Law of Prepotincy of Elements :

ويقصد بذلك أن الفرد في الموقف المثيري يختار العنصر (المثير) الأقوى ويستجيب له بالوقت الذي يهمل المثيرات الأخرى ويكف استجاباته لها . وهذا يعني بالطبع ، أن مثل هذا المثير يقع على جانب من الأهمية بالنسبة للفرد . فعلى سبيل المثال ، نجد أن الجندي في ساحة المعركة يعطي انتباهاً إلى المثيرات التي يتوقع أنها تنطوي على مخاطر أكثر من المصادر الأخرى التي لا تشكل مصدراً محتملاً للخطر . كما أن الجائع يستجيب إلى المثيرات التي تتعلق بالطعام ويهمل المثيرات الأخرى التي ليس لها علاقة بذلك .

قانون الاستجابة بالمماثلة Law of Response by Analogy :

إن الاستجابة التي تم تعلمها في موقف مثيري معين يمكن استخدامها في مواقف أخرى جديدة مشابهة لذلك الموقف ؛ أي الاستجابة للمواقف الجديدة على نحو مماثل للاستجابة في موقف سابق مشابه لتلك المواقف . فعلى سبيل المثال ، الولد الذي تعلم تناول قطعة الحلوى باستخدام العصا قد يستخدم هذه الاستجابة لإسقاط الكرة عندما تعلق في مكان مرتفع أو في اسقاط حبة التفاح عن الغصن المرتفع . وهكذا نجد أن هذا القانون يماثل مبدأ التعميم الذي ورد ذكره سابقاً في معرض الحديث عن الاشراط الكلاسيكي .

التطبيقات العسكرية :

يمكن توظيف مبادئ هذا النوع من التعلم في العديد من المجالات والمسائل ذات الطابع العسكري ، والتي تتمثل بالنواحي التالية :

أولاً : إعداد برامج التدريب النوعي على استخدام الأسلحة والأدوات الالكترونية والرماية وصيانة المعدات والتدريب على المهارات الفنية والمعضلات العقلية . وحتى يكون هذا التدريب فعالاً يجب التنويع في البرامج التدريبية بحيث لا تقتصر على جوانب محددة . إن مثل هذا البرامج تم استخدامها خلال الحرب العالمية الثانية وقد أثبتت فعاليتها في تدريب الجنود على المهارات العسكرية المتعددة .

ثانياً : تنمية المهارات القتالية لدى أفراد القوات المسلحة من خلال استخدام برامج تدريبية خاصة تمكنهم التعلم من خلال مبدأ المحاولة والخطأ . وخير مثال على ذلك : المناورات العسكرية واللوحات الرملية والمعضلات العقلية المتعلقة بكيفية التعامل مع العديد من المشكلات والمعضلات العسكرية . وحتى يكون هذا التدريب فعالاً يجب تزويد الأفراد بالتغذية الراجعة المناسبة .

ثالثاً : توظيف مبدأ قوة العناصر لتدريب الأفراد على كيفية تمييز الأهداف العسكرية الرئيسة للاهتمام بها دون غيرها في ظل مختلف الظروف سواءً في أوقات السلم أو في أوقات الحرب .

رابعاً : التعلم من خلال العمل والتجربة الشخصية المباشرة وذلك بتعريض أفراد القوات المسلحة لمختلف الظروف المناخية والجغرافية لاكتشاف أفضل الأساليب للتعامل مع تلك الظروف .

خامساً : العمل على تهيئة أفراد القوات المسلحة للقيام بالمهمات التي توكل إليهم من خلال إثارة الاستعداد المناسب لديهم . وهذا بالطبع يتطلب توفير معلومات كافية لأفراد القوات المسلحة عن طبيعة المهمات المراد تنفيذها ، وبيان الآثار الايجابية المترتبة عليها لأن مثل ذلك من شأنه أن يثير لديهم الحماس والشغف للعمل .

التعلم الإجرائي Operant Learning :

يعد بروس أف سكنر من أشهر علماء النفس السلوكيين اهتماماً بهذا النوع من التعلم . وبالرغم من أن هذا النموذج يعد امتداداً لنموذج التعلم بالمحاولة والخطأ ونموذج الاشراط الكلاسيكي ، إلا أنه يتخذ منحىً مغايراً في تفسيره لعملية التعلم . ففي الوقت الذي يرى فيه ثورنديك أن الارتباط بين المثير والاستجابة يتشكل وفقاً لمبدأ المحاولة والخطأ بحيث يتعزز مثل هذا الارتباط بالأثر البعدي الايجابي الذي يتلو تلك الاستجابة . وفي الوقت الذي فيه يؤكد أن الاستجابة تظهر لدى الكائن الحي كمحصلة لوجود مثير قبلي (موقف اشكالي) يعمل على إثارتها لدى الكائن الحي (مثير ــ استجابة) ، نجد أن سكنر في نموذج التعلم الإجرائي يفترض أن الاستجابات تظهر لدى الفرد على نحو ارادي دون الحاجة بالضرورة لوجود مثيرات قبلية لاستثارتها ، بحيث يعتمد بقاء مثل هذه الاستجابات والاحتفاظ بها وتكرارها لاحقاً على النتائج المترتبة عليها . وبذلك ، فإن هذا النوع من التعلم يستند إلى المبدأ التالي (استجابة ـــ مثير) ، وينطلق من افتراض رئيس مفاده « إن كل سلوك محكوم بنتائجه » . ويرى سكنر أن المثيرات القبلية التي تسبق السلوك أحياناً لا تعد بالضرورة المسبب الحقيقي

لحدوث مثل ذلك السلوك ، فالمثيرات القبلية هي بمثابة محددات تمييزيه تهيئ إلى ظهور استجابة معينة . فعلى سبيل المثال ، الشخص المدخن قد يتناول السيجارة ويقوم بتدخينها بوجود فنجان القهوة أو عدمه ، ولكن في حال وجود فنجان القهوة ، فهو يعمل كمثير تمييزي لظهور استجابة التدخين .

يميز سكنر بين نوعين من السلوك اعتماداً على نوع التعلم وهما : السلوك الاستجابي الذي يتم اكتسابه وفقاً لمبدأ الاشراط أو الاقتران الذي ورد ذكره سابقاً . وفي هذا النوع يتم تعلم تقديم استجابة لا إرادية يحدثها مثير طبيعي خاص بها إلى مثير محايد من خلال اقترانه لعدد من المرات بالمثير الطبيعي . ويرى أن مثل هذا النوع من التعلم محدود في نطاقه (الزغول والهنداوي ، 2002) ، إذ لا يمكن من خلاله تفسير كافة الأنشطة والأنماط السلوكية الإنسانية نظراً لأن عدد المثيرات الطبيعية والاستجابات اللاإرادية التي تحدثها قليلة العدد .

أما النوع الثاني من السلوك ، فهو السلوك الإجرائي والذي يشير إلى كافة الأنماط والأنشطة السلوكية الإرادية المكتسبة التي يظهرها الأفراد في المواقف الحياتية المتعددة . ويرى أن مثل هذه الاستجابة تحدث تغييراً في البيئة ، وهي تصدر على نحو إرادي تلقائي من قبل الأفراد ويتعزز استمرار مثل هذه الاستجابات وبقاؤها على النتائج البعدية التي تتلوها (Ormord, 1999) . فكما أسلفنا سابقاً ، إن مثل هذه الاستجابات محكومة بنتائجها والتي قد تكون تعزيزية أو عقابية . فالفرد يكرر سلوكاً ما لأنه سبق وأن قام بمثل هذا السلوك وكانت نتائجه معززة له ، ويميل إلى عدم تكرار سلوك ما لأنه سبق وأن قام بمثل هذا السلوك وكانت نتائجه عقابية . وهكذا نجد أن سكنر أكد دور كل من التعزيز والعقاب في تعلم الأنماط السلوكية والاحتفاظ بها وتكرار استخدامها لاحقاً .

لقد أجرى سكنر مئات التجارب على الحيوانات ولاسيما الفئران والحمام منها لإثبات أهمية كل من العقاب والتعزيز في تشكيل الأنماط السلوكية وفي عمليات الاحتفاظ والصيانة لهذه السلوكات ، علماً أنه لن يتم التعرض لمثل هذا التجارب هنا لأنها خارج نطاق اهتمام هذا الكتاب .

توابع السلوك Behavior Consquences :

يمكن النظر إلى توابع السلوك على أنها النتائج التي تتلوه ، وقد تكون تعزيزية بحيث تعمل على تقويته وتزيد من احتمالية ظهورة لاحقاً ، أو عقابية تعمل على إضعافه وتقليل احتمالية تكراره مستقبلاً . وهذا بالتالي يقودنا إلى الحديث عن مفهومي التعزيز والعقاب وأثرهما في عمليات التعلم .

التعزيز Reinforcement :

التعزيز بالمفهوم العام هو مثير مرغوب فيه أو حالة سارة تتبع سلوكاً ما بحيث يعمل على تقويته وزيادة احتمالية ظهوره مستقبلاً . فالمعزز هو مثير يمتاز بخاصية الفعالية في التأثير في نفسية الفرد واتجاهاته ، وقد يأخذ أشكالاً متعددة مثل المعززات الرمزية أو المادية أو الاجتماعية ، كما قد تكون المعززات داخلية المنشأ تأتي من داخل الفرد أو خارجية المنشأ ، أي من خارج الفرد . وعموماً ، يعتبر المثير معززاً إذا كان يمتلك خاصية التأثير في نفسية الفرد على نحو يدفعه إلى بذل المزيد من الجهد والعمل . هذا ويمكن النظر إلى نوعين من التعزيز اعتماداً على كيفية الإجراء المستخدم في التعزيز وهما :

أولاً : التعزيز الايجابي Positive Reinforcement :

ويقصد بهذا الإجراء : التعزيز من خلال الإضافة ، أي إتباع السلوك المرغوب فيه بمثير تعزيزي أو حالة سارة ، وخير مثال على ذلك ، منح الجندي إجازة نظراً لتفوقه في الرماية ، أو تعزيز الجندي بمكافأة مالية لتنفيذه الأعمال الموكلة إليه على أتم وجه . ففي المثالين السابقين ، نلاحظ أن سلوك الرماية والسلوك المتمثل بتنفيذ الأعمال تم تعزيزهما بمكافآت (الإجازة ، المكافأة المادية) بهدف تقوية مثل هذه السلوكات والحفاظ عليها لدى الجندي .

ثانياً : التعزيز السلبي Negative Rein Forcement :

ويقصد بهذا الإجراء : التعزيز من خلال الإزالة أو التعزيز بالحذف ، أي من خلال إزالة مثير غير مرغوب فيه أو حالة مؤلمة بالنسبة للفرد كتعزيز له على قيامه بسلوك مرغوب فيه . ومن الأمثلة على ذلك ، إعفاء الجندي من الوظيفة الليلية نظراً لاحترامه القوانين والأنظمة العسكرية ، أو إعفاء الجندي من حضور الطابور الصباحي لاهتمامه بهندامه العسكري . ويلاحظ هنا أن التعزيز للسلوك جاء من خلال إزالة مثيرات أو حالات غير سارة أو مرغوب فيها .

العقاب Punishment :

يمكن النظر إلى العقاب على أنه بمثابة مثير غير مرغوب فيه أو حالة مؤلمة تتبع السلوك بحيث تعمل على إضعافه وتقليل احتمالية ظهوره لاحقاً . وكما هو الحال في التعزيز ، فيمكن النظر إلى المثير العقابي على أنه حدث أو حالة ذات تأثير نفسي تسبب الضيق وعدم الارتياح لدى الفرد ، ويترتب عنها كف أو تجنب القيام بالسلوكات التي تحدثها . وقد تأخذ المثيرات العقابية أشكالاً مختلفة مثل : المثيرات العقابية الرمزية أو الاجتماعية أو المادية ، كما وقد

تكون داخلية أو خارجية المنشأ . وعموماً ، يعتبر المثير مثيراً عقابياً إذا كان يمتلك خاصية التأثير النفسي على نحو يؤدي إلى إضعاف السلوك الذي يتم عقابه . ومن حيث الإجراء يمكن النظر إلى نوعين من العقاب هما :

أولاً : العقاب الايجابي Positive Punishment :

ويقصد بهذا الإجراء : العقاب من خلال الإضافة ، أي إتباع السلوك غير المرغوب فيه بحالة غير سارة أو مثير مؤلم بهدف إضعاف هذا السلوك ومنع حدوثه لاحقاً . ومن الأمثلة على هذا النوع ، تكليف الجندي المخالف بوظائف إجبارية أو إضافية ، أو توبيخ الجندي لعدم انضباطه ، أو فرض عقوبة السجن عليه بسبب اهماله للواجبات الموكلة إليه . وهكذا فإننا نلاحظ هنا أن سلوكات الجندي غير المرغوبة تم عقابها من خلال تقديم مثيرات أو حالات غير مرغوب فيها بالنسبة لذلك الجندي بهدف إضعاف مثل هذه السلوكات لديه ومنع قيامه بها مستقبلاً .

ثانياً : العقاب السلبي Negative Punishment :

ويتم في هذا الإجراء ايقاع العقاب من خلال الحذف أو الإزالة ، أي من خلال إزالة مثيرات مرغوب فيها أو أحداث سارة بالنسبة للفرد نظراً لقيامه بسلوك غير مرغوب فيه . ويكمن الهدف من إزالة المثيرات المرغوب فيها منع أو كف ظهور سلوكات غير مرغوب فيها لدى الفرد . وخير مثال على ذلك ، حرمان الجندي من الإجازة بسبب إهماله بالوظيفة ، أو حسم الراتب بسبب عدم التزامة بالتعليمات أو نقله إلى وظيفة صعبة بسبب استخفافه بالواجبات العسكرية ، أو تنزيل الرتبة العسكرية بسبب انتهاك الأنظمة المعمول بها . وهنا نلاحظ أن عقاب السلوك غير المرغوب فيه تمثل في إزالة مثيرات مرغوب فيها بالنسبة للجندي أو حرمانه من بعض الامتيازات .

يرى سكنر أن التعزيز أكثر فعالية في السلوك من العقاب ؛ فالعقاب ولاسيما الايجابي منه والذي يستند إلى وسائل مثل الضرب أو التوبيخ والشتم ربما لا يضعف السلوك ، لا بل على العكس من ذلك ، فقد يزيد من شدة هذا السلوك أو ربما يتسبب في ظهور ردات فعل عدوانية أو أنماط سلوكية أخرى غير مرغوب فيها مثل الكذب أو الغش أو الخداع تجنباً للعقاب . وهذا بالطبع ، لا يعني عدم اللجوء إلى استخدام العقاب ولكن يتطلب أخذ الحذر والحيطة عند استخدامه على نحو يكفل تحقيق النتائج المرجوة منه (جازادا وريموندجي ، 1983) .

جداول التعزيز Schedules of Reinforcement :

تتمثل اسهامات سكنر في دراسة السلوك بما يعرف بجداول التعزيز ، فهي تكاد تكون من أهم الاسهامات في مجال التعلم من حيث حدوثه والاحتفاظ به . ومثل هذه الجداول يمكن أن تكون فعالة في عمليات اكتساب السلوك والحفاظ عليه وضبطه وتوجيهه إذا ما تم توظيفها بطريقة نظامية . وتمتاز مثل هذه الجداول بالإجرائية وسهولة الاستخدام من جهة ، وإمكانية تطبيقها في مختلف المجالات الحياتية من جهة أخرى مثل المجالات العسكرية والإدارية والتربوية ، حيث يمكن للآباء والمربين والمدراء والقادة العسكريين وغيرهم من استخدامها لإكساب الأفراد العادات والأنماط السلوكية المرغوب فيها ، أو في عمليات ضبط السلوك وتوجيهه لديهم . وتتمثل هذه الجداول بالآتي :

جداول التعزيز المستمر Continuos Reinforcement :

تستخدم مثل هذه الجداول لغايات تشكيل السلوكات والعادات لدى الأفراد ، أي أنها تستخدم في بداية عمليات التعلم ، وتهدف إلى تعليم الأفراد المهارات والعادات وأنماط السلوك الأخرى التي لم تكن موجودة لديهم بالأصل . فوفقاً لهذه الجداول يتم تحديد السلوك والمهارة المراد اكسابها إلى الأفراد بحيث يتم تدريب الأفراد على هذا السلوك ، ويصار إلى تعزيزهم على مثل هذا السلوك وفق إجراءات التعزيز التي تنطوي عليها مثل هذه الجداول . ففيها يتم تعزيز هذا السلوك في كل مرة يظهر فيها ، وتستمر عملية التعزيز هذه إلى أن يصل السلوك إلى مستوى الأداء القبول أو المحدد ، وعندها يتوقف التعزيز ليصار إلى استخدام جداول التعزيز المتقطع .

وتجدر الإشارة هنا ، أن هناك فئتين من السلوك وهما : فئة السلوكات البسيطة والتي يتم تعلمها وتنفيذها بخطوة واحدة ، وخير مثال على ذلك ، سلوك الاستئذان . فعند تعليم الطفل هذا السلوك ، يجب تعزيز الطفل بالاستجابة له أو تقديم نوع من التعزيز له عندما يلفظ عبارة «لو سمحت ، من فضلك ، لو تكرمت» وذلك عندما يريد طلباً ما من والديه ، وهكذا يجب الاستمرار في تعزيز الطفل في كل مرة يستخدم فيها الطفل هذه العبارة إلى أن تصبح هذه العبارة شبه عادة أو يستخدمها على نحو آلي في تعامله مع الآخرين ، ثم يتم التوقف عن استخدام التعزيز المستمر لأن مثل هذه القيمة أصبحت سلوكاً شبه ثابت يمارسه الطفل باستمرار .

أما الفئة الثانية من السلوكات فهي السلوكات المعقدة مثل : قيادة السيارة أو الكتابة أو الرماية أو استخدام الأدوات أو الأنماط السلوكية الاجتماعية أو العقلية . فمثل هذه السلوكات لا يمكن تعلمها دفعة واحدة . وهذا بالتالي يتطلب تحليل هذه السلوكات وتقسيمها إلى أجزاء بحيث يتم تعليمها للفرد على نحو تدريجي (خطوة -خطوة) وفق إجراءات تعزيزية مجدولة من خلال إجراء يعرف باسم التقريب التتابعي . وفيه يتم استخدام التعزيز التفاضلي ، بحيث يصار إلى تعزيز كل استجابة صحيحة تكون باتجاه تحقيق السلوك النهائي وعدم تعزيز الاستجابات الخاطئة . وهكذا يستمر تقديم التعزيز للاستجابات الجزئية الصحيحة إلى أن يتشكل السلوك المطلوب لدى الأفراد (Marten & Pear, 1999) .

جداول التعزيز المتقطع Intermittnent Reinforcement :

وتستخدم مثل هذه الجداول من أجل الحفاظ على السلوكات التي تم تشكيلها لدى الأفراد وتقويتها . ففي مثل هذه الجداول ، يتم تعزيز هذه السلوكات في بعض الحالات أو الظروف وعدم تعزيزها في حالات أو ظروف أخرى ، وذلك من خلال إجراء يعرف بالتعزيز التفاضلي ، وقد يتم التعزيز في هذه الجداول وفقاً لمحك زمني أو محك نسبي وذلك حسب الغرض من البرنامج ونوع السلوك . وعموماً فإن الهدف من هذه الجداول يكمن في الحفاظ على السلوكات وتقويتها وضبطها وتوجيهها . تقع هذه الجداول في نوعين هما :

أولاً : جداول تعزيز الفترات Interval Schedules :

وفي هذه الجداول يتم تعزيز السلوك المراد تقويته والحفاظ عليه وفقاً لمحك زمني قد يكون ثابتاً أو متغيراً وذلك على النحو الآتي :

أ- جداول تعزيز الفترات الثابتة Fixed Intervals : يتم تعزيز السلوك في هذه الجداول وفقاً لفاصل زمني ثابت ، حيث إن الفترات الزمنية التي تفصل بين مرات تقديم التعزيز تكون ثابتة ومنتظمة . وخير مثال على ذلك ، الاجازات التي تعطى للجنود في نهاية كل أسبوع ، أو العمل وفق نظام الشفتات ، أو الراتب الذي يتقاضاه الموظف في نهاية كل شهر تقديراً له على مجهوده وعمله .

ب- جداول تعزيز الفترات المتغيرة Variable Intervals : يتم تعزيز السلوك في هذه الجداول وفقاً لفاصل زمني غير ثابت أو منتظم ، إذ إن الفترات الزمنية التي تفصل بين مرات إعطاء التعزيز تكون متغيرة غير ثابتة . ومن الأمثلة على ذلك ، الاجازات العرضية أو المكافآت والحوافز التي تقدم للجنود في الأزمنة المختلفة كمعززات لسلوكهم .

ثانياً : جداول تعزيز النسب Ratio Schedules :

يتم تقديم التعزيز في هذه الجداول اعتماداً على حجم السلوك أو عدد الاستجابات ، وقد يقدم وفقاً لعدد ثابت (نسبة ثابتة) من الاستجابات أو متغير وذلك على النحو الآتي :-

أ- جداول النسب الثابتة Fixed Ratio : يتم تقديم التعزيز في هذه الجداول وفقاً لعدد ثابت أو محدد من الاستجابات (السلوكات) المرغوب فيها ، بحيث يكون عدد الاستجابات ثابتاً ومنتظماً بين مرات تقديم التعزيز . ومن الأمثلة على ذلك ، تعزيز الجندي بأي نوع من المكافآت عندما ينجز خمس مهمات توكل إليه ، بحيث يشكل هذا العدد المحك لاعطاء التعزيز لذلك الجندي .

ب- جداول النسب المتغيرة Variable Ratio : وفي مثل هذه الجداول يقدم التعزيز وفقاً لعدد متغير أو غير ثابت من السلوك ، بحيث يكون هذا العدد غير منتظم بين مرات الحصول على التعزيز . ومن الأمثلة على ذلك ، تعزيز الجندي عندما ينفذ ثلاث مهمات ، ثم تعزيزه بعد تنفيذ سبع مهمات ، ثم بعد تنفيذ أربع مهمات وهكذا .

بالإضافة إلى التعزيز والعقاب ، تعرض سكنر إلى مفاهيم أخرى ذات علاقة بالتعلم وهي :

1- **التمييز** : ويعني به قدرة الفرد على التفريق بين المثيرات المتشابهة ، بحيث يميز الفرد مثيراً معيناً لا تحدث الاستجابة الإجرائية إلا بوجوده . وهذا يعني بالطبع ، أن الفرد يصبح قادراً على الاستجابة لكل مثير بما يناسبه من سلوكات إجرائية .

2- **التمايز** : ويعني به قدرة الفرد على التمييز بين الاستجابات بحيث يحدد الاستجابات في الأوضاع المختلفة التي يمكن أن تتبع بالتعزيز . فمن خلال الممارسة والخبرة ، يتعلم الفرد متى ينفذ الاستجابات المختلفة وتحت أي الظروف .

3- **الخبو أو الانطفاء** : ويحدث عندما تظهر الاستجابة الإجرائية في موقف ما ولا يتم تعزيزها لعدد من المرات ، وهذا بالتالي ينعكس في قوة واستمرارية هذه الاستجابة .

التطبيقات العسكرية :

هناك تطبيقات كثيرة محتملة لهذا النموذج في المجال العسكري إذا تم توظيف المبادئ التي ينطوي عليها على الوجه المناسب . وعموما يمكن تلخيص اهم تطبيقات هذا النموذج فيما يلي :

1- اعداد برامج التدريب المختلفة لتعليم افراد القوات المسلحة الكثير من الانماط السلوكية والعادات والمهارات وفق عمليات التشكيل التي تستند إلى مبدأ التقريب التتابعي . وفي مثل هذه البرامج يجب مراعاة ما يلي :

أ) تحديد الهدف النهائي لبرنامج التدريب والذي قد يتمثل في تعليم مهارة أو نمط سلوكي معين أو أية خبرات اخرى .

ب) تجزئة السلوك أو المهارة إلى خطوات جزئية يؤدي تعلمها إلى اتقان هذا السلوك أو المهارة ، ويجب ترتيب هذه الخطوات وفق تسلسل منطقي معين .

ج) جمع معلومات عن الفرد تتعلق بسنة ونمط الشخصية لديه ومستواه العقلي وخبراته ومهاراته السابقة بالاضافة إلى معلومات اخرى متعلقة بالاشياء التي يفضلها وتلك التي لا يفضلها .

د) تحديد اجراءات تنفيذ البرنامج وأوجه النشاط اللازمة وانواع المعززات واجراءات تقديمها .

هـ) تطبيق البرنامج على الافراد ابتداء بالخطوات الاسهل وإنتقالاً إلى الخطوات الاكثر تعقيدا مع تقديم المعززات اللازمة لاداء الافراد على هذه الخطوات ، ويستمر مثل هذا الاجراء إلى ان يصل السلوك أو المهارة إلى المستوى المطلوب .

ففي هذا الصدد ، وظف سكنر خلال الحرب العالمية الثانية الكثير من برامج التشكيل لتدريب الحمام على توجيه الصواريخ ، كما انه سعى من خلال تجاربه إلى تدريب الحمام على قيادة الطائرات المقاتلة . وتجدر الاشارة هنا ، ان القوات الإسرائيلية في أكتوبر لعام 1973 استعانت بالحمام لتحديد مواقع الدبابات السورية ، حيث انها قبل الحرب وظفت العديد من البرامج لتشكيل سلوك لدى الحمام باستخدام اجراءات التعزيز ممثلاً ذلك في تدريبها على سلوك الوقوف على الدبابات .

وحتى تكون برامج تشكيل السلوك فعالة وتحقق الاهداف المرجوة منها ، يجب ان تكون اجراءاتها واضحة ومحددة ، وتمتاز بالقابلية للاستخدام . كما يجب ان يتم اختبار المعززات التي تتناسب وخصائص الافراد أو ذات التأثير النفسي القوي ، بحيث يكون الحصول عليها من شأنه ان يشكل دافعاً للأفراد للمثابرة والاستمرار في العمل أو الأداء .

فمن خلال برامج التشكيل يمكن تدريب وتعليم الافراد على مهارات تتعلق باستخدام السلاح وصيانته والرماية والتصويب نحو الاهداف ، كذلك في استخدام الاجهزة والمعدات

والآليات العسكرية وقيادة المركبات المختلفة وكيفية الانتقال من مكان إلى آخر وكيفية التحرك في ميدان المعركة ، وكيفية استخدام المدافع والاجهزة الالكترونية والعمل كفريق مع الآخرين وإلى غير ذلك من المهارات والانماط السلوكية الاخرى (فرج وعطيه ، 1987) .

2- اثارة الحماس والدافعية ورفع الروح المعنوية لدى افراد القوات المسلحة من خلال استخدام اجراءات التعزيز السلبي والايجابي بأشكالها الاجتماعية والرمزية والمادية المختلفة . فمن خلال استخدام محفزات مثل الحوافز المالية والاوسمة والاجازات والتشجيع اللفظي والترقيات تقديراً لجهود الافراد يتم زيادة دافعيتهم نحو العمل وبذل المزيد من الجهود . كما يمكن حث الافراد وتشجيعهم من خلال المعززات القائمة على الاعفاءات مثل الاعفاء من الوظيفة أو بعض المهمات والاعباء الاضافية مثل الطابور الصباحي وغيرها .

3- ضبط السلوك وتوجيهه لدى الافراد ، حيث يمكن من خلال استخدام برامج التعزيز المتقطع الحفاظ على الانماط السلوكية المرغوبة لدى الافراد وتوجيهها على أتم وجه وذلك بتوظيف اجراءات التعزيز السلبي والايجابي بما تتضمنه من أشكال التعزيز الاجتماعي والرمزي والمادي . كما يمكن ضبط سلوك الافراد من خلال استخدام اجراءات العقاب الايجابي مثل فرض عقوبات على الافراد تتمثل في وظائف اجبارية أو تنفيذ مهمات شاقة ، أو من خلال استخدام اجراءات العقاب السلبي القائم على حرمان الجندي من الاجازة أو حسم الراتب وغيرها .

4- بالاضافة إلى البرامج التدريبية العملية- الميدانية ، يمكن الاستفادة من برامج التعليم المبرمج المحوسبة لتعليم افراد القوات المسلحة الكثير من المهمات والمهارات العسكرية . ففي مثل هذه البرامج يتم تجزئة المهارات والمهمات العسكرية المراد تعليمها للافراد إلى اجزاء كل منها يشكل اطارا . وفيها يتدرب الافراد على هذه المهمات ذاتيا ، إذ يتطلب الامر منهم التفاعل مباشرة مع هذه الخبرات وفق تسلسل معين بحيث يحصلون على التغذية الراجعة الفورية للاداء الذي يقومون به في نهاية كل اطار منها ، وهذا ما يعرف بأسلوب التعليم المبرمج (Sharp, 1996) .

5- إطفاء العديد من الانماط السلوكية والعادات غير المرغوب فيها لدى الافراد من خلال استخدام اجراءات العقاب بمختلف انواعه ، أو من خلال التحكم بالمثيرات القبلية التي تسبق مثل هذه السلوكيات أو التحكم بالمثيرات التعزيزية البعدية التي تتبعها أو من خلال التحكم بكلاهما .

التعلم بالملاحظة Learning by Observing :

يطلق على هذا النوع ايضا اسم التعلم الاجتماعي أو التعلم بالنمذجة Socialor or Modeling Learning ، ويعد عالم النفس الأمريكي البرت باندورا Bandura من اكثر المتحمسين لهذا النوع من التعلم . وينطلق هذا النموذج من افتراض حول التعلم مفاده ان الانسان كائن اجتماعي يعيش ضمن جماعة يؤثر ويتأثر بها ، فهو يلاحظ العادات والمهارات والاتجاهات والانماط السلوكية لدى الآخرين ويعمل على اكتسابها من خلال النمذجة والتقليد .

اعتمادا على وجهة نظر باندورا التي تؤكد فكرة العمليات الابدالية في التعلم ، فإن الكثير من الخبرات والانماط السلوكية التي يتم تعلمها من خلال الخبرة المباشرة ، يمكن تعلمها على نحو بديلي دون المرور بالخبرات المباشرة ؛ أي يتم تعلمها من خلال ملاحظة سلوك الآخرين وتقليد مثل هذا السلوك . فعلى سبيل المثال ، قد يتعلم الطفل الخوف من الكلاب مثلا من خلال ملاحظة سلوك الخوف لدى والدته اتجاه الكلاب دون الحاجة إلى مرور الطفل بخبرات مباشرة مع الكلاب . ويرى باندورا ان التعلم بالملاحظة لا يتوقف على عملية تقليد الانماط السلوكية التي يشاهدها الفرد على نحو دقيق وحرفي ، بل ربما يتعدى ذلك إلى توظيف عمليات معرفية تنطوي على التخزين والتوقع والتنظيم واعادة الانتاج بما يتناسب وطبيعة المواقف التي يواجهها (Bandura, 1969; 1976) . فقد يشتق قواعد ومبادئ عامة للسلوك تمكنه من تجاوز ما يراه أو يسمعه من سلوكات ، كما أنه اعتمادا على العمليات المعرفية يختار على نحو انتقائي بعض مظاهر الانماط السلوكية لتعلمها أو تنفيذها . ويرى باندورا ايضا ان لدى الافراد القدرة على التنظيم الذاتي لخبراتهم والانماط السلوكية التي يكتسبونها من خلال الملاحظة والتقليد ، إذ يتم اعادة تنظيم الفعل أو السلوك في ضوء عمليات التوقع للتعزيز أو العقاب المترتب عليه (Bandura, 1986) .

ومن هنا نجد ان باندورا أكد ما يسمى بفكرة التعزيز أو العقاب البديلي في التعلم ، فليس من الضروري ان يحصل الفرد على التعزيز على نحو مباشر لكي يتعلم سلوكاً ما ويحتفظ به ، وإنما قد تتم هذه العملية من خلال ملاحظة سلوك نموذج يعزز على ذلك ، فهنا لم يحصل الفرد على التعزيز ، وانما تم تعزيزه على نحو بديلي لأن مثل هذا التعزيز يشكل دافعاً لهذا الفرد لتعلم هذا السلوك والاحتفاظ به اعتمادا على توقعاته بأن هذا السلوك يؤدي به إلى الحصول على التعزيز . ومن جهه أخرى ، قد يتجنب الفرد القيام بسلوك ما في ضوء مشاهدته لسلوك نموذج عوقب على هذا السلوك . فالفرد لم يعاقب مباشرة وإنما على نحو بديلي لأنه يتوقع ان قيامه بمثل هذا السلوك سوف ينتج عنه العقاب .

4- ينطوي التعلم القائم على الاستبصار على اكتساب علاقة بين وسائل وغايات ، فهو ليس مجرد علاقة ميكانيكية آلية . وهذا يعني بالطبع ، ان هذا النوع من التعلم قابل للانتقال إلى مواقف جديدة ، إذ إن الحل الذي تم تعلمه في موقف ما يمكن استخدامه في مواقف اخرى جديدة مشابهة لذلك الموقف .

5- يتطلب التعلم بالاستبصار قدرا معينا من الذكاء بالاضافة إلى الخبرة السابقة ، لان مثل هذه العوامل من شأنها ان تساعد الفرد على اكتشاف البنى التنظيمية التي تنطوي عليها المواقف المتعددة .

التطبيقات العسكرية :

هناك بعض التطبيقات المحتملة لهذا النموذج في المجال العسكري تتمثل بالآتي :

1- تدريب القادة العسكريين على كيفية التعامل مع العديد من المشكلات والمعضلات العسكرية التي تتعلق بمسائل مثل :

أ) إدارة الافراد .

ب) إدارة النيران .

ج) نقل الامدادات .

د) فك الحصار .

هـ) المناورات العسكرية .

و) توزيع الاسلحة والمعدات العسكرية في ارض المعركة .

ز) صد الهجوم .

ح) الانسحاب .

ط) تأمين عمليات الاتصال .

ويتم ذلك من خلال برامج تدريب تكتيكية يتم فيها طرح العديد من المشكلات والمعضلات العسكرية ويطلب من القادة التوصل إلى الحلول المناسبة لها . ويمكن ان يتم تنفيذ ذلك من خلال الاجراءات التالية :

أ) تقديم مثل هذه المعضلات إلى القادة على نحو نظري من خلال المناقشات والمحاضرات ويطلب منهم التفكير بها ذهنيا وابداء الحلول حولها .

ب) تقديم هذه المعضلات من خلال الطاولات الرملية أو الخرائط أو النماذج الهيكلية أو برامج التمثل المحوسبة .

ج) التدريب العملي المباشر عليها على الارض باستخدام المناورات العسكرية .

2- مساعدة الافراد والقادة على تذكر المواقف السابقة للاستفادة من خبراتهم السابقة في تلك المواقف في التعامل مع المواقف الجديدة ؛ أي نقل اثر التعلم .

3- عرض مواقف عسكرية سابقة مثل معارك تاريخية سابقة أو حديثة والعمل على تحليلها ومناقشتها معا لمساعدة القادة على تمييز العلاقات المتعددة بين عناصرها ومكوناتها للاستفاده منها لاحقا في مواقف عسكرية جديدة .

5

الفصل الخامس

الإدراك الحسي وعملية التمويه

مقدمة :

تواجه القوات المسلحة العديد من التحديات والصعوبات اثناء انشغالها في المعارك الميدانية ، ويكاد يكون أهمها مسألة إخفاء وتمويه المعدات والآلات وافراد القوات المقاتلة على نحو تبدو معه غير واضحة أو مميزة لنيران العدو . فمن الضروري للمقاتلين إضعاف حيطة العدو وحذره ، بغية الافلات من ضرباته أو تحقيق عنصر المفاجأة في الهجوم عليه . وهذا يستوجب بالطبع الاختفاء والتمويه والتسلل عندما تتوافر الامكانات الطبيعية والاصطناعية المناسبة .

يلعب الإدراك الحسي بما يمتاز به من خصائص دوراً بالغ الاهمية في مسار المعارك الميدانية تحت مختلف الظروف المناخية والجغرافية . وانطلاقا من اهميته في هذا المجال ، فقد دأبت الجيوش الحديثة إلى استغلال نتائج البحوث والدراسات العملية في مجال سيكولوجية الحواس والادراك والانتباه لتوظيفها في الشؤون العسكرية . ويتمثل هذا الاهتمام في السعي إلى تحقيق الاغراض التالية :

أولا : فن تمويه المنشآت والمعدات العسكرية واخفائها بحيث يصعب كشفها أو تمييزها من قبل قوات العدو .

ثانيا : استغلال الخواص الطبيعية للحواس على اتم وجه لتضليل قوات العدو من جهة ، والاستفادة منها في تمييز اهداف وقوات العدو وقطاعاته للعمل على ضربها من جهة أخرى .

ثالثا : تأمين عمليات الاتصال بين قطاعات القوات المسلحة ومقاومة عمليات التشويش التي يقوم بها العدو مع العمل على التشويش على اتصلاته .

رابعا : تمييز انواع المقذوفات من خلال استغلال حاستي الشم والذوق .

وبالرغم من التقدم العلمي في العديد من المجالات مثل الاتصالات واجهزة التشويش والتنصت والتطورات التكنولوجية في مجال الكشف بوسائل الاشعة تحت الحمراء (الكشف الحراري) والرادارات والاشعة فوق البنفسجية والسنوار والادوات الالكترونية الدقيقة ، فإن

العنصر البشري يظل العنصر المتفرد في المعادلة العسكرية ويبقى الادراك الحسي الطبيعي عاملاً حاسماً في سير العمليات الحربية . وتأكيدا لذلك ، فإن الدراسات الحديثة تسعى إلى دعم الخواص الطبيعية للادراك الحسي في ضوء تطور الامكانات الاصطناعية من خلال :

1- استخدام الآلات والادوات لتمكين الحواس على كشف الاشياء التي تقع دون عتبة الاحساس ؛ ويقصد بعتبة الاحساس هنا ، الحد الادنى لشدة المثير الذي يثير انتباه احد الحواس لدى الإنسان .

2-استخدام الآلات لتمكين الافراد من الاحساس بالظواهر المادية التي لا يمكن ادراكها عادة بواسطة إحدى الحواس المعروفة .

3- استبدال عضو أو حاسة عاجزة بحاسة اخرى أو تفعيل دورها بواسطة استخدام الآلة .

4- استخدام الآلات لتدريب الافراد على المزج بين اكثر من حاسة واحدة بالوقت نفسه لإدراك الاشياء والظواهر المادية .

التمويه Camou flage :

يقصد بالتمويه عملية اخفاء الاشياء أوالمواضع أو المنشآت أو المعدات باستغلال خصائص الادارك الحسي وطبيعة الحيز الجغرافي . وفي العلم العسكري فإن التمويه يتضمن عمليات اخفاء الافراد والاسلحة والمعدات والمنشآت والمركبات العسكرية بشكل يجعل منها غير قابلة للتمييز أوالاكتشاف من قبل افراد قوات العدو .

إن عملية التمويه قد تأخذ ابعاداً متعددة مثل التمويه النفسي أو المعنوي والذي فيه يعمد الفرد إلى تحريف المعاني الحقيقية للافكار ؛ والتمويه المادي والذي يتضمن اخفاء الاشياء والمعدات (العيسوي ، 1999) . وقد يكون التمويه غير مقصود كما يحدث لدى بعض الحيوانات إذ ان لون جلدها يتغير تبعاً للالوان الموجودة في بيئتها على نحو لا شعوري كما يحدث لدى الضفادع والحرباء ، أو يكون مقصوداً يتم على نحو شعوري كما يحدث في تمويه المعدات العسكرية .

وهكذا فإنه بالإمكان النظر إلى عملية التمويه من زوايا متعددة وذلك على النحو الآتي :

1-يشير مصطلح التمويه إلى عمليات الستر والتستر أو التغطية أو الاخفاء أو الاختفاء أو التورية أو المواراة أو اخفاء طبيعة الاشياء أو اخفاء شكلها الحقيقي لتبدو في شكل آخر .

2- الاستخدام الاستعاري (المجازي) لمصطلح التمويه الذي يشير إلى عملية اخفاء سمات أو خصائص الإنسان النفسية أو الانماط السلوكية الحقيقية لديه وذلك من خلال ظهورها

بمظهر مخالف لما هي عليه بالواقع . كما يشير التمويه إلى إخفاء الملامح الجسمية ، فعل سبيل المثال ، يمكن طلي جسم الإنسان بالطين أو التلوين بلون خاص من اجل حمايته ووقايته في ارض المعركة .

3- يتمثل المعنى القاموسي لمصطلح التمويه بأنه عملية اعطاء المعدات الحربية والمنشآت والاسلحة والافراد مظهرا زائفا ينخدع به العدو ؛ أي أنها عملية التعمية للاشياء لمنع العدو من تمييزها .

4- يرى انجلش وانجلش (English & English, 1958) بأن مصطلح التمويه يشير إلى عملية التنكر أو الاخفاء للاشياء عن طريق تلوينها كي تندمج في الارضية أو الخلفية التي تقع عليها أو تحيط بها .

تطور عمليات التمويه :

لقد جاءت فكرة التمويه من ملاحظة البيئة المحيطة والاشياء الموجودة فيها . فمنذ القدم ، لاحظ الإنسان ان بعض الطيور والحيوانات والحشرات يصعب تمييزها نظراً لأنها تتشابه في ألوانها مع البيئة المحيطة ، وهذا مما يساعدها على حماية نفسها من الحيوانات المفترسة . إن مثل هذه الملاحظة لاقت اهتماما لدى الإنسان ، حيث عمد إلى استخدامها بالتماثل في المجالات العسكرية اوقات المعارك والحروب . لقد كانت عملية التمويه في بدايات استخدامها بسيطة وبدائية وتقوم على المحاكاة والتقليد وذلك باعطاء المعدات العسكرية ألوانا مماثلة لألوان المحيط المجاور . ومن الامثلة على ذلك ، وضع أغصان الاشجار وأوراقها على جسم الإنسان ، أو طلاء الجسم بمواد معينة مماثلة لالوان الاشياء المحيطة بالبيئية من اجل تضليل العدو . ولكن مع تطور العلوم ، سرعان ما تبين ان الظلال وانعكاس الاضواء تلعب دورا في اكتشاف الاجسام المموهة . وكنتيجة لذلك ، اصبحت عملية التمويه من مسؤولية القادة ورجال الهندسة في الجيش ، وظهرت قاعدة جديدة في التمويه تقول ان التمويه الناجح يجب ان يكون خشنا وغير لماع وذلك لمنع حدوث انعكاس الاضواء ، وأن لا يكون نافرا حتى لا يخلق ظلا كاشفاً . وعليه جاءت الدعوة إلى الجنود المقاتلين بالاختباء قدر المستطاع في ظل الأشياء الطبيعية حتى لا تظهر ظلالهم ، وأن يلتزموا السكون عند ظهور الطيران (شانديسي ، 1984) .

ومع ظهور نظرية الجشتلت وبروز ما يعرف باسم علم نفس الاشكال ، فقد ازداد الاهتمام بخواص الادراك الحسي عند الإنسان في عمليات التمويه . فجاءت الدعوات إلى عدم جعل

الشيء المموه يظهر على انه صورة منفصلة عن المحيط المجاور وتجنب كل ما يميز الصورة أو الشكل وفقاً لمبادئ التناظر والترتيب والتنافر مع الخلفية ، والعمل ايضا على تشويه الخطوط المستقيمة والاشكال المنتظمة واطالة الخطوط الطبيعية ، وتنظيم عمليات الحركة . وبذلك اصبح دور علم النفس هاماً في عمليات التمويه .

ونتيجة للتطور العلمي والتكنولوجي وابتكار اجهزة الكشف الالكتروني والحراري وغيرها ازدادت الحاجة إلى عمليات تمويه واخفاء افراد ومعدات القوات المسلحة ، مما نتج عن ذلك الاستفادة من الآلات التكنولوجية لتطوير القدرات الحسية في عمليات التمويه .

وحتى يتسنى لنا فهم عمليات التمويه والاجراءات المتعلقة بها ، لا بد من دراسة الاسس الفيزيائية والنفسية لعمليات الاحساس والانتباه والادراك .

الإحساس "Sensation" :

يمكن النظر إلى الاحساس على انه عملية الوعي أو الشعور بوجود المثيرات ، إذ انه من خلال هذه العملية يستطيع الفرد الشعور بما يحيط به في هذا العالم من مثيرات أو حوادث بالاضافة إلى الوعي بما يحدث داخل جسمه . وتكمن اهمية هذه العملية في عمليات التكيف والسيطرة على الموجودات البيئية ، ويستدل على ذلك ان الافراد الذين يفقدون بعض الحواس مثل السمع أو البصر يواجهون صعوبات في عمليات التكيف . فمن خلال هذه العملية التي تتم عبر الحواس الخمس (البصر والسمع والشم والذوق واللمس) يتم تزويدنا بمعلومات كثيرة عن خصائص المثيرات الخارجية مما يسهم في وعينا لها واتخاذ الاجراءات السلوكية التكيفية المناسبة . كما انه من خلال الاحساسات الداخلية نعي الحالة الداخلية التي نمر بها مثل الجوع والالم والضيق والحركة والتوازن والتي على ضوءها يتحدد الفعل السلوكي المناسب (Carslon,1998) .

تعد عملية الاحساس على غاية من الاهمية في حياة الكائن البشري إذ بدونها لا يحدث التعلم ويصبح الدماغ عديم النفع لأنها الوسيلة الاولية التي تزوده بالمعلومات عن العالم الخارجي والحالة الداخلية للجسم ، فبدون مثل هذه المعلومات لن يكون هناك تفكير أو خبرات أو حتى سيطرة على السلوك (الهنداوي والزغول ، 2002) .

تعمل اعضاء الحس المختلفة على استشعار وجود المثيرات البيئية وخصائصها المتعلقة بها من خلال عدد من الوسائل كالضوء والصوت والرائحة والمذاق والاحتكاك المباشر وغير المباشر ، ويتم نقل هذه الاحساسات عبر الاعصاب الحسية إلى المناطق الخاصة بها في الجهاز العصبي ليتم تفسيرها واصدار الاوامر المناسبة بشأنها إلى المناطق الجسمية ذات العلاقة

لاتخاذ الفعل السلوكي أو الحركي المطلوب . وهكذا نجد ان الاحساسات يتم ترجمتها إلى خبرات يتم الاحتفاظ بها في الذاكرة كي تشكل لاحقاً نقطة مرجعية للسلوك (Kagan & Segal, 1998) .

تختلف الانطباعات الحسية التي نستقبلها عن المثيرات الخارجية وتتنوع وفقا لتنوع خصائص المثيرات وطبيعتها من جهة ونوع الحاسة التي نستقبل من خلالها هذه الانطباعات من جهة أخرى . ويمكن تصنيف الانطباعات الحسية إلى خمس فئات تتمثل في الاحساسات البصرية والسمعية والذوقية واللمسية والشمية وذلك لأن كل حاسة من حواس الجسم الرئيسة مسؤولة عن تزويدنا بخصائص معينة عن المثيرات التي نتفاعل معها في العالم الخارجي ، ويطلق على مثل هذه الحواس بالمستقبلات الحسية (Carlson,1994) .

تنتقل الانطباعات الحسية من مصادرها المختلفة عبر العصب الحسي الخاص بها إلى منطقة معينة في الجهاز العصبي ليتم تفسيرها واتخاذ القرارات المناسبة حيالها . فوفقا لمبدأ مولر (Muller) في الطاقة الخاصة (Dectrine of Specific Energy) فإن الانطباعات الحسية المختلفة يتم نقلها عبر اعصاب حسية خاصة بها رغم انها جميعا تحول إلى نبضات كهروعصبية متماثلة . فالاحساسات المختلفة التي نستقبلها عبر الحواس المتعددة يتم تحويلها إلى نبضات كهروعصبية تنتقل عبر العصب الحسي الخاص بها إلى منطقة معينة في الدماغ أو الجهاز العصبي ، وتحديدا فإن هذه النبضات تصل أولا إلى جزء محدد في الدماغ يعرف بالمهاد أو الثلاموس (Thalamns) ليتم غربلتها وتصنيفها ومن ثم نقلها إلى المناطق الخاصة بها في الجهاز العصبي . هذا وتسمى العملية التي يتم من خلالها تحويل الانطباعات الحسية إلى نبضات كهروعصبية ونقلها إلى المناطق المختصة بها في الجهاز العصبي بعملية التوصل العصبي (Transduction) ، والتي تحدث نتيجة فرق الجهد الكهربائي (Action Potential) في غشاء الخلية العصبية الناتج من تغير تركيز الشحنات (الايونات) الموجبة والسالبة داخل وخارج غشاء الخلية العصبية وفق ما يعرف بعملية الانتشار (Diffusion) التي تتسبب في اطلاق سيال عصبي ينتقل إلى الخلايا الاخرى . وهكذا فإن عملية التوصيل داخل الخلايا العصبية هي كهربائية الصفة ، في حين انها كميائية الصفة بين الخلايا (Goldstein, 1989) .

مراحل الإحساس :

يمر الاحساس في ثلاث مراحل هي :

أ) المرحلة الفيزيائية : وتتمثل في استقبال الخصائص الفيزيائية للمثيرات من خلال الضوء والصوت والحرارة والتيارات الكهربائية .

ب) المرحلة الفيزلوجية : وتتمثل في حالة الانفعال والاستثارة التي تحدث في الخلايا الحسية العصبية وما ينتج عنها من حدوث فرق الجهد الكهربائي وانتقال النبضات الكهروعصبية إلى مناطق الجهاز العصبي .

ج) المرحلة النفسية والحركية : وتتمثل في الدلالات والمعاني التي تعطى لمثل هذه الاحساسات بالإضافة إلى ردات الفعل حيالها .

أنواع الإحساسات :

تختلف الاحساسات تبعا لاختلاف مصادر استقبالها وطبيعة المثيرات التي ترتبط بها ، ويمكن تصنيف هذه الاحساسات في انواع ثلاثة هي :

1- الاحساسات الداخلية العامة : وهي الاحساسات المرتبطة بالعمليات الحشوية الداخلية كحالات الامتلاء والجوع والعطش وتغير الحالة الكيميائية للدم بسبب التعب أو الألم أو المرض .

2- الاحساسات الداخلية الخاصة : وهي الاحساسات المرتبطة بعمل الجهاز العضلي للجسم كالاحساس بالحركة وعدم التوازن والثبات .

3- الاحساسات الخارجية : وتتمثل في الاحساسات المرتبطة بالمثيرات البيئية الخارجية والتي نستقبلها عبر الحواس الخمس وهي البصر والسمع و الشم والذوق واللمس .

عتبة الإحساس :

تعرف عتبة الاحساس بالحد الادنى من الشدة التي يمتاز بها مثير معين بحيث تعمل على استثارة عضو حس معين . وتختلف هذه العتبة باختلاف نوع عضو الحس المستقبل ونوعية المثيرات البيئية . فعلى سبيل المثال ، نجد ان طول الموجة الذي يبلغ (290) ملليميكرون هو الحد الادنى لشدة الضوء الذي يمكن ان تتأثر به خلايا العين بحيث تتيح لها رؤية الاشياء ولا سيما اللون الاحمر ، اما في حالة الصوت ، فإن الحد الادنى لشدة الصوت الذي يمكن سماعه بالاذن الإنسانية هو ذلك الصوت التي تبلغ عدد ترددات الذبابذات فيه (20) ذبذبة في الثانية .

اما مفهوم العتبة الفارقة ، فهو يشير إلى الحد الادنى والاعلى لشدة المثير الذي يمكن ان تتأثر به اعضاء الحس المختلفة ، فهي في حالة السمع تتروح ما بين (20-20000) ذبذبة في الثانية ، إذ لا يمكن سما ع الاصوات التي تبلغ عدد ذبذباتها اقل من 20 ذبذبة في الثانية أو تلك التي تبلغ عدد ذبذباتها أعلى من (20000) ذبذبة .

أنواع الحواس الخارجية :

وتقع في خمسة انواع رئيسة وهي :

أولاً: حاسة البصر Visual Sensation:

تعد حاسة البصر من اكثر الحواس اهمية في حياة الكائن البشري ، إذ من خلالها يتمكن الفرد من الحصول على معلومات كثيرة ومتنوعة عن خصائص الاشياء . فمن خلالها يمكن تمييز وجوه الاهل والاصدقاء والتعابير الوجهية والايماءات وتحديد معالم الطريق والاخطار ، كما انها تمكننا من الحصول على معلومات تتعلق بخصائص الاشياء مثل : الشكل واللون والحجم والحركة والمسافة والعمق والقبح والجمال والتباين بالاضافة إلى اهميتها في مجال الكتابة والقراءة وأداء المهارات الحركية المتمددة (Carlson, 1994,1998) ، وكل هذه المعلومات يتم استقبالها من خلال العين .

حركات العين :

تؤدي العين ثلاث حركات رئيسة تسهم على نحو اكيد في زيادة فعاليتها على الابصار من حيث الوضوح والدقة والحدة والتكيف ، وهذه الحركات هي :

1- الحركات المحورية أو الدورانية (Vergence movements) : وهي الحركات التي تعمل على تركيز كلا العينين على نفس الهدف ، الامر الذي يؤدي إلى تكوين صورة متوازنة لهذا الهدف على الشبكية . ومثل هذه الحركات تسهم ايضا في عملية تكييف اوضاع العينين حسب اختلاف موقع الجسم بالنسبة للأشياء .

2- الحركات الفجائية (Saccadic Movement) : وهي مجموعة الحركات التي تمكن العين من الانتقال المفاجىء من شيء إلى شيء آخر خلال عمليات الابصار . ومثل هذه الحركات تمكن العين من التوقف ثم التحول بسرعة بين التوقفات المختلفة كما يحدث اثناء القراءة أو الكتابة مثلاً .

3- حركات المطاردة والمتابعة (Pursuit Movements) : وهي الحركات التي تمكن العين من متابعة التركيز على الاشياء ولاسيما المتحركة منها .

تركيب العين :

العين جسم كروي بالغ التعقيد يتألف من مجموعة من الاجزاء تتكامل وظائفها معا لتؤدي وظيفة الابصار ، وهذه الاجزاء هي (الزغول والهنداوي ،2002) :

أ) غشاء العين (Sclera) : جزء سميك يمثل الطبقة الخارجية من العين ويعمل على التحكم بالضوء حيث لا يسمح له بالدخول .

ب) القرنية (Cornea) : جسم شفاف يقع في الطبقة الخارجية للعين ، ويمثل مقدمتها ويعمل على السماح للضوء بالنفاذ إلى داخلها . وهذا الجزء حساس جدا ، إذ أي تلف يحدث فيه من شأنه أن يؤثر في فعالية عملية الابصار .

ج) بؤبؤ العين (Pupil) : وهو الجزء المسؤول عن تنظيم كمية الضوء الداخل إلى العين حيث يعتمد مقدار الضوء الداخل إلى العين على حجم هذا البؤبؤ .

د) القزحة (Iris) : وهو جزء ملون يقع خلف القرنية بحيث يفصلها عن السائل المائي وهي تساعد على استقبال الصور الواضحة والمحددة عن الاشياء بحيث تساعد في توجيهها وتنظيمها .

هـ) العدسات (Lens) : وهي اقراص محدبة تقع خلف القرنية مباشرة وتعمل على تجميع الاشعة الضوئية لإسقاطها على الشبكية . وتتألف من سلسلة من الطبقات الشفافة كما هو الحال في طبقات رأس البصل ، ويتغير شكلها تبعا لتقلص العضلات الهدبية ، وهذا ما يُمكّن العين من تركيز الانطباعات البصرية للأشياء القريبة والبعيدة عن شبكية العين ، وهو ما يسمى بعملية تكييف عملية الابصار (Visual Accommdation) . هذا وقد تصاب العدسات احيانا بما يسمى بالعتامة أو الماء الابيض «الكاتاركت» الذي يُعيق عملية الابصار ولا سيما عند الافراد المتقدمين في السن .

و) السائل المائي (Aqueous Humor) : وهو سائل مائي يشتمل على مادة هلامية أو جلاتينية يساعد على تفلطح الجزء الامامي من العين .

ز) الشبكية (Retina) : وهو الجزء الداخلي للقسم الخلفي من العين ، وهي بمثابة الشاشة التي تسقط عليها الانطباعات البصرية والأخيلة . وتحتوي الشبكية على مستقبلات الصور (Photoreceptors) ، وهي العصي (Rods) والمخاريط (Cones) ، كما تشتمل العين البشرية على (120) مليون من العصي و (6) ملايين من المخاريط ، وتعمل المخاريط على تزويدنا بكثير من المعلومات عن البيئة التي تحيط بنا ، وتساعدنا في عمليات الابصار النهاري وتمييز الالوان ، كما انها هي المسؤولة عن حدة الابصار وتمييز درجة سطوع الضوء ، اما العصي ، فتساعد في عملية الابصار الليلي ، لذلك نلاحظ ان عددها اكبر من المخاريط كي تمكننا من تمييز الاشياء في الظلام .

ح) النقرة أو الحفيرة (Fovea) : وهي جزء مركزي من الشبكية يحوي المخاريط فقط وتساهم في حدة الابصار اثناء الليل .

ط) **القرص البصري** (Optic Disk) : وهو جزء صغير يقع في مؤخرة الشبكية ويعمل على تجميع الانطباعات الحسية ليتم تحويلها إلى نبضات كهروعصبية لترسل عبر العصب البصري إلى المنطقة المسؤولة عن الابصار في الدماغ .

آلية عمل العين :

تقوم العدسات بتجميع الاشعة الضوئية المنبعثة عن المثيرات البيئية المختلفة وتعمل على اسقاطها على شبكية العين بحيث يتم تكوين الأخيلة البصرية (Visual Images) . وهذه الأخيلة يتم استقبالها من قبل مستقبلات الصور في الشبكية والتي تشمل على مواد كيمائية تتأثر بالضوء الساقط عليها ، الامر الذي يؤدي إلى حدوث تغيرات كيميائية ينتج عنها حدوث فرق الجهد الكهربائي ممثلا ذلك في النبضات الكهروعصبية التي تنتقل عبر الخلايا العصبية ثنائية القطب إلى جزء آخر في الشبكية يعرف بالخلايا العقدية (Ganglion Cells) . وتحتوي هذه الخلايا على محاور مستطلية تعمل على تجميع النبضات الكهروعصبية في منطقة معينة في الشبكية تسمى بالنقطة العمياء (Blind Sopt) ، ومن هناك يُصار إلى نقلها عبر عصب البصر الخاص إلى المراكز المختصة بها في الدفاع ليصار إلى تفسيرها واعطاءها المعاني الخاصة بها وتحديد انماط الفعل المناسب حيالها (Hayes, 1994, Carlson, 1998) . وعموما فإن عملية الابصار تعتمد على خصائص الضوء المنبعث عن الاشياء وهذه الخصائص هي :

أ) **طول الموجة الضوئية** : حيث ان الالوان والاشكال تتباين في اطوال الموجات الضوئية المنبعثة منها .

ب) **شدة الموجة** : ويقصد بها كمية الضوء المنبعث عن الاجسام .

ج) **التركيب** : ويقصد به انواع الموجات الضوئية التي يتكون منها الضوء المنبعث عن الاشياء .

واعتمادا على ذلك فإن تمييز الاشياء وادراك خصائصها يتوقف على الخصائص الثلاث السابقة للضوء المنبعث عنها ، وهذا بالطبع يتحكم بقدرات العين على الرؤيا والابصار .

استغلال الإحساس البصري في المجال العسكري :

يمكن القول إن توظيف الاحساس البصري يكاد ان ينحصر في مسألتين رئيستين هما :

أولا : تمويه واخفاء افراد ومعدات ومنشآت واجهزة القوات المسلحة بحيث يتعذر على العدو تمييزها وتحديد مواقعها . وتتم عملية التمويه من خلال جعل هذه الاشياء

متجانسة باللون والشكل مع البيئة المحيطة بها ، وقد تتم هذه العملية عبر تلوين المهمات العسكرية بلون المكان الذي توجد فيه مثل الغابات والحقول والصحراء وغيرها من الامكنة الاخرى .

إن مثل هذه العملية ليست بالامر اليسير ، فهي تتطلب الخبرة والدراية الفنية بطبيعة الالوان وعلاقة الالون ببعضها بعضاً وقواعد مزجها بحيث يؤدي إلى الوصول إلى اللون المطلوب والذي يصعب تمييزه من قبل العدو بمختلف وسائل الكشف المستخدمة لهذا الفرض ، فالمهمات الحربية يجب ان يبدو لونها متجانسا مع الموقع أو المكان الذي توجد عليه وتحت ظل مختلف الظروف سواء في ضوء النهار أو تحت الانوار الكشافة التي يستخدمها العدو ، أو سواء نظر إليها بالعين المجردة أو بنظارات خاصة أو استخدمت الافلام الحساسة للأشعة تحت الحمراء للكشف عنها .

ثانيا : استغلال خصائص الضوء وعمليات الابصار لتمييز اهداف ومعدات العدو والعمل على ضربها . وهذا يرتبط ايضا بعمليات التحرك والحركة في ميدان المعركة اثناء الليل والنهار ، وتحديد اوقات الهجوم المناسب ومساراته المتعددة . وانطلاقا من ذلك ، فإن عمليات التمويه واستغلال خصائص الاحساس البصري تتطلب مراعاة المسائل التالية :

أ- تتوقف درجة سطوع اللون على درجة شدة الضوء المنبعث عن الاشياء بالاضافة إلى شده الضوء المنبعث عن المكان المحيط به . فالاشياء ذات الالوان القاتمة تمتاز بأن شده الضوء المنبعث عنها تكون منخفضة ، لكنها تزداد سطوعاً بالاقتراب من مصدر ضوء أو وضعها في مكان مضيء . فعلى سبيل المثال ،الاشياء الملونة باللون الاسود تبدو واضحة إذا تم تسليط حزمة من الضوء عليها أو إذا تم وضعها على ارضية بيضاء . وانطلاقا من ذلك يجب تجنب طلاء المعدات العسكرية بالالوان الزاهية أو الفاتحة لأن ذلك يزيد من درجة سطوعها ، وهذا بالتالي يُسهّل عملية تمييزها وكشفها من قبل افراد العدو . بالاضافة إلى ذلك فانه من الضروري تجنب وضع المعدات العسكرية ذات الالوان الفاقعة على ارضية قاتمة اللون أو وضع المعدات القاتمة على أرضية باهتة لأن ذلك من شأنه ان يجعل منها نافرة ومميزة بحيث يسهل كشفها .

ب- إن التحديق لفترة طويلة في الاشياء دون تحريك العينين يؤدي إلى حالة تعرف بزواغ البصر ، أي عدم القدرة على تمييز معالم الشيء . وتحدث مثل هذه العملية نتيجة لتكيف اعصاب العين مع التأثير الحسي المتواصل والذي يترتب عنه اختفاء ملامح الاشياء وميلها لتأخذ اللون الرمادي .

واعتمادا على ذلك ، يجب على افراد القوات المسلحة عدم التحديق لفترة طويلة في المهمات والمعدات التي يعتقد انها اهداف للعدو . ففي مثل هذه الحالات ، يجب النظر إليها لبرهة قصيرة ، ثم التحول في النظر عنها لبرهة قصيرة ، ثم العودة للنظر إليها مرة اخرى وهكذا إلى ان يتم التأكد منها . كما يجب على الجندي الذي يقوم بالحراسة الليلية أو النهارية أو الجندي الذي يقوم بالمراقبة من خلال الشاشات التلفزيونية ضرورة التحول في النظر وعدم اطالة التحديق في الاشياء حتى يستطيع تميز الاشياء .

ج- اعتمادا على ما ورد في النقطة الأولى ، يجب مراعاة ظاهرة تباين الالوان في المهمات والمعدات العسكرية ، إذ يجب ان تأخذ هذه المهمات نفس الالوان التي توجد فيها لأن تباين الالوان من شأنه ان يؤدي إلى تمييز الاشياء . فعلى سبيل المثال ، إن طلاء الطائرات باللون الاصفر أو الابيض يُسهل عملية تمييزها واكتشافها لأن مثل هذه الالوان تتباين مع اللون الازرق مما يجعل منها اكثر سطوعاً ، وعليه يجب طلاء الطائرات باللون الازرق أو اللون الرمادي . كما يجب ايضا طلاء المعدات البحرية باللون الازرق حتى يصعب تمييزها . وعموما يجب ان تأخذ الاشياء والمعدات العسكرية نفس لون المحيط الذي توجد فيه .

د- هناك ظاهرة تعرف باسم بقاء الاثر الحسي لفترة قصيرة من الزمن للاشياء التي يتم النظر إليها . فعندما تنظر إلى شيء ما ثم تزيح النظر عنه ، فإن المدرك أو الاثر الحسي لهذا الشيء يبقى لفترة وجيزة من الزمن ، ومثل هذا الاثر يؤثر نوعا ما على رؤية الاشياء الاخرى بوضوح . فعل سبيل المثال ، إذا نظرت إلى شمعة مضيئة ثم نظرت إلى شيء آخر ، فإنك سترى صورة هذه الشمعة في ذلك الشيء وحتى وان اغمضت عينيك ، فإن هذه الصورة لا تزول . إن مثل هذا الاثر يسمى بالصورة اللاحقة الايجابية وهي تبقى لفترة وجيزة لتحل محلها صورة شيء جديد تعرف بالصورة اللاحقة السلبية ، وغالبا ما تأخذ هذه الصورة لوناً مكملاً للون الصورة السابقة .

إن لمثل هذه الظاهرة بعض الآثار السلبية على عملية الابصار والذي ينبغي على افراد القوات المسلحة مراعاتها والحذر منها من خلال اتخاذ الاجراءات التالية :

1- اخذ الحذر اثناء عمليات الاستطلاع التي تتطلب التمييز بين ألوان المناظر الطبيعية وبين ألوان المهمات الحربية الملونة بلون المناظر الطبيعية .

2- تجنب النظر إلى الاضـواء اثـناء المراقـبـة الليلة ؛ لأن النظر إلى الضـوء ثم النظر إلى المناطق المظلمة التي تجري مراقبتها يجعل منها شديدة الظلام ويصعب تمييز أشيائها .

3- اثناء المراقبة النهارية من داخل الغرف ، يجب ان تكون الغرف مظلمة حتى تسهل عملية تمييز الاشياء في الخارج .

4- مهاجمة العدو من جهة الغرب عند غروب الشمس أو من جهة الشرق اوقات الصباح وذلك لجعل اشعة الشمس في مواجهته مما يعيق ذلك عملية الرؤيا لديه بسبب تكوين ما يسمى بالصور اللاحقة السلبية . لقد استخدم القائد الالماني رومل هذه القاعدة اثناء معارك شمال افريقيا في الحرب العالمية الثانية . فقد كان يعمد إلى مهاجمة القوات البريطانية قبيل غروب الشمس لأن اشعتها في هذه الاثناء تكون في مواجهة البريطانيين ، وهذا بالتالي دفع البريطانيين إلى مهاجمة القوات الالمانية وقت الصباح عند شروق الشمس .

5- تجنب الخروج المفاجئ من مكان مظلم إلى مكان مضيء أو الخروج من مكان مضيء إلى مكان معتم ، وبالوقت نفسه يجب تجنب الدخول إلى مكان مظلم من مكان مضيء أو الدخول من مكان مظلم إلى مكان مضيء على نحو مفاجئ لأن ذلك يؤدي إلى حدوث حالة من العمى المؤقت . ففي ظل مثل هذه الظروف ، يجب الانتقال على نحو تدريجي والتهيئة لذلك .

المعارك الليلية :

قد تضطر الجيوش في الكثير من الحالات إلى الانشغال في المعارك الليلة . وفي مثل هذه المعارك لا يمكن الاعتماد على استخدام الاضاءة لأن مثل هذا الاجراء يؤدي إلى كشف وتحديد مواقع المهمات العسكرية . وتكمن المخاطر اثناء المعارك الليلة من حيث المسائل التالية :

1- عملية تحرك المعدات وافراد القوات المسلحة .

2- عمليات الاستخدام الليلي للمعدات .

3- عمليات مراقبة حقل المعركة والكمائن .

4- عمليات المعركة بحد ذاتها وإدارة النيران .

وحتى يتم تنفيذ تلك العمليات على اتم وجه يمكن الاستعانة بالاجراءات التالية :

1-تنظيم تحرك المعدات العسكرية من خلال :

أ) تعديل خط سير الآلية بالنسبة لحركة الآلية السابقة مع الاستعانة بعاكس صغير للنور في مؤخرة كل مركبة أو آلية .

ب) اضاءة الطريق (تعليم الطريق) .

ج) استخدام اجهزة الرؤية الليلية .

2- تجنب النظر إلى الانوار والاضواء العالية لأن ذلك يؤدي إلى ارهاق العين من جهة ، ويعمل على حجب الرويا المؤقت عند النظر إلى المناطق المظلمة .

3- استخدام النظارات التي تعمل بالاشعة تحت الحمراء وذلك لتسهيل عمليات التحرك وتحديد الاهداف .

4- الاستعانة بقنابل الاضاءة الليلية (قنابل التنوير) من اجل إنارة حقل المعركة وتحديد المواقع والاهداف فيها .

4- استغلال الاحوال الجوية ولا سيما اثناء وجود الغيوم في السماء لإنارة ارض المعارك ، وذلك من خلال تسليط اضواء المدافع المضادة للطيران نحو الغيوم وذلك حتى تعكس هذه الاشعة على الارض .

5- تدريب الافراد مسبقا على الرؤيا الليلية وكيفية التحرك وتنفيذ المهمات اثناء الظلام .

ثانيا: حاسة السمع Auditory Sensation:

تأتي هذه الحاسة بالدرجة الثانية من حيث الاهمية للإنسان ، وتتجلى اهميتها في عمليات الاتصال والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين ، بالاضافة إلى دورها البارز في التزويد بمعلومات عن خصائص المثيرات المختلفة التي لا يمكن الحصول عليها من خلال الحواس الاخرى . فالمثيرات الصوتية تزودنا بمعلومات حول الكثير من الاشياء الخفية التي يصعب تمييزها من خلال الابصار وفي تحديد اتجاهاتها ومواقعها ، كما انها تلعب دورا هاما في الاماكن المظلمة ، إذ يمكن الاعتماد عليها لتحديد مواقع الاشياء في ضوء الاصوات التي تصدرها ، وهذا مما يساعد بالتالي في تحديد معالم الطريق (Kagan & Segal, 1998) . يشتمل جهاز السمع الممثل بالاذن مجموعة مستقبلات خاصة تستثار من قبل الاصوات المختلفة التي تنتشر على شكل موجات صوتية في الهواء أو الاوساط المادية (Hages, 1994) . فعندما تتحرك الاشياء أو تصدر عنها الاصوات فإنها تحدث اهتزازات أو تخلخلات في الهواء المحيط مسببة موجات صوتية تنتقل عبر الهواء بسرعة 700 ميل/ ساعة بحيث ترتطم هذه الموجات بالاذن (Carlson,1994) .

تمتاز الاذن البشرية بأن لها سعة محددة ، إذ لا يمكنها سماع جميع الاصوات التي تصدر عن بعض الاشياء . ويرجع السبب في ذلك إلى عدد الذبذبات التي تشتمل عليها الامواج الصوتية ، فالامواج الصوتية التي يقل عدد الذبذبات فيها عن (20) ذبذبة في الثانية أو تلك التي يزيد عددالذبذبات فيها عن (20000) لا تستطيع الاذن البشرية التقاطها . وعموما فإن الاحساس السمعي يتوقف على خصائص الموجات الصوتية الصادرة عن الاشياء والتي تتمثل فيما يلي :

1- شدة أو درجة الصوت (Pitich) : وتشير إلى عدد الترددات (الذبذبات) التي يشتمل عليها الصوت في الثانية الواحدة ، وتقاس بالهيرتز (Hertz) . ويعتمد التردد على عدد الموجات الصوتية التي تصدر عن مصدر الصوت في الثانية الواحدة .

2- كثافة الصوت (Loudness) : وتشير إلى مدى قرب أو بعد الامواج الصوتية عن بعضها بعضاً ، أي مدى تضاغط الامواج الصوتية الصادرة عن الاشياء .

3- ايقاع الصوت (Timbre) : وتشير إلى نوعية الاصوات اعتمادا على طبيعة الاشياء التي تصدر عنها مثل هذه الاصوات .

وهكذا ، فإن نوعية الصوت وطبيعته تتحدد في ضوء الخصائص السابقة ، فكلما كانت امواج الصوت متقاربة وقممها عالية كان الصوت حاداً ومرتفعا ، في حين يكون الصوت غليظا وخافتا في حالة كون الامواج متباعدة وقممها منخفضة . كما ان الاصوات تتباين تبعا لنوعية المصدر الذي تصدر عنه ، فصوت المرأة يكون حادا وناعماً ، في حين يكون صوت الرجل غليظا ، كما ان الاصوات التي تصدر عن بعض الادوات الموسيقية تكون رنانة كما هو الحال في الكمان أو العود ، وغليظا كما هو الحال في البوق أو الطبل . هذا وتقاس شدة الصوت بدلالة عدد تضاغط موجاته في الثانية الواحدة ، وتعرف الوحدة المستخدمة لذلك الغرض بوحدة الديسبل ، ويوضح الشكل التالي امثلة على النماذج الصوتية :

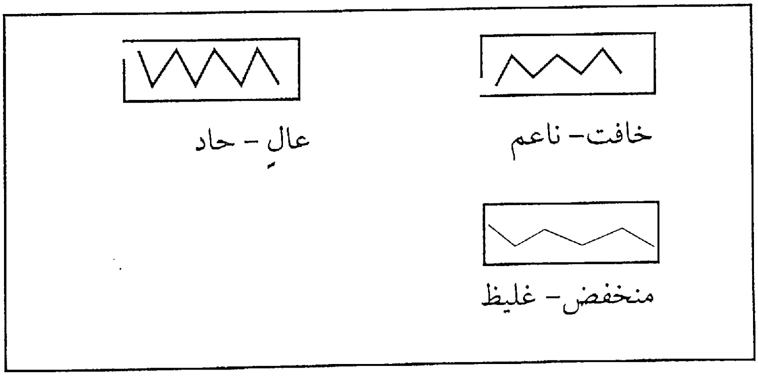

أقسام الأذن :

تتألف الاذن البشرية من ثلاثة اقسام رئيسة وهي الاذن الخارجية والوسطى والداخلية ، وكل من هذه الاقسام يشتمل على مجموعة اجزاء لكل منها وظيفة خاصة بحيث تتكامل وظائف هذه الاجزاء معاً لتحقيق عملية السمع . وفيما يلي عرض لأجزاء جهاز السمع المختلفة :

1- **الأذن الخارجية** (External Ear) : وتتألف من الاجزاء التالية :

أ) **الصيوان** (Pinna) : وهو الجزء الخارجي من الاذن وتتمثل مهمته في استقبال الترددات الصوتية الصادرة عن العالم الخارجي ونقلها إلى داخل الاذن .

ب) **قناة الاذن** (Ear Cannal) : وتعرف باسم قناة (ستاكيوس) وتكمن اهميتها في نقل الموجات الصوتية إلى طبلة الاذن .

ج) **غشاء الاذن** (Ear Drum) : ويعرف باسم طبلة الاذن وهي جزء حساس يبدأ بالاهتزاز عندما ترتطم به الامواج الصوتية ، الامر الذي يساعد في انتقالها إلى الجزء الاوسط من الجهاز السمعي .

2- **الأذن الوسطى** (Middlte Ear) وتتألف من الاجزاء التالية :

أ) **عظيمات الاذن** (Ossicles) : وتعرف بمنطقة التجويف حيث انها تقع خلف طبلة الاذن مباشرة ، وتشتمل على عظيمات يتغير وضعها تبعا للاهتزازات التي تنتج عن طبلة الاذن .

ب) **المطرقة** (Mallens) : وهي عضو يتصل بطبلة الاذن وتعمل على نقل الاهتزازات الصوتية إلى اجزاء سمعية اخرى .

ج) **السندنان** (Incus) **والعظيم الركابي** (Stapes) : وهي الاجزاء المتصلة بالمطرقة مباشرة ، وتعمل على نقل الاهتزازات الصوتية إلى المستقبلات الحسية السمعية في الاذن الداخلية .

3- **الأذن الداخلية** (Inner Ear) وتتألف من الاجزاء التالية :

أ) **القوقعة** (Coehlea) : وتشتمل على المستقبلات الحسية السمعية ، وهي تحوي سائلاً تنتقل الاصوات من خلاله ليتم تفسيرها ، وتقسم القوقعة طوليا إلى ثلاثة اجزاء هي :

(1) السلم الدهليزي Vestibular Stairway .

(2) الدهليز الاوسط Middle Stairway .

(3) درج الطبلة Tympamic Stairway .

ب) **العضو اللجائي** Organ of Corti : وهو العضو الذي يشتمل على خلايا السمع التي تعمل على انتاج فرق الجهد الكهربائي عندما تصل إليه الامواج الصوتية ، ويتم من هناك نقل النبضات الكهروعصبية عبر العصب السمعي الخاص إلى المناطق المختصة بالدماغ لتحليلها والتعرف عليها من اجل اصدار الاوامر واتخاذ التدابير المناسبة بشأنها .

الأذن والاتزان :

تلعب الاذن ولا سيما الجزء الاوسط منها دوراً هاما في توازن الجسم ، فهذا الجزء يشعرها بوضع الجسم الكلي في أوضاع الثبات والحركة . يوجد في هذا الجزء سائل يتحرك تبعاً للحركات التي تصدر عن الجسم بحيث يضغط هذا السائل على الزوائد الشعرية للخلايا العصبية المتصلة بقنوات الاذن الوسطى الهلالية ، واعتمادا على ذلك نشعر بالوضع الذي يتخذه الجسم . إن اصابة الاذن الوسطى بأي تلف أو اصابتها بالالتهاب من شأنه ان يؤثر على ثبات الجسم وتوازنه .

توظيف حاسة السمع في المجال العسكري:

تلعب حاسة السمع دوراً بارزا في المجال العسكري ولاسيما اثناء المعارك والحروب ، وتكاد تظهر اهميتها عندما لا يمكن الاعتماد على حاسة البصر اثناء المعركة . فهي وسيلة التأثير والاتصال والاقناع يلجأ إليها القائد لاعطاء الاوامر والتعليمات لافراد القوات المسلحة بالوقت الذي فيه يستخدمها للتأثير في الافراد لاثارة الروح المعنوية والحماس لديهم . وهي ايضا وسيلة للاتصال وتحديد مواقع الاشياء اوقات الظلام عندما لا تسمح ظروف المعركة باستخدام الاضواء ، إذ يتم اللجوء إليها من اجل تحديد اتجاه الاشياء ومواقعها من خلال الاصوات التي تصدر عنها . فمن خلال اصوات المدافع ومناطق اطلاق النيران وهدير الطائرات يمكن التعرف على مصادرها واتجاهاتها . ولكن ظروف المعركة وما ينتج عنها من اصوات مدويه يفرض على حاسة السمع بعض الشروط التي يجب اخذها بعين الاعتبار من قبل القادة وافراد القوات المسلحة ، وهذه الشروط هي :

1- إذا تم التعرض إلى صوتين مختلفين في التردد ، فإن الصوت الأكثر ترددا يطغى على الصوت الاقل ترددا بحيث يصعب تمييز هذا الصوت ، كما ان التعرض إلى صوتين متساويين في ترددهما من شأنه ان يشوش عملية السمع بسبب عملية التداخل التي تحدث بين الاصوات . ومثل هذا الاجراء يمكن استخدامه كإجراء للتشويش على اذاعة العدو .

2- إن التعرض إلى الاصوات المرتفعة لفترة طويلة من شأنه ان يحدث حالة صمم مؤقت ، وكثيراً ما نلاحظ هذه الظاهرة لدى الطيارين وافراد الدبابات والمدافع ، ولتجنب حدوث مثل هذه الظاهرة يجب استخدام الكمامات الواقية واللجوء إلى استخدام وسائل الاتصال الآلية مثل التليفون في التفاعل بين أفراد هذه الفئة اثناء المعارك .

3- إن التعرض إلى الاصوات المرتفعة من شأنه ان يؤدي إلى تلف الطبلة ، وهذا بالتالي من شأنه ان يعيق عملية السمع ، ولذلك فمن المفترض اثناء وجود الاصوات المرتفعة والمدوية القيام بما يلي :

أ- فتح الفم عند حدوث الانفجار لتخفيف الضغط على الاذن .

ب- الانبطاح ارضا عند توقع حدوث انفجارات لأن اصوات الانفجار تتجه من الاسفل إلى الاعلى .

ج- وضع الأصابع في الاذنين في حالة الصخب المرتفع للمساعدة على سماع بعض الاصوات ولا سيما العالية منها .

د- عند الشعور بوجود ضغط على الاذنين نتيجة الطيران أو النزول إلى مناطق منخفضة أو بسبب الاصوات المرتفعة ، فيفضل اجراء عمليات البلع المستمر وذلك لتخفيف الضغط على طبلة الاذنين .

ثالثا: حاسة اللمس Somatosense:

تختلف حاسة اللمس عن بقية الحواس الاخرى ، إذ ان خلايا الحس المرتبطة بالسمع والبصر والشم والذوق تتركز في مناطق محددة من الجسم ، في حين ان الخلايا الحسية اللمسية تنتشر في جميع مناطق الجسم ولاسيما السطح الداخلي والخارجي منه . هذا ويلعب الجلد دوراً اساسيا في هذه الحاسة نظرا لأن الخلايا الحسية تتواجد على سطحه بحيث يتم من خلالها نقل الاحساسات المختلفة الناتجة عن تغيّر البيئة . ويمكن تقسيم المستقبلات الحسية الموجودة في الجلد إلى ثلاثة اقسام رئيسة هي :

1- الخلايا الحسية التي تستجيب لتغير درجة الحرارة .

2- الخلايا الحسية التي تستجيب إلى المثيرات التي تسبب الألم والضيق .

3- الخلايا الحسية التي تستجيب للضغط والاهتزازات .

واعتمادا على ذلك ، فإن الفرد يتمكن من الاحساس بملامس الاشياء وطبيعتها والاهتزازت التي تقع على الجسم وحالات الألم والدفء والبرد ووضع اعضاء الجسم وحركة الرأس (Hayes,1994) .

أقسام الجلد :

يتألف الجلد من ثلاث طبقات رئيسة هي :

1- البشرة (Epidermis) : وهي الجزء الخارجي من السطح والتي تعمل على حماية الاجهزة الحسية التي تتواجد تحتها . تحوي البشرة خلايا مفلطحة الشكل دائمة التجدد بسبب كثرة احتكاكها بالمحيط الخارجي . ومثل هذه الخلايا تخلو من الاوعية الدموية ، إذ ان أي خدش فيها لا يؤدي إلى نزف الدم ، وتشتمل هذه الخلايا على مادة الميلانين (Melanin) المسؤولة عن لون الجلد ، وهذه المادة موروثة ولكن يمكن ان تسهم العوامل البيئية مثل ارتفاع درجات الحرارة أو انخفاضها في التأثير في هذه المادة مما يتسبب في تغيّر لون الجلد .

2- الأدمة (Dermis) : وهي الجزء الاوسط من الجلد وفيها تقع المستقبلات الحسية والاعصاب غير منتهية الاطراف . ويقع ايضا في هذه الطبقة الخلايا الحسية التي تستجيب للاهتزازات ذات التردد العالي والمنخفض .

3- النسيج الداخلي (Subcutaneous) : يمثل الطبقة الداخلية من الجلد وفيه تتواجد بعض الشرايين والأوعية الدموية بالاضافة إلى المستقبلات الحسية . ومن خلال هذه الطبقة يتم توليد النبضات الكهروعصبية ونقلها إلى المناطق الخاصة بها في الجهاز العصبي (Carlson, 1990) .

وظائف اللمس :

تخدم حاسة اللمس عدداً من الوظائف يمكن إجمالها على النحو الآتي :

1- الاحساس بحركة الاشياء من خلال الاحتكاك المباشر بها أو من خلال حركة الهواء الناتج عنها .

2- التعرف على خصائص الاشياء مثل الخشونة والنعومة والصلابة والليونة .

3- الاحساس بدرجة حرارة الاشياء مثل الدفء والبرودة .

4- الاحساس بالألم الناتج من مؤثرات خارجية أو داخلية .

5- الاحساس بالضغط والاهتزازات الواقعة على الجسم .

6- تحديد وضع اعضاء الجسم بالنسبة للأشياء التي تتصل بها في العالم الخارجي ، الامر الذي يُمكن من التحكم في حركة الاعضاء وتكييف وضعها بالنسبة للأشياء .

7- التعرف على اشكال الاشياء وتمييزها .

أهمية حاسة اللمس في المجال العسكري:

في كثير من الحالات يصعب الاعتماد على حاستي البصر والسمع في ظروف المعركة الليلية ، وعندها يمكن الاستعانة بحاسة اللمس للتعرف على الاشياء أو تلمس معالم الطريق .

لقد أثارت مسألة التواصل بين العميان والصم من خلال الجلد واللمس اهمية استخدام هذه الحاسة في الشؤون العسكرية ، وهذا ادى إلى اجراء البحوث والدراسات في مجال كيفية الاستفادة من هذه الحاسة في العمليات العسكرية والتي يمكن تلخيصها على النحو الآتي :

1- الاتصال بين رجال البحرية أو ما يسمى بالضفادع البشرية من خلال استخدام اجهزة تلصق فوق جلودهم تقوم على ارسال أو استقبال الذبذبات المرسلة إليهم .

2- مساعدة قادة الطيارات والدبابات على التعرف على الازرار المختلفة من خلال جعل هذه الازرار بأحجام واشكال مختلفة ليسهل تمييزها من خلال اللمس ، وذلك عندما يتعذر على القائد النظر إليها بسبب انشغاله في المراقبة والتركيز على الاهداف .

3- الاستفادة من الذبذبات الجلدية للتعرف على يقظة البحارة ونقل المعاني والرسائل إليهم .

4- الاتصال من خلال طبقات الجلد عندما يتعذر الاتصال بواسطة السمع أو البصر ، ويتم ذلك عبر الذبذبات الميكانيكية . ومثل هذه الوسيلة يمكن استخدامها لمساعدة الطيارين على الهبوط بطائراتهم فوق حاملات الطائرات وفي تحديد المواقع والاتجاهات .

رابعا: حاسة الذوق Gestation Sense:

تعد كل من حاسة اللمس والبصر والسمع ذات طابع ميكانيكي ، حيث تعمل مثل هذه الحواس وفق آليات ميكانيكية بحيث تعتمد بالدرجة الأولى على الخصائص الفيزيائية للمثيرات التي يتم التفاعل معها ، في حين أن حاستي الذوق والشم تعملان وفق آلية كيميائية ، تتمثل في اذابة المشمومات والمذوقات في السوائل الموجودة في غشاء الفم والانف . فعندما يدخل الطعام إلى داخل الفم ، تبدأ الغدد المتخصصة بإفراز اللعاب ، حيث تذوب فيه الاطعمة . وتتوقف كمية اللعاب التي تفرزها الغدد على نوعية الطعام أو مذاق المواد الداخلة إلى الفم ، إذ ان كمية اللعاب تزداد تبعا لشدة نكهة الطعام ومذاقه ورائحته .

فبالاضافة إلى تأثر هذه الحاسة بالعوامل الفسيولوجية ، فهي ايضا تتأثر بالجوانب النفسية ؛ فالخبرات السابقة بالاطعمة والميول والامزجة الشخصية تلعب ايضا دوراً بارزاً في حاسة التذوق لدى الإنسان ، كما ان هذه الحاسة تتأثر بعوامل اخرى كالعمر مثلا ، إذ ان

المستقبلات التذوقية الحسية لدى صغار السن اكثر عددا منها لدى كبار السن ، وهذا يفسر سبب سرعة اشمئزاز الاطفال من بعض الاطعمة والادوية . هذا وتتداخل هذه الحاسة مع حاسة الشم ، إذ ان الاطعمة التي نعتبرها ذات نكهة مميزة يتم ادراكها في كثير من الاحيان من خلال الرائحة وليس الطعم . ومن الأدلة على اهمية حاسة الشم في تذوق الطعام ، فقداننا لطعم الطعام ونكهته عندما نصاب بحالة من الانفلونزا أو الزكام .

يسهم اللسان بدور بارز في عملية التذوق ، حيث تنتشر على سطحه المستقبلات الحسية المسماة بالحلمات (Papillae) ، ويتألف كل منها من خلايا حسية متخصصة في اذواق معينة . فالحلمات الموجودة على رأس اللسان تمكن الفرد من الإحساس بالأذواق الحلوة والمالحة ، في حين يتم الوعي بالأشياء الحامضة من أطراف أو جانبي اللسان ، أما الأشياء المرة (اللاذعة) فيتم الإحساس بها في المناطق الخلفية من اللسان . كما يُمكن من خلال اللسان الوعي بالعديد من المظاهر الأخرى المرتبطة بالذوق مثل النكهات اللذيذة والأشياء الحارة والساخنة والباردة والأطعمة المحروقة النكهة والعطرية وغيرها .

دور حاسة الذوق في المجال العسكري:

يمكن استغلال حاسة الذوق في نطاق محدود في المجال العسكري ويكاد ينحصر استخدامها في التعرف على طبيعة المواد والمهمات العسكرية من خلال تذوقها ، ولكن مثل ذلك يتطلب خبرة ودارية فنية بسبب خطورة العديد من المواد الكيميائية المستخدمة في القوات المسلحة .

خامسا: حاسة الشم Olfactory Sense:

تعد حاسة الشم من أكثر الحواس إثارة للجدل لحقيقة مفادها أن الروائح المتعددة يمكن أن تثير بعض الذكريات والمشاعر القديمة التي سبق وأن مر بها الفرد . ويعود السبب في ذلك إلى أن جهاز الشم يرسل معلومات إلى جزء من الدماغ يسمى بالجهاز اللمفاوي (Limbic System) وهذا الجزء في الأصل يتدخل في الجوانب الوجدانية والانفعالية وفي إثارة الذكريات لدى الأفراد .

وكما هو الحال في حاسة الذوق ، فإن الروائح تذوب في السوائل الموجودة في غشاء الأنف المخاطي(Olfactory Mucosa) حيث يتم استقبالها من قبل الخلايا الحسية الشمية الموجودة في هذا السائل المخاطي و ينتج عن ذلك فرق الجهد الكهربائي ، إذ تنتقل النبضات

الشمية الكهروعصبية عبر محاور هذه الخلايا الى الخلايا الأخرى في نهاية عصب الشم والتي تدعى ببويصلات الشم (Olfactory Bulbs) ، ومن هناك يتم ارسال النبضات العصبية الشمية إلى المناطق المختصة في الفص الصدغي من الدماغ من اجل تفسير الروائح وإصدار الأوامر بشأنها .

وبخلاف حاسة الذوق التي تتطلب الاتصال المباشر بالأشياء ، فإن حاسة الشم تُمكّن الفرد من اتخاذ الاجراءات المناسبة دون الحاجة الى الاتصال المباشر بالأشياء ، وهذا يساعد في سرعة التكيف واتخاذ السلوك المناسب في ضوء الروائح التي يستقبلها الأنف والتي تنتقل إليه عبر الهواء .

فائدة حاسة الشم في المجال العسكري:

يمكن الاستفادة من حاسة الشم في تمييز أنواع المقذوفات من خلال تمييز روائحها ، كما أنه بالامكان التعرف على الهجمات التي تستخدم فيها الغازات والمواد الكيميائية . و هذا يتطلب بالتأكيد التدريب الفني على كيفية استخدام مثل هذه الحاسة .

الانتباه "Attention":

يعد الانتباه العملية التالية التي تتبع عملية الاحساس ، ويُعرّف الانتباه على أنه تركيز عضو الحس في حالة الاستثارة التي تنتج عن الاحساس بمثير معين أو في بعض خصائص هذا المثير ، ويمكن لعملية الانتباه أن تأخذ مظهرين هما :

أ . **مظهر فيزيائي** : ويتمثل في توجيه حاسة معينة نحو مصدر مثيري معين والتركيز فيه .

ب . **مظهر معرفي** : ويتمثل في تركيز عملية التفكير في عملية أو مهمة ما .

يمتاز نظام معالجة المعلومات لدى الإنسان بالسعة المحددة ، إذ يصعب معالجة أكثر من حدث واحد بالوقت نفسه . فعندما ينشغل الفرد في مهمتين معاً فغالباً ما يحدث التداخل في الانتباه لصعوبة توجيه كافة الانتباه إليهما معاً . وهذا بالتالي يدفعنا إلى الإنتقائية في الانتباه ، وعموماً يتأثر الانتباه بعدد من العوامل تتمثل في :

1- **خصائص المثيرات الفيزيائية** : مثل اللون والشكل والحجم والشدة والتغير والموقع بالنسبة للخلفية . فالمثيرات القوية تجذب الانتباه أكثر من المثيرات الضعيفة ، فمثلا الأصوات العالية والحادة تحتل بؤرة الاهتمام أكثر من الأصوات

الخافتة أو الغليظة ، كما أن الضوء الشديد يجذب الانتباه أكثر من الضوء الخافت ، والألوان الزاهية تنال اهتمام الأفراد أكثر من الألوان الداكنة .

2- **التباين أو التغاير في شدة المثير** : إن المثيرات التي تسير حسب وتيرة ثابتة لا تجذب الانتباه ، ولكن التغاير في وتيرتها يؤدي الى جذب الانتباه اليها ، فعلى سبيل المثال ، لا ننتبه إلى صوت محرك السيارة عندما يدور بانتظام وحسب وتيرة متسقة ، ولكن سرعان ما ننتبه إلى صوت المحرك عندما تتغير وتيرته .

3- **الحالة الانفعالية والمزاجية التي يمر بها الفرد** : حيث يقل انتباه الفرد الى الكثير من المثيرات ولا سيما الخارجية منها في حالة كون الفرد يعاني من حالة انفعالية معينة مثل الغضب والحزن والفرح الشديد ، أو عندما يمر في مزاج متقلب أو يعاني من الألم والمرض .

4- **الحاجات والدوافع الشخصية** : إن وجود دافع ملح بحاجة إلى إشباع مثل الجوع أو العطش أو النوم أو التعب من شأنه أن يؤثر في درجة الانتباه لدى الفرد لأن مثل هذه الدوافع تستنزف الطاقة النفسية وتعمل على تشتيت الانتباه .

5- **التوقع** : يصرف الفرد في الغالب انتباهه عن الكثير من المثيرات المحيطة به ويتوجه في الانتباه الى مصادر معينة عندما يتوقع حدوث بعض الأهداف أو ظهور بعض المثيرات .

6- **الجدة والحداثة في المثيرات** : يقل انتباه الفرد عادة الى المثيرات المألوفة أو الاعتيادية ولا سيما تلك التي يخبرها الفرد على نحو مستمر ، في حين يزداد انتباهه الى المواقف والمثيرات الجديدة غير المألوفة .

7- **أهمية المثيرات والأحداث** : ينجذب الفرد في انتباهه الى المواقف والمثيرات التي يعتقد أنها ذات أهمية بالنسبة له .

التطبيقات العسكرية :

أولا : تدريب افراد القوات المسلحة على كيفية تمييز الأهداف والعناصر الرئيسة والانتباه لها دون غيرها من الأشياء الأخرى .

ثانيا : ضرورة تجنب استخدام الألوان الزاهية أو الفاقعة في تلوين المعدات العسكرية لأن مثل هذه الألوان تجذب الانتباه .

ثالثا : استخدام أساليب في التحرك والحركة تعتمد على الانتظام والثبات والتجانس لأن التغاير في الحركة أو في الوضعية التي يتخذها المثير من شأنه أن يجذب الانتباه إليه .

رابعا : تحليل المهمات العسكرية المختلفة وبيان العناصر الرئيسة والهامة فيها .

خامسا : ضرورة إشباع دوافع وحاجات أفراد القوات المسلحة لأن عدم اشباعها من شأنه ان يقلل من عوامل الانتباه والتركيز لديهم .

سادسا : مساعدة أفراد القوات المسلحة على التكيف من خلال التعرف على مشكلاتهم والمساعدة في حل مثل هذه المشكلات لضمان تركيز انتباههم على المهمات العسكرية الموكلة إليهم .

الإدراك "Preception":

يمكن النظر إلى الإدراك على أنه العملية التي يتم من خلالها تفسير العالم الخارجي وإعطاء المعاني الخاصة للمثيرات الموجودة فيه .

فالادراك بالمفهوم الواسع يشير إلى عملية تحويل الانطباعات الحسية الى تمثيلات عقلية معينة ، إذ من خلال هذه العملية يستطيع الأفراد فهم الأشياء التي تحيط بهم والتعرف على خصائصها على نحو يمكنهم من اتخاذ التدابير السلوكية المناسبة حيالها .

يختلف الادراك عن الاحساس ، فالاحساس يتمثل في عمليات التنبيه أو الوعي لوجود الأشياء ، في حين أن الادراك يتضمن المعنى أو التفسير الذي يعطى لمثل هذه الأشياء . ولتوضيح الفرق بينهما تخيل أنك تنظر الى شجرة على بعد مترين ثم على بعد ستة أمتار ، فخيال الشجرة الواقع على الشبكية هو احساس يتغير حجمه ، كلما ابتعدت عن الشجرة ، ولكن نجد أن المدرك (صورة الشجرة) لا يتأثر بذلك .

طبيعة الإدراك :

هناك من ينظر الى الادراك على انه قدرة فطرية موروثة حيث يولد الانسان وهو مزود بالآليات التي تمكنه من ادراك الاشياء بالطريقة التي يدركها بها . فعلى سبيل المثال نحن ندرك المسافة أو الموقع او العمق بهذه الطريقة لأننا مهيؤون فطريا لادراكها بهذا الشكل ، ولكن هناك وجهة نظر أخرى ترى أن الإدراك يعتمد على عمليات التعلم والخبرة والتدريب ، أي أننا نشكل إدراكنا للأشياء في ضوء خبرات التفاعل و الممارسة المستمرة مع أشياء هذا العالم (Hilgard & Bower, 1981) .

وانطلاقا من ذلك ، ظهرت نظريات مختلفة بهذا الشأن ، فمنها ما أكد النظرة الجزئية التحليلية للإدراك من حيث اعتباره عملية تشكيل ارتباطات بين احساسات ومعانٍ معينة ، في

حين اعتمد بعضها الآخر النظرة الكلية الشاملة للإدراك والتي ترى أن الادراك يتم من خلال كليات وليس جزئيات لأن الأشياء تفقد معانيها أو وظائفها في حال التعامل معها على أساس الأجزاء .

قوانين الإدراك الحسي:

تعد نظرية الجشتلت التي ظهرت في ألمانيا في مطلع العشرينات من القرن الماضي من أكثر النظريات المعرفية اهتماما بموضوع الإدراك الحسي . فقد عمدت هذه النظرية الى تحديد المبادئ الرئيسة التي تحكم التنظيم المعرفي الإدراكي لدى الأفراد ، فهذه النظرية تؤكد مبدأ الكلية في الأفراد ، إذ ترى أن الأشياء تدرك بكلياتها وليس من خلال عناصرها المكونة لها ، فالتحليل للأشياء يؤدي الى تزييفها وضياع المعنى أو الجوهر الكامن فيها ، لأن عملية التحليل تؤدي الى ضياع العلاقات التي تحكم عناصر الأشياء . ومن هذا المنطلق نجد أن هذه المدرسة تنطلق من المبدأ القائل "أن الكل هو أكبر من مجموع العناصر المكونة له" ؛ فالكل هو مجموع العناصر بالاضافة الى المعنى أو الوظيفة التي ينطوي عليها (جازادا وريموندجي ، 1986) . فالمقطوعة الموسيقية هي مجموعة أنغام تعزفها آلات موسيقية مختلفة تتجمع معا لتعطي لحناً معينا لا يمكن ادراكه من خلال الاستماع الى أصوات الآلات على نحو منفرد .

لقد استطاعت نظرية الجشتلت من خلال الأبحاث والدراسات التجريبية على الحيوانات والإنسان من التوصل الى عددٍ من المبادئ التي تحكم عملية الإدراك وهي :

أولا : الشكل والخلفية :

نحن في واقع الحياة ، لا نتعامل مع أشياء أو مثيرات مستقلة عن المجال ، إذ من الصعب تمييز الأشياء دون الإستناد الى إطار مرجعي يبرز حدود ومعالم هذه الأشياء ؛ وبالتالي فإن مدرسة الجشتلت ترى أننا في إدراكنا للأشياء نعمد إلى التركيز على بعض المظاهر من المجال الكلي للتركيز عليها على اعتبار أنها الشكل ، في حين يتم اعتبار بقية الأجزاء المحيطة به على أنها الخلفية . فعند القراءة على سبيل المثال يتم التركيز على الكلمات المكتوبة باللون الاسود على اعتبار انها الاشكال مع اهمال الصفحة البيضاء التي تشكل الخلفية التي تقع عليها مثل هذه الكلمات . وعموما فإن الشكل هو الجزء الذي يبدو سائدا وبارزا عن المحيط أو المجال الذي يقع عليه ، وهو الذي يحتل بؤرة الاهتمام والانتباه لكونه يبدو مختلفا نوعا ما عن الخلفية . ولكن في حالة الاشكال الغامضة التي تكون معالم الشكل غير محددة أو واضحة ، ففي الغالب

يتم التركيز على بعض الجوانب على اعتبار انها الكل واعتبار الاجزاء المحيطة بها على انها الخلفية (الزغول ، 2003) .

إلا ان مثل هذا الادراك قابل للتغيير في ضوء عمليات الانتباه إلى عناصر هذا الشكل . وخير دليل على ذلك الامثلة الورادة في الشكل التالي :

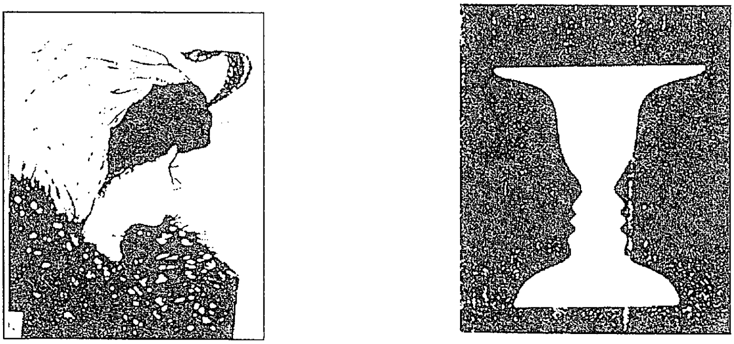

بروفيل (أ) بروفيل (ب)

إذا نظرنا إلى البروفيل (أ) فقد يتم التركيز على الجزء الابيض وعندها يكون المدرك (كأس) ، في حين تشكل الاجزاء السوداء المحيطة به الخلفية أو الارضية .أو قد يتم التركيز على الجزء الاسود على اعتبار أنه الشكل وعندها يكون المدرك «وجهين متقابلين» ، في حين يشكل الجزء الابيض الخلفية أو الارضية . اما في البروفيل (ب) فقد يتم إدراكه على انه صورة فتاة جميلة أو عجوز شمطاء حسب درجة التركيز أو الانتباه التي يقوم بها الفرد .

وانطلاقا من ذلك يجب مراعاة ذلك في المعدات والمهمات العسكرية من حيث :

أ) تلوين المعدات العسكرية بنفس لون الارض أو المواقع التي توجد فيها .

ب) تجنب استخدام الالوان الزاهية أو البراقة بسبب درجة تباينها العالية .

ج) تجنب استخدام الادوات والمواد العاكسة ، وفي حال استخدامها يجب طلاؤها بالطين أو بعض الدهانات التي تجعل منها خشنة .

د) تجنب توضيع المعدات والآلات العسكرية بالقرب من الافق حتى لا تكون واضحة وسهلة الاصطياد .

هـ) اخفاء المعدات العسكرية مثل المركبات والمدافع والدبابات وغيرها عبر ثنايا الارض ، لأن توضيعها فوق الارض يجعل منها اشكالا بارزة سهلة الاكتشاف .

و) تجنب استخدام الالوان التي تعطي المعدات لمعانا .

ز) دمج الاشياء والمعدات مع طبيعة الارض التي تقع عليها حتى لا تبدو بارزة عن الارض والعمل على جعلها تأخذ نفس شكل الخلفية التي تقع عليها .

ثانيا : التشابه :

يأخذ الادارك الحسي طابع التجميع أو التبويب في ضوء بعض الخصائص ، فعلى سبيل المثال ، نميل إلى ادراك الاشياء التي تشترك وتتشابه معا في بعض الخصائص مثل اللون أو الشكل أو الحجم على انها تنتمي إلى مجموعة أو فئة واحدة ، وهذا بالتالي يُسهل عملية اكتسابها وتذكرها . وهذا يعني ضرورة عدم تجميع المعدات العسكرية المتشابهة معا في نفس موقع المعركة وذلك من اجل تضليل العدو ومنعه من اكتشافها .

ثالثا : التقارب :

اعتمادا على خاصية التجميع ، فإننا ننزع إلى ادراك الاشياء التي تتقارب في الحدوث الزماني أوالمكاني على أنها تنتمي إلى مجموعة أو فئة واحدة . اما العناصر والاشياء التي تتباعد في الحدوث الزماني أوالمكاني فتدرك على انها مختلفة عن بعضها بعضاً ولا تنتمي إلى نفس المجموعة . واعتمادا على ذلك يجب تنظيم وترتيب قطاعات القوات المسلحة بطريقة ما بحيث لا تبدو على انها تشكيلات للقوات المسلحة . كما يفترض بالتحرك العسكري ان لا يتم في مجموعات متتابعة يتقارب تحركها الزماني أو المكاني معا وذلك حتى لا يتم تمييزها بسهولة من قبل قوات العدو .

رابعا : الإغلاق :

ويعني اننا بطبيعتنا الادراكية نبحث عن حالة الاكتمال أو الاستقرار المعرفي الذي يحقق المعنى أو الوظيفة للأشياء المدركة . وبالتالي ، فإن عملية إدراك الأشياء المكتملة تكون اسهل من إدراك الاشياء الناقصة أو غير التامة . ولكن في حالة الاشياء الناقصة ، فإن التنظيم الادراكي لدينا يعمل على سد الثغرات وملء الفجوات بهدف الوصول إلى حالة من الاستقرار والاكتمال المعرفي وتشكيل ما يسمى بالكل الجيد . ان مثل هذه الخاصية يمكن استغلالها في القوات المسلحة لتضليل العدو وذلك من خلال استخدام نماذج وهمية مثل قطع الاخشاب والكرتون وتوضيعها في ارض المعركة لتبدو للعدو على انها معدات وقطاعات عسكرية .

6

الفصل السادس

الحرب النفسية

مقدمة:

لا يكاد يخلو يوماً من ايام حياتنا الا نسمع اونقرأ شيئاً يتعلق بمصطلح الحرب النفسية ؛ ففي احاديثنا اليومية عما يدور في هذا العالم من احداث او ازمات سياسية او عسكرية ، غالباً ما نردد هذا المصطلح في تحليلاتنا لمثل تلك الازمات . كما اننا قد نقرأ مقالة اوتعليقاً في إحدى المجلات المختصة او في جريدة يومية حول حدث معين وفيه يتعرض الكاتب الى جانب الحرب النفسية كأحد جوانب التحليل لهذا الحدث . وقد نرى او نسمع في وسائل الاعلام مثل التلفاز او الراديو او عبر الانترنت الى العديد من التعليقات حول الازمات التي تحدث في هذا العالم ، ولا تكاد تخلو التحليلات من التعرض الى مصطلح الحرب النفسية .

أن الحديث عن مصطلح الحرب النفسية او الاستماع الى بعض المعلومات المتعلقة به امراً سهلاً ، ولكن تناوله من الجانب العلمي- الاكاديمي ليس بالامر اليسير ؛ فهو على غاية من الصعوبة لأنه بحد ذاته يشكل ظاهرة نفسية- اجتماعية معقدة ومتعدده العوامل والمتغيرات .

فالحرب النفسية معادلة متعددة الأطراف تتضمن :

أ-**المرسل** : وهو الطرف او الجهة التي تشن الحرب النفسية ، وقد يتمثل في دولة ، أو هيئة ، او مجموعة خاصة ، او القادة .

ب-**الرسالة** : وهي مضمون الحرب النفسية .

جـ-**الوسيط** : وهو الادوات والوسائل المستخدمة في ايصال مضمون الحرب النفسية الى الجهة او الطرف المعني بها ، وتشمل كافة الوسائل الدعائية وغيرالدعائية مثل استخدام القوة ، والاشاعة ، والملصقات .

د-**الهدف** : ويتمثل في الاغراض المنوي تحقيقها من مضمون الحرب النفسية ، ويتباين هذا الهدف باختلاف الأغراض من الحرب النفسية ، وتتراوح هذه الاغراض بين الاهداف التكتيكية والاهداف الاستراتيجية .

وعموماً ، فهي تسعى الى اضعاف الروح المعنوية لدى أفراد مجتمع ما ، والتأثير في درجة تماسكه ، وانزال الرعب والهلع والخوف وشل ارادة الطرف المعني والتأثير في اتجاهاته وانماط التفكير لديه وإجباره على قبول الواقع المفروض عليه .

وتجدر الاشارة هنا ، ان هناك ابعاداً ترتبط بهذه الاطراف وتتمثل هذه الابعاد بالبعد الفني والنفسي والاجتماعي والسياسي للحرب النفسية .

ويضاف إلى ذلك ، ان استخدام الحرب النفسية لا يقتصر على اوقات الحرب (المعارك العسكرية) فحسب ، لا بل تستخدم في اوقات السلم ايضا ؛ فهي ظاهرة شاملة لا ترتبط بزمن محدد ، اذ قد تمتد قبل واثناء وبعد الازمات او الحروب ، وربما لا تظهر آثارها على نحو فوري مباشر . كما انها غير محددة المصادر ، فليس من السهل تحديد الصديق او العدو فيها كما هو الحال في الحرب الميدانية . وفيها يمكن اللجوء الى العديد من الوسائل والاجراءات التي لا يكون فيها الهدف واضحاً للخصم ، وتتمثل في التستر وراء الدين أو العلاقات والقيم الانسانية والحريات ، واستغلال الصحافة والاخبار ، واللجوء الى النكات والمزاح ، واستخدام الاشاعات والملصقات .

وهكذا ، فإننا نجد أنه ليس من السهولة الاحاطة بموضوع الحرب النفسية ، وهذا بالتالي مما زاد في صعوبة ايجاد تعريف واضح ومحدد لها .

تعريف الحرب النفسية Psychological War :

يمكن النظر الى الحرب النفسية على أنها فن استخدام جميع الوسائل والإجراءات الدعائية اوغير الدعائية المتاحة من قبل طرف معين للتأثير في معنويات طرف آخر ، متمثلاً ذلك في التأثير في ارادته واتجاهاته ومعتقداته وعواطفه واساليب تفكيره وانماطه السلوكية المتعددة .

ومن هنا ، نلاحظ عمومية هذا التعريف نظراً لاتساع دائرة الحرب النفسية وتعدد متغيراتها ؛ فكما يلاحظ فهي تشتمل على شريحة واسعة من الاجراءات والوسائل بالوقت الذي تسعى فيه الى تحقيق اهداف وغايات متباينة ومتعددة .

ملامح الحرب النفسية :

يمكن ايراد العديد من الخصائص والمميزات للحرب النفسية والتي تعد بمثابة الملامح الرئيسة لها وتتمثل بالآتي :

أولاً : هي احدى الاسلحة الفعالة التي تسير جنباً الى جنب مع الحرب الميكانيكية الميدانية او قبلها او بعدها . فهي احدى العناصر الهامة في الحرب الشاملة وتسهم إلى حد كبير في تحقيق أهدافها .

ثانياً : لا تقتصر الحرب النفسية على اوقات الحرب الحقيقية ، وانما قد تستخدم ايضاً في اوقات السلم ، وذلك كما كان سائداً إبان الحرب الباردة بين المعسكر الشيوعي والرأسمالي .

ثالثاً : لا تلتزم بقوانين او اعراف دولية او دينية او مبادئ الرقابة المتفق عليها دولياً كما هو الحال في الحروب العسكرية التقليدية .

رابعاً : تتباين اهدافها حسب الغرض منها . وبشكل عام فهي تسعى الى اضعاف معنويات طرف معين وزعزعة ثقته بنفسه وشل ارادته من اجل فرض ارادة معينة عليه .

خامساً : تستخدم جميع الوسائل والاجراءات الدعائية وغير الدعائية المتاحة مثل : استعراض القوة ، التهديد ، الاشاعات ، تجسيم الاحداث ، الفكاهة والنكات ، الخداع والتضليل ، الاخبار ، الاغراءات ، الاذاعة والتلفزيون ، مكبرات الصوت ، المجلات ، الافلام السينمائية ، المنشورات والملصقات ، حملات الهمس ، والتستر وراء الدين والقيم الانسانية وغيرها .

سادساً : بالاضافة الى الحرب العسكرية ، فهي ترتبط ايضاً بأنواع اخرى من الحروب مثل : الحروب الاقتصادية والسياسية والكيميائية والجرثومية والدبلوماسية .

سابعاً : هي أكثر خطورة من الحرب العسكرية الميدانية للأسباب التالية :

أ- غير محددة المصادر ؛ فالعدو فيها غير معروف او محدد ، وقد يكون من داخل المجتمع او خارجه .

ب- تستهدف الجانب النفسي والمعنوي للأفراد للتأثير في اتجاهاتهم وافكارهم ومعتقداتهم واساليب تفكيرهم .

جـ- تستهدف المدنيين والعسكريين على السواء ، اي انها تستهدف الجبهة الداخلية والخارجية للمجتمع .

د- سريعة التسلل إلى أفكار ووجدان الافراد دون الوعي الى الاهداف الكامنة وراءها .

هـ- أكثر دواماً واستمرارية ؛ فهي لا ترتبط بزمن محدد وقد تستمر اثناء الحرب والسلم معاً .

لمحة تاريخية عن تطور الحرب النفسية:

لقد ورد في الفصل الأول من هذا الكتاب ، ان استغلال الجوانب النفسية في المجالات العسكرية ولا سيما في اوقات الحرب لم يكن حديث العهد . وتكاد تكون الحرب النفسية من اولى الاستخدامات للجوانب النفسية في الشؤون العسكرية . وقد شاع استخدامها لأول مرة في بلاد ما بين النهرين .

ففي هذا الصدد تشير الادلة والشواهد التاريخية الى أن قدماء المصريين الفراعنة والإغريق اليونانيين ، قد استخدموا مبادئ الحرب النفسية ضد خصومهم بهدف الحاق الرعب والخوف في قلوبهم ، وإضعاف الروح المعنوية لديهم وخلق حالة من الفوضى والارباك وعدم الثقة في صفوفهم . كما استخدم قدماء اليونانيين أساليب التشهير السياسي والسب والشتم ضد أعدائهم كأحد أدوات الحرب النفسية .

وتدل الشواهد التاريخية على أن قدماء الاغريق او ما يعرف بـ «اسبارطية» قد استخدموا عناصر القوة كأحد مقومات الحرب النفسية لانزال الهلع والخوف والرعب في قلوب اعدائهم . وقد تمثل ذلك في إعداد جيش قوي يخضع الى معايير صارمه في الاختيار والبناء والتدريب . كان اسلوب الاختيار يقوم على اخذ كل طفل حديث الولادة ليوضع على قمة احد الجبال ويترك عارياً بلا مأوى او طعام طوال الليل ، بحيث يصار إلى اختيار كل طفل ينجو من الموت ويتمتع بصحة جيدة ليتم إعداده وتدريبه ليكون احد افراد الجيش .

ويذكرالتاريخ ايضاً ، ان اليونانيين كانوا يشكلون مجموعات من الافراد تنتشر في قلب المعركة وتتمثل مهمتها في نشر الدعايات والشعارات مثل "انت لا تقاتل أشقاءك" ؛ وذلك بهدف خلق جو من البلبلة وحالة من الفوضى والارباك في صفوف قوات الخصم واضعاف الروح المعنوية لديهم .

ويقال ان احد القادة العسكريين القدماء لجأ الى اسلوب الحيلة والمكر والدهاء كأحد اساليب الحرب النفسية ، وتمثل هذا الأسلوب في خلق حالة من الفوضى والاضطراب في صفوف قوات العدو من خلال اطفاء الانوار على نحو مفاجىء ودق الطبول بقوة مما نتج عن هذا الاجراء اعتقاد افراد العدو بأن هناك هجوماً قد وقع بالفعل ، وهذا أدى بهم الى قتال بعضهم بعضاً .

ويذكر المؤرخ الصيني (سون تزو) ان الصينيين القدماء استخدموا مبادئ الحرب النفسية مثل السحر والعرافين العسكريين والدعاية والإشاعة في معاركهم ضد اعدائهم . وقد كتب هذا المؤرخ حول مبادئ الحرب النفسية وكيفية استخدامها بالاضافة الى آرائه في مجال القيادة واخلاقياتها ومهامها .

وعندما جاءت الدعوة الإسلامية لم يؤمر سيدنا محمد (ﷺ) بالقتال ، واقتصرت مهمته على التبليغ بالوسائل السلميّة التي تستند الى الحكمة والموعظة الحسنة والتبشير والانذار والتسامح لقوله تعالى : ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون﴾ صدق الله العظيم (سورة الأحقاف ، آية 35) .

ومع ذلك ، فقد استغل الرسول (ﷺ) الجانب النفسي في رفع الروح المعنوية وتعزيزها لدى أولئك النفر القليل الذين آمنوا برسالته ، وحثهم على الصبر والتحمل مستغلاً الدوافع الإنسانية من خلال وصف ما أعدّ الله لهم في الآخرة من جنان النعيم ، بالوقت الذي استغل فيه هذا الجانب ايضاً للتأثير في نفسية ومعنويات الكافرين بوصف عذاب النار وجحيمها .

ولكن عندما هاجر الرسول الى المدينة المنورة وبدأ في بناء دولة الاسلام ، ازدادت التحديات وكثر خصوم هذه الدولة من اليهود وكفار قريش والقبائل العربية وازداد تربصهم بالإسلام والكيد له ، عندها جاء الاذن الإلهي للمسلمين بالقتال ضد اعدائهم دفاعاً عن العقيدة والنفس والعرض والممتلكات لقوله تعالى : ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز﴾ صدق الله العظيم (سورة الحج ، اية 39-40) .

لقد تنبه الرسول الاعظم (ﷺ) الى أهمية الجانب النفسي في بناء افراد الامة الاسلامية وإعدادهم ، وازداد ايمانه بهذا الجانب بعد الاذن الالهي للمسلمين بالجهاد . وقد استغل هذا الجانب خير استغلال في شحذ الهمم وتعزيز المعنويات ورفع الكفاءة القتالية لدى المسلمين دفاعاً عن العقيدة والنفس والمال والعرض . كما انه بالوقت نفسه ادرك اهمية الحرب النفسية في التأثير في عزيمة ومعنويات الاعداء تجسيداً لقوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم وآخرين دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم . . .﴾ صدق الله العظيم (سورة الأنفال ، آية 60) .

وتأكيداً لأهمية الحرب النفسية في ارهاب العدو وخلق حالة من الوهن والفوضى في صفوفه يقول الرسول (ﷺ) : «نصرت بالرعب مسيرة شهر» ؛ ويقول ايضاً : «الحرب خدعة» . وقد استغل الرسول العديد من الوسائل والاجراءات كأدوات للحرب النفسية ، تمثلت في استخدام اسلوب التعرض والمفاجأة واستحداث مواقف لا يكون العدو مستعداً لها . ومن اساليب الحرب النفسية الاخرى التي وظّفها الرسول (ﷺ) هو قتل قادة العدو ، وتضخيم

القوة كما فعل في فتح مكة عندما طلب من كل مسلم اشعال نار وذلك لإلحاق الرعب والهلع في نفوس مقاتلي قريش .

ومن الأمثلة الواضحة والجلية على الحرب النفسية أيضاً قبول الرسول (ﷺ) للخطة التي قدمها نعيم بن مسعود الغطفاني في غزوة الخندق والتي تقوم على المكر والخديعة ، حيث عمد الى زعزعة الثقة في صفوف اليهود وقريش من خلال الايحاء لهم بأن كل طرف ينوي الغدر بالطرف الآخر . وتمثلت خطته في اقناع يهود بني قريظة بأن قريش مجرد عابرة سبيل لا يهمها أمر المدينة ، فإذا ما انهزمت فإن الجيش الاسلامي سيرتد لقتالهم . كما انه بالوقت نفسه ذهب الى قريش واخبرها بأن يهود بني قريظة تنوي نقض عهدها مع قريش ، وقد طلب من كل فريق ان يطلب عدداً من الرجال كرهائن من الفريق الآخر ، وبهذه الحيلة أوقع الفرقة وعدم الثقة بين اليهود وقريش .

وسيراً على هدْي سيدنا محمد (ﷺ) ، استخدم الخلفاء الراشدون والعديد من القادة مبادئ الحرب النفسية في معاركهم وفتوحاتهم المختلفة . ومن هؤلاء القادة نذكر بعضاً منهم امثال : خالد بن الوليد ، وعمر بن العاص ، وسعد بن ابي وقاص ، وطارق بن زياد ، ويزيد بن ابي سفيان ، وصلاح الدين الايوبي ، والظاهر بيبرس وغيرهم . فقد استغل هؤلاء القادة اساليب المباغتة والتعرض والمفاجأة والدعاية في معاركهم ضد الاعداء للتأثير في معنوياتهم واضعاف الروح القتالية لديهم .

ويذكر أن خالداً بن الوليد كان يستغل الجانب النفسي خير استغلال في معاركه ، فقد كان يلجأ إلى اساليب قتالية تقوم على المفاجأة وسرعة الحركة والهجوم الساحق والمناورة وقتل قادة العدو بغية اضعاف الروح القتالية وإلحاق الرعب والهلع في قلوبهم . وتشير المصادر التاريخية ان مجرد ذكر اسم خالد بن الوليد كان يشكل كابوساً لجنود الاعداء ، وكان كفيلاً لوحده بأن يضعف المعنويات لديهم بالوقت الذي كان فيه يعزز من معنويات الجنود المسلمين . ومما يدلل على ذلك ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قام بعزله عن قيادة الجيش حتى لا يعتقد المسلمون بأن خالداً هو سبب النصر (الديري ، 1982) .

ومن الامثلة الاخرى على استخدام الحرب النفسية في القتال استخدام الدعاية ، إذ يذكر التاريخ عن عمرو بن العاص أنه كان بارعاً في هذا المجال ، وقد استغل الدعاية الحربية خير استغلال في جميع المعارك التي قادها .

وفي العصر الحديث شاع استخدام الحرب النفسية بشكل واسع ، ويكاد يكون المحلل العسكري الإنجليزي "فوللو" أول من أطلق مصطلح الحرب النفسية ، حيث دعا إلى إزالة المدافع عن الدبابات وتركيب الأبواق بدلاً منها لنقل الدعوات والإشاعات إلى جنود الطرف المعادي بغية التأثير في معنوياتهم وحثهم على الاستسلام . هذا وقد انتشرت الحرب النفسية بشكل كبير ولا سيما اثناء الحربين العالميتين الاولى والثانية ، وفيها تم استغلال ادوات متعددة مثل : المناشير والاشاعات ووسائل الاعلام ووسائل القوة لإثارة حالات الرعب والانهيار العصبي والذعر الكامل لدى الافراد . ففي الحرب العالمية الثانية على سبيل المثال ، كانت الطائرات تسقط على الجنود والمدن منشورات لخلق حالة من عدم الثقة والايحاء بعدم الجدوى من المقاومة ، ومثل هذا الاجراء تم استخدامه من قبل الامريكان في حرب فيتنام وكوريا والهجوم على العراق . كما انه اثناء حرب فيتنام عمد الفيتناميون الى نشر القمل بين الجنود الامريكان لخلق حالة من الانهيار العصبي وعدم القدرة على التركيز في صفوفهم .

لقد استخدمت اسرائيل الحرب النفسية على نحو منظم في صراعها مع العالم العربي ، وابتدعت اساليب الدعاية وحملات التضليل وتزوير الحقائق والتمادي في العنف والارهاب واختلاق الازمات والنزاعات ، وتشويه صورة الشخصية العربية . وكانت تهدف من وراء ذلك تضليل الرأي العام وكسب التأييد العالمي والتعاطف مع اسرائيل ، بالإضافة الى خلق حالات من الرعب واليأس والهلع في الصف العربي ، والعمل على تعزيز عوامل التفرقة بين اجزاء العالم العربي وفرض سياسة الواقع عليه .

وتجدر الإشارة هنا ، أن اسرائيل في ايامنا الحالية تستخدم الحرب النفسية ضد الانتفاضة الفلسطينية خاصة والشعب العربي عامة باللجوء الى العنف والارهاب والتدمير وسياسة هدم المنازل والاغتيالات والابعاد وحملات التشهير والتزوير بهدف خلق حالة من الارهاق والاعياء النفسي وعدم الثقة بجدوى المقاومة .

وبعد أحداث الحادي عشر من ايلول لعام 2001 التي تمخضت عن تدمير مبنى التجارة العالمي وقتل ما يزيد عن (3000) مواطن ، وما نجم عن ذلك من إحداث صدمة نفسية كبرى لدى الحكومة والشعب الامريكي ، نجد أن الحكومة الامريكية لجأت الى حملة دعائية كبيرة رصدت لها بلايين الدولارات مستغلة في ذلك جميع وسائل الاعلام والاقمار الصناعية وغيرها من الوسائل الدعائية الأخرى لمقاومة ما يسمى بالارهاب .

وتُشكل هذه الحملة الدعائية جزءاً من حرب نفسية شاملة تهدف الى رفع معنويات الشعب الامريكي وزيادة ايمانه وثقته بقدرة الولايات المتحدة الامريكية على التصدى للارهاب العالمي ،

واقناعه بعدالة التدخل العسكري الامريكي في مختلف مناطق العالم تحت ستار مكافحة الارهاب ونشر الديمقراطية . كما انها تهدف بالوقت نفسه الى ارهاب العالم وخلق حالة من الذعر والخوف في مناطق العالم المتعددة ولا سيما العالم العربي والاسلامي منه من خلال التلويح بالتدخل باستخدام القوة العسكرية ، أو بقطع المساعدات الاقتصادية أو التستر بغطاء الاهداف الانسانية النبيلة المتمثلة في مساعدة الشعوب على التحرر وتحقيق العدل والديمقراطية .

ولكن الواقع غير ذلك ، فالولايات المتحدة الامريكية تقوم على الفلسفة البراجماتية التي تستند الى مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، فهي لا يهمها الأمن او العدالة العالمية بقدر اهتمامها بتحقيق ما تصبو إليه من اهداف استراتيجية والتي تتمثل في السيطرة على الموارد الطبيعية في العالم العربي للتحكم بمقدرات هذا العالم .

أهداف الحرب النفسية :

تستخدم الحرب النفسية لتحقيق جملة مكاسب واغراض من خلال تحقيق الاهداف التالية :

أولاً : كسب التأييد الدولي من خلال اقناع الرأي العالمي العام أو تضليله بعدالة قضية ما وذلك من أجل الحصول على المساعدات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والفنية ، أو النجاح في عزل العدو دولياً . ونلاحظ أن الصهيونية العالمية قد نجحت بهذا المجال لكسب تعاطف العالم ضد المانيا إبان الحرب العالمية الثانية ، كما أنها بالوقت نفسه استغلت الدعاية وأساليب التدليس والتشويه لتحقيق مكاسب دولية ضد العرب . ومثل هذه السياسة استخدمتها امريكا لتأليب الرأي العالمي العام ضد العراق ابان حرب الخليج ، وهي تستخدمها الآن أيضاً ضد العراق والحرب على الارهاب .

ثانياً : خلق وافتعال الازمات على المستوى العالمي والداخلي بهدف تحقيق مكاسب معينة ، وذلك من خلال استغلال احداث معينة وتضخيمها او استغلال حملات التزوير والتشكيك والدس والتشويه . ومثل هذا الاجراء كثيراً ما قامت به اسرائيل في صراعها مع العالم العربي ، كما أن الولايات المتحدة الامريكية حاذقة في هذا المجال .

ثالثاً : بذر عوامل الفرقة والانقسام في وحدة أمة ما من خلال :

أ- تأليب الشعوب ضد حكوماتها : ومن الأمثلة على ذلك الحملات الدعائية الامريكية التي تقوم بها ضد (شافير) حاكم فنزويلا .

ب- اثاره الثغرات بين الجنسين : الذكور والاناث .

ج- اثارة النعرات بين الاحزاب السياسية : ومن الأمثلة على ذلك الصراعات التي حدثت في لبنان عام 1975 .

د- اثارة النعرات بين الحكومة وحلفائها .

هـ- اثارة النعرات بين صفوف ووحدات القوات المسلحة ، أو بين القوات المسلحة والقطاعات المدنية .

و- اثاره النعرات الطائفية أو الدينية أو العرقية : ومن الأمثلة على ذلك ما فعلته اسرائيل في تغذية الصراعات بين الطوائف والفرق الدينية في حرب لبنان الأهلية ، وما تقوم به امريكا الآن في بذر عوامل الفرقة بين الشيعة والسنة والاكراد في العراق .

رابعاً : زرع بذور الشك في مجتمع ما من خلال :

أ- التشكيك بالعقيدة والقيم الدينية : وهذا ما تستغله امريكا الآن في حملاتها الدعائيه النفسية ضد العرب والمسلمين ، وتحديداً ضد العقيدة الاسلامية .

ب- التشكيك بالمبادئ القومية : ومن الأمثلة على ذلك حملات التشهير والتدليس التي قامت ولا زالت تقوم بها اسرائيل ضد القومية العربية .

ج- التشكيك بعدالة القضية : وهذا ما تحاول اسرائيل منذ زمن غرسه في اذهان بعض الفصائل الفلسطينية .

د- التشكيك في طاقات وامكانيات المجتمع على تحقيق النصر : ومن الأمثلة على ذلك الحملات النفسية التي مارستها اسرائيل بعد حرب حزيران حول قوة الجيش الاسرائيلي واستحالة تحقيق النصر من قبل العالم العربي .

هـ- التشكيك بقدرة القيادة السياسية في مجتمع ما .

خامساً : السعي وراء كسب كافة العناصر المعزولة في مجتمع ما للعمل لصالح الجهة المعادية ، ممثلاً ذلك في تشجيع حركات الانفصال والمعارضة والتمرد والعصيان ، وذلك كما فعلت أمريكا إبان حربها ضد أفغانستان والعراق .

وسائل الحرب النفسية :

تستخدم الحرب النفسية اربعة اساليب رئيسة للتأثير في الأفراد والجماعات وهي :

أولاً: الإشاعة "Rumer" :

تعد الاشاعات من أقدم الوسائل التي استخدمها الانسان كأحد أدوات الحرب النفسية الموجهة إلى داخل المجتمع أو خارجه .

فالاشاعة قديمة قدم الانسان على هذه الأرض ، وقد كانت تستغل في اوقات الصراعات والازمات السياسية والاجتماعية والوطنية نظراً لانتشارها السريع وأثرها الفاعل في الأفراد ، ولا سيما انه في مثل هذه الحالات يكون لدى هؤلاء الافراد استعداد نفسي كبير لتصديق محتوى هذه الاشاعات والتأثر به (عيد ، 2000) .

لقد كانت الاشاعة احد الاسباب الرئيسة وراء اعدام الفيلسوف اليوناني الشهير «سقراط» . فقد شيع آنذاك ان هذا الفيلسوف يعمل على إفساد الشباب وحثهم على الثورة ضد الامبراطور اليوناني مما حدى بالآخر الى الامر بإعدام «سقراط» . كما ان المتتبع للاحداث التاريخية ، يجد ان الرومان اهتموا بمسائل الاشاعات ، فقد كان الاباطرة الرومانيون يعينون «حراس الاشاعات» والتي تتمثل مهمتهم في الاندماج بين عامة الناس ، ونقل كل ما يسمعونه من اشاعات او اقاويل الى القصر الامبراطوري ، والعمل ايضاً على نسج وترويج الاشاعات المضادة .

وفي اثناء الحروب الصليبية شاع استخدام الاشاعات على نحو كبير . فقد نسجت الروايات والاحاديث والقصص حول المعجزات والخطايا والاحداث ، وكان لمثل هذه الاشاعات اثر كبير في نفسية الافراد . كما انه انتشر في ذلك الوقت العديد من القصص والروايات حول بعض المخلوقات العجيبة ومسوخ البحر ، وهذا ما دفع العديد من المستكشفين الى الانتشار في جميع ارجاء الارض بحثاً عن مثل هذه المخلوقات او المسوخ .

ويذكر أن التتار استغلوا الشائعات لانزال الرعب والهلع في صفوف أعدائهم وذلك من خلال تضخيم عدد قواتهم وشراستهم بالقتال . واستغل أيضاً القائد الفرنسي شارل مارتل الإشاعة من نوع داقة الإسفين ضد المسلمين ، ومفادها أن الغنائم التي تم جمعها في خيام القادة تتعرض للنهب والسلب ، وهذا ما دفع بالمسلمين إلى الرجوع إلى المعسكرات تاركين المعركة مما أدى بالتالي إلى انهزامهم في المعركة ضد فرنسا .

تعريف الإشاعة Rumer Definition :

بالرغم من عدم وجود تعريف محدد يتفق عليه جميع المهتمين بدراسة الشائعات ، الا انه يوجد نقطة التقاء مركزية في تعريف الاشاعة يتفق عليها هؤلاء الباحثون وتتمثل في اعتبارها مقولة قابلة للتصديق دون وجود معايير للحكم على صدقها .

ففي هذا الصدد ، نجد ان البورت (Alport) وبوستمان (Postman) يعرفان الاشاعة على انها قضية او عبارة قابلة للتصديق يتم تناقلها بين الافراد دون وجود معايير مؤكدة لصدقها .

في حين نجد ان البعض الآخر يعرفها على انها نوع من المبالغة في سرد خبر يحتوي على جزء ضئيل من الحقيقة (ابو زيد ، 1968) . وهناك من يعرفها على أنها قصة او رواية لا يمكن التأكد من صدقها او كذبها حول حدث معين يتم تداولها من خلال الكلمة المنطوقة . وهكذا يمكن القول ، ان الاشاعة هي عبارة او قصة نوعية او موضوعية قابلة للتصديق يتم تناقلها على ألسنة الافراد دون وجود أية معايير للتحقق من صدقها (أبو النيل ، 1985) .

فمن خلال التعاريف اعلاه ، يمكن استنتاج السمات التالية للاشاعة :

1- هي ظاهرة انسانية - اجتماعية تعبر عن مواقف او احداث تفتقر الى الدقة و الوضوح ويكتنفها الغموض .

2- تعتمد على اختلاق قصة او رواية حول موضوع او حدث معين والعمل على تضخيم الاحداث والمبالغة فيها ونشرها على نطاق واسع . وقد تكون هذه القصة من نسج الخيال لا اساس لها من الصحة ، او انها تشتمل على جزء يسير من الحقيقة .

3- تعد الكلمة المنطوقة اداة النقل الرئيسة للاشاعة ، اذ قد تنتشر تحت وهم بعض العبارات مثل «سمعت من مصدر موثوق» أو « أبلغني شخص صادق» أو سمعت من «شاهد عيان» أو «يقولون» . ولكن قد تجد الاشاعة طريقها الى وسائل الاعلام المختلفة بحيث تظهر في الصحف والمجلات والاذاعة والتلفزيون .

4- تزدهر الاشاعة في غياب المعايير المؤكدة للصدق ولا سيما في المواقف الغامضة او في حالة عدم توفر المعلومات الكافية .

فالاشاعات سرعان ما تنتشر في اوقات الازمات او الحروب نظراً لوجود ميل نفسي لدى الافراد لتصديق معظم الاخبار والاقاويل وذلك بسبب حالة التوتر النفسي لديهم . وثمة عامل آخر يساعد في انتشار الاشاعات يتمثل في عدم وجود المعلومات الكافية او عدم وضوح مثل هذه المعلومات او بسبب أهمية الاخبار بالنسبة للافراد مما يتسبب بالتالي في تصديق اي اشاعة او مقولة .

إن وجود المعلومات الدقيقة والمعايير المؤكدة للصدق من شأنه ان يقف سداً منيعاً امام انتشار الاشاعات ، وذلك لان مثل هذه المعايير تفرق بين الشائعة والخبر . فالخبر عادة يأتي من قبل جهة او مصدر معين ويمكن التأكد من صحته بالرجوع الى ذلك المصدر ، في حين ان الشائعة غير محددة المصدر ولا يمكن التحقق من صدقها .

5- تدور الاشاعة حول مواضيع متعددة مثل : الانسان او الاحداث ، اوالهيئات ، او المؤسسات ، أو الجامعات ، او الدول . ويرتبط موضوعها بمسائل قد تكون سياسية او اجتماعية او عسكرية او اقتصادية او دينية أو أخلاقية أو تربوية . . . الخ .

6- تستهدف الاشاعة وجدان الجماهير ومعتقداتهم بغية التأثير في كفاياتهم العقلية والانتاجية والروح المعنوية لديهم . وقد تأخذ الاشاعة أحد شكلين هما :

أ) اشاعات الخوف : وتسعى الى اثارة الرعب والفزع في قلوب الافراد وزعزعة ثقتهم بأنفسهم وخلق الروح الانهزامية لديهم .

ب) اشاعات الرغبة : تهدف الى خلق قناعة ساذجة لدى الافراد لقبول الوضع الراهن والخنوع وقبول أيّ حل ممكن .

العمليات النفسية للإشاعة Psyschological Processes of Rumer :

يرى البورت وبوستمان ان الاشاعة تمر في ثلاث عمليات نفسية هي :

أولاً : **عملية التسوية** : ويقصد بها عمليات الاختصار والايجاز والحذف والتعديل التي تحدث على الاشاعة الأصلية اثناء تناقلها من فرد إلى آخر . يرى البورت وبوستمان ان عناصر الاشاعة تتناقص مع زيادة عدد مرات تناقلها ، اذ ان الاشاعة التي تشتمل على عشرين عنصراً فأكثر قد تتناقص لتصبح مشتملة على (15) عنصراً في المتوسط (فهيم ، 1999) . ويطلق على معدل التناقص هذا اسم « معدل السقوط » ، ويحدث هذا بسبب عدم التسميع العقلي لعناصر الاشاعة من قبل الافراد لعدم وجود متسع من الوقت لديهم ، او بسبب الاثر الاجتماعي للجمهور الذي يدفع بالفرد الى استبعاد العناصر التي يعتقد انها غير موثوقة تجنباً للنقد او اللوم من قبل الآخرين اوالتشكيك بعدم مصداقيته .

ثانياً : **عملية الابراز** : ويقصد بها عمليات الانتقاء لعدد محدد من التفاصيل او العناصر من بين سياق اكبر للتأكيد عليها في رواية الاشاعة . وقد تتم عملية الابراز من خلال التمسك ببعض الالفاظ الغريبة اوالنادرة اثناء رواية الاشاعة بهدف جذب انتباه المستمعين ، او شكل التأكيد على القيم العددية مثل القول بأنه :« اشترك في المشاجرة عشرات الافراد » بدلاً من القول « اشترك بالمشاجرة بعض الافراد » ، كما قد تأخذ شكل التأكيد على الفعل الحركي او ما يسمى بعنصر الحركة ممثلاً ذلك في المبالغة في وصف الحدث او الفعل . او شكل التأكيد على حجم الحدث من خلال المبالغة في تضخيم هذا الحدث والنتائج المرتبطة به .

ثالثاً : **عملية الاساغه او التمثيل** : ويقصد بها العمليات المعرفية والوجدانية التي تقف وراء عمليتي التسوية والابراز بهدف توليد حالة جذب فعالة للاشاعة تنطوي على معانٍ هامة لكل من المتحدث والمستمع .

العوامل التي تهيئ لظهور الإشاعة Factors of Rumer :

هناك عدة تساؤلات تثار حول الاشاعة مثل : لماذا تتولد الاشاعة ؟ وما الذي يساعد في انتشارها ؟ وكيف يمكن التصدي لها والحد من اثرها ؟ والى غير ذلك من الاسئلة الاخرى . وتشير نتائج الابحاث والدراسات الى وجود ثمة عوامل تهيئ الى ظهور الشائعات وتسهم في سرعة انتشارها . فمن هذه العوامل ما يرتبط بموضوع الاشاعة ذاتها ، والبعض الآخر يتصل بالافراد مروجي الاشاعة ، في حين بعضها الآخر يرتبط بالمجموعة او الجمهور المعني بهذه الاشاعة .

أولاً : العوامل المتصلة بموضوع الاشاعة : يمكن ادراج العوامل المتصلة بموضوع الاشاعة في بعدين متداخلين هما : درجة اهمية الموضوع التي تشتمل عليه الاشاعة ؛ ومدى الغموض الذي يكتنف هذا الموضوع . ان العلاقة ما بين هذين البعدين هي ذات طابع تفاعلي ، اذ لا بد من توفرهما حتى يتسنى للاشاعة تحقيق اغراضها . فعلى سبيل المثال ، اذا كانت درجة الاهمية لموضوع الاشاعة عالية جداً ، في حين ان درجة غموضه ضعيفة ، فعندها لن تكون الاشاعة فعالة ، وكذلك اذا كانت درجة الاهمية لموضوع الاشاعة تافهة ومدى غموضه مرتفع جداً ، فالاشاعة لن تكون فعالة . اما اذا كان مدى اهمية الموضوع مرتفع وكذلك درجة غموضه ، عندها تكون الاشاعة فعالة جداً .

واعتماداً على ذلك ، يمكن مقاومة الاشاعة من خلال التقليل من اهمية موضوعها او خفض درجة الغموض فيها او خفض كلاهما معاً .

ثانياً : العوامل المتصلة بالأفراد : يتأثر نجاح الاشاعة ومدى انتشارها بخصائص الافراد الساعين الى نشرها ودوافعهم بالاضافة الى دوافع واتجاهات الافراد المتلقين لها . وفيما يلي عرض لمثل هذه العوامل :

1- **دوافع نشر الشائعات :** هناك جملة دوافع تقف وراء ترويج الاشاعات وانتشارها بين الافراد ، وهذه الدوافع هي :

أ) **جذب الانتباه :** يسعى الافراد عادة الى توليد الاشاعات او نقلها بهدف جذب الانتباه اليهم من قبل الآخرين في محاولة منهم لتعزيز مكانتهم بين الافراد واثبات وجودهم .

ب) **الاسقاط :** يمكن النظر الى الاسقاط على أنه احدى آليات الدفاع عن الذات يلجأ اليه الفرد على نحو لا شعوري عندما لا تسمح حالته الانفعالية في تفسير ما يدور من حوله من أحداث على نحو موضوعي خالٍ من التحيز . فالاسقاط يتمثل في إضفاء

الصفات السلبية الموجودة لدى الشخص على الآخرين . فالسارق مثلاً يطلق هذه الصفة على الآخرين ، والفتاه المتحررة التي تقيم علاقات غير شرعية مع الشباب تتهم الفتيات المحافظات بسوء الاخلاق .

إن نقل الاشاعات ينطوي على دافع اسقاطي ، يسعى من خلاله الفرد الى تجنب مشاعر الخوف والقلق التي تنتابه من موضوع الاشاعة ؛ فالشخص الذي يعاني من مشاعر مؤلمة او محرجة حول حدث او موقف معين يسعى الى ترويج الاشاعات حول ذلك الحدث او الموقف وإلصاقها بالآخرين بهدف تحريره من تلك المشاعر المؤلمة . فعلى سبيل المثال ، نجد ان الشخص المختلس كثيراً ما يروج الشائعات حول الاجهزة الحكومية والعاملين فيها .

ويلاحظ الآن أن الدول اصبحت تمارس الإسقاط ، وخير دليل على ذلك أمريكا وبريطانيا . ففي الوقت الذي تخرج فيه مثل هاتين الدولتين عن الاجماع والشرعية الدولية ، نجدها تصف العراق وإيران وكوريا الشمالية بالدول المارقة أو الخارجة عن القانون .

جـ) العدوان : يلجأ بعض الافراد الى استخدام الاشاعات وترويجها بهدف الحاق الاذى والضرر بالآخرين مثل : الاشخاص والهيئات والمؤسسات والطوائف الدينية والاحزاب وغيرها .

وتتولد الدافعية لدى الافراد في ترويج او نقل الاشاعات حول جهة معينة عندما تتوفر لديهم دوافع الكره اوالحسد والحقد حيالها . فعلى سبيل المثال ، الطالب الذي يكره مدرس او يحقد عليه لسبب ما ، غالباً ما يروّج الاشاعات المغرضة عنه أو يصدق أيّة اشاعات تروج عن هذا المعلم .

د) التوقع : تنتشر الاشاعات بشكل كبير عندما يتوقع الافراد حدوث احداث هامة وخطيرة ، او عندما يكونون في حالة انتظار لوقوع حدث معين .

ففي مثل هذه الحالات ، يلجأ بعض الافراد على نحو إستباقي لاشاعة انباء عن الاحداث المتوقعة وسرعان ما تنتشر مثل هذه الاشاعة بين الناس وذلك لانهم في حالة توقع او انتظار .

هـ) عوامل أخرى : وهي عوامل تتعلق بالأفراد حيث تدفعهم إلى نشر الاشاعات مثل بعث الثقة والاطمئنان لدى الآخرين أو تقديم نوع من المعروف ورد الجميل لشخص ما .

2- **اتجاهات الأفراد نحو الإشاعة** : يتوقف مدى انتشار الاشاعة على اتجاهات الافراد نحو موضوعها . وقد يأخذ الاتجاه شكل الرفض المطلق للاشاعة او شكل القبول لها ، او شكل الحياد المتمثل بعدم قبولها او رفضها ، ان اتجاه الفرد نحو الاشاعة يعتمد على عوامل منها معرفة الفرد المسبقة بالاشاعة والعمر والمستوى الاقتصادي والاجتماعي الذي يمثله .

لقد اظهرت نتائج الدراسات ان تقديم الاشاعات على اساس انها وقائع حدثت بالفعل من شأنه ان يزيد من عملية التصديق لها . كما وجد أن الافراد الذين سبق وان سمعوا بالاشاعة من قبل كان لديهم ميل أكبر لتصديق الاشاعة مقارنة مع غيرهم الذين سمعوا بها لاول مرة . وتدل النتائج ايضاً على ان الفقراء اكثر تصديقاً للاشاعات من الاغنياء ، وان كبار السن ايضاً هم اكثر تأثراً بالاشاعات من صغار السن .

ثالثاً : خصائص الجمهور المعني بالإشاعة : لا شك ان لكل اشاعة جمهورها الخاص بها ، فالاشاعات التي ترتبط بالجوانب المالية سرعان ما تنتشر لدى الاوساط التي تعنى بمثل هذه الجوانب ، كما ان الاشاعات التي ترتبط بقضايا التعلم والتعليم سرعان ما تنتشر في اوساط الطلاب ، والاشاعات التي تتعلق بالزيادات والعلاوات تنتشر بسهولة لدى الموظفين والعاملين في المؤسسات والقطاعات الحكومية وغير الحكومية .

يرى البورت ان هناك فروقاً فردية في الحساسية للاشاعات بين مختلف الافراد والجماعات . ويعني بالحساسية القابلية للتصديق او عدم التصديق ، اذ تعتمد الحساسية للاشاعات على عوامل منها :

(أ) **القابلية للايحاء :** ويقصد به مدى انفتاح الشخص على تصديق او قبول ادعاء او زعم دون توفر دليل على صحته . وتزداد القابلية للايحاء بوجود عدد من العوامل منها :

1- الجهل او نقص المعرفة لدى الافراد .

2- وجود انماط فكرية وتراكيب جامدة غير مرنة لدى الافراد .

3- غموض المواقف وعدم وضوحها .

4- انسجام موضوع الايحاء مع المعتقدات الدينية او الوطنية للافراد .

5- صدور الايحاء من قبل افراد يمتازون بمكانة او سلطة عالية .

6- وجود الافراد في حالات من التوتر والانفعال .

(ب) **إلحاح الدوافع والحاجات :** تزداد حساسية الافراد للاشاعات بوجود الدوافع والحاجات الملحة التي تتطلب الاشباع . فالفرد يميل الى تصديق الاشاعة اذا كان مضمونها يتعلق بإشباع دوافعه او حاجاته او اية ميول شخصية اخرى لديه ، فالشخص الجائع على سبيل المثال ، قد يصدق بكل سهولة أية حكايات أو قصص حول المواضيع ذات علاقة بالطعام .

(ج) **تجانس المجموعة** : تزداد الحساسية للاشاعات لدى المجموعات المتجانسة أكثر منها في المجموعات غير المتجانسة .

ويرجع السبب في ذلك الى ارتباط افراد الجماعات المتجانسة معاً مما يتيح بالتالي حرية الاتصال بين هؤلاء الافراد . ففي احد معسكرات الجيش سرعان ما انتشرت اشاعة مفادها انه سيتم تسريح الافراد ممن هم في سن الخامسة والثلاثين او اكثر . وقد لوحظ ان انتشار هذه الاشاعة كان كبيراً جداً لدى الافراد الذين تخطوا سن الخامسة والثلاثين .

(د) **تعدد مصادر الاشاعة** : يميل الافراد الى تصديق الاشاعات على نحو اكبر اذا جاءت هذه الاشاعات من مصادر متعددة . ففي احدى الدراسات التي تم اجراؤها عام (1942) على مدينتين من مدن الولايات المتحدة الامريكية التي تأثرت بالحرب ، وجد ان السكان الذين كانوا يستقون الاخبار من مصادر متعددة كانوا اكثر عرضة لتصديق الاشاعات مقارنة بغيرهم من السكان الذين اعتمدوا مصدراً واحداً للاخبار .

وقد يعود السبب في ذلك الى عمليات التسوية والابراز والتمثيل التي تحدث على الاشاعات خلال عمليات انتقالها من فرد الى آخر ، او عندما يتم تسلمها من مصادر متعددة ، الامر الذي يجعلها تبدو على انها ذات مضمون مهم ، وهذا بالتالي ينعكس في سرعة تصديقها وانتشارها .

أنواع الإشاعات Types of Rumers :

هناك عدة تصنيفات للشائعات تختلف باختلاف المحك المستخدم في التصنيف ، فقد يتم التصنيف على اساس العامل الزمني او على اساس الجوانب العقلية والدوافع الكامنة وراءها ، او على اساس الآثار الاجتماعية المترتبة عليها . وبشكل عام يمكن ايراد الانواع التالية من الاشاعات :

اولاً : **الاشاعة الحابية** : يعد عالم الاجتماع الروسي بيساو (Bysow) اول من عمل على تصنيف الاشاعات وفقاً للبعد الزمني ؛ فالاشاعة الحابية هي تلك التي تمتاز بالنمو البطيء بحيث يتم انتشارها في جو من السرية الى أن تصل الى عدد كبير من الافراد . ومن الامثلة على هذه الشائعات تلك التي ترتبط بالمشاهير والشخصيات الرسمية (عيد ، 2000) .

ثانياً : **الاشاعة الجامحة** : وتعرف باسم الشائعة الاندفاعية ، ومثل هذه الاشاعة تنتشر على نحو سريع جداً بين الافراد خلال فترة زمنية قصيرة . ويرتبط مضمون الاشاعات الجامحة عادةً بالكوارث او الحروب او اعمال العنف او الامل بتحقيق انتصارات حاسمة .

تنطلق الاشاعات الجامحة في جو مشحون بالانفعالات القوية وتسعى الى احداث ردات فعل او استجابات قوية مستندة في ذلك الى حالات الهلع والخوف او السرور والفرح التي تنتاب الافراد .

ثالثاً : الاشاعة الغاطسة : وهي الشائعة التي تنتشر بين الافراد في وقت ما ثم تختفي بحيث تعود للظهور مرة أخرى عندما تتوفر الظروف الملائمة لذلك .

فمثل هذه الاشاعات تستقر في عقول الافراد وسرعان ما تطفو الى السطح بعد فترة من الزمن بدون اي سبب ، او عندما تظهر ظروف مماثلة لتلك الظروف التي سمعوا فيها بالاشاعة في المرة الأولى . ففي هذا الصدد ، لم يجد البورت وبوستمان أية فروق بين طبيعة الاشاعات التي انتشرت خلال الحرب العالمية الاولى وتلك التي ظهرت في الحرب العالمية الثانية ، مما يدل على ان الشائعات تستقر في المخزون المعرفي لدى الافراد ريثما تتوفر الظروف المواتية لظهورها مرة أخرى .

رابعاً : شائعات الأمل والأماني : وتشمل كافة انواع الشائعات التي تعبر عن اشباع الحاجات والدوافع والرغبات لدى الافراد . فهي تعد نوعاً من التنفيس عن مثل هذه الدوافع والرغبات لان الفرد يجد فيها الامل والضالة المنشودة (فهيم ، 1999) .

خامساً : شائعات الخوف : تنتشر شائعات الخوف عادة عندما ينتاب الافراد الخوف والقلق من احتمال وقوع احداث او ازمات معينة . ففي حالات الخوف والقلق ، يزداد ميل الافراد الى توهم اوتصديق اي شيء حتى وان لم يكن يستند الى اساس صحيح . وغالباً ما يسود هذا النوع من الشائعات في اوقات الحروب اوالكوارث ، اذ ربما تنتشر شائعات حول ممارسات العدو مثل التعذيب للأسرى ، وقطع اعضاء الجسم ، والاعتداء الجنسي وغيرها (أبو النيل ، 1985) .

سادساً : شائعات الكراهية : يعد هذا النوع من اكثر الشائعات خطراً وانتشاراً ؛ لانها تعكس الدوافع العدوانية ومشاعر الكراهية والحقد لدى فئة معينة ضد جماعة او فئة اخرى . لذلك تعرف هذه الاشاعات باسم « اشاعات دق الاسفين » ومن الامثلة عليها الشائعات التي يطلقها البيض ضد الزنوج في الولايات المتحدة الامريكية ، او تلك الشائعات التي تطلقها الصهيونية العالمية ضد العرب والمسلمين . هناك العديد من الأمثلة على هذا النوع من الشائعات مثل الإشاعة التي سادت في أمريكا ومفادها أن الزنوج يخبئون معاول الثلوج بهدف الثورة ، والاشاعة التي سادت في روسيا والتي تفيد بأن الروس يشحمون البنادق والاسلحة بالسمن (أبو النيل ، 1985) .

أمثلة على الشائعات :

يمكن للشائعات ان تنتشر في كافة الازمنة والاوقات وتحت مختلف الظروف ؛ فهي قد تظهر في اوقات الحرب والسلم على السواء . ولكن تزداد سرعة انتشارها وفعاليتها في اوقات الازمات ولا سيما الحروب منها . ويذكر التاريخ ، ان استخدام الشائعات في الحروب كان قديماً قدم الحرب ذاتها . وفي العصر الحديث ، تعد الاشاعة احد الاسلحة الرئيسة في تحقيق الانتصارات والحاق الهزيمة بالعدو . ومما يدلل على ذلك ، مدى الاستخدام الواسع للاشاعة خلال الحربين العالميتين الاولى والثانية من قبل دول المحور من جهة ودول الحلفاء من جهة أخرى .

لقد شاع خلال الحرب العالمية الاولى ان الجنود الالمان يقتلون الاسرى ويشوهون جثثهم ، وانهم يقتلون الاطفال ويغتصبون النساء ويغلون جثث الموتى ويصنعون منها الصابون . فقد انتشرت اشاعة مفادها ان الجيش الالماني يعلق الرهبان من ارجلهم ويدقون برؤوسهم اجراس الكنائس حتى الموت . كما انتشرت اشاعة مفادها ان الجيش الياباني يقطع ألسنة الاسرى ، وتعرف هذه الاشاعة« بإشاعة طابع البريد واللسان المقطوع » . ومفادها ان جندياً في الاسر الياباني ارسل خطاباً الى اهله وفيها يقول احتفظوا بطابع البريد هذا ، وبالرغم من أن هذا الجندي لم يكن من هواه جمع الطوابع ، الا ان ذويه قاموا بنزع هذا الطابع للاحتفاظ به اكراماً له ، وعندما تم نزع الطابع ،وجد مكتوباً تحته لقد قطعوا لساني .

وفي الطرف المقابل ، اي في الجانب الالماني ، انتشرت العديد من الاشاعات حول وحشية الحلفاء في معاملة الاسرى وقتل المدنيين الابرياء والعُزل من السلاح . كما انتشرت اشاعات مفادها ان الحلفاء يستخدمون الغوريلات والمتوحشين من الناس الذين تم احضارهم من افريقيا لقتال الناس المتحضرين ، وانهم يستخدمون الاسلحة المحرمة دولياً مثل رصاص الدمدم ويقومون ببتر اعضاء المدنيين ويعاملونهم بنوع من الشراسة والوحشية (فرج وعطيه ، 1987) .

اما خلال الحرب العالمية الثانية فقد انتشرت الشائعات على نحو كبير في المعسكرين المتناحرين ، وكانت هذه الشائعات مماثلة لتلك التي سادت في الحرب العالمية الاولى . لقد كان فحوى معظم الشائعات حول الالمان تتمثل في انهم قساة متوحشون يقومون بقتل الاسرى ويقطعون اطرافهم ويصلبونهم .

ففي هذا الصدد تلقت سيدة أمريكية خطاباً من وزير الحربية يطلب منها الحضور الى وزارة الحربية كي تتسلم زوجها العائد من القتال ، وعندما وصلت الى هناك فوجئت بأن زوجها

مبتور الاطراف الاربعة ، فأخذته في سلة وعادت به الى بيتها . كما انتشرت الشائعات حول قوة وكفاءة القادة الالمان على القتال وتحقيق النصر ، وكان مجرد ذكر اسماءهم يخلق الرعب والفزع في قلوب جنود الحلفاء ، ومن الامثلة على ذلك الشائعات التي كانت تروج عن القائد الالماني رومل الملقب بثعلب الصحراء .

واثناء احتلال الانجليز لقناة السويس في مصر ، استخدم المصريون الشائعات ضد الانجليز من خلال تجنيد المتعهدين والموظفين والعمال لبث الشائعات ، وقد كان لهذه الشائعات الاثر الكبير في تراخي الانجليز في حراستهم للمعسكرات والمنشآت مما مكّن المصريين من الانتصار عليهم .

وعندما قام صدام حسين باحتلال الكويت عام 1990 ترددت الشائعات حول شخصية صدام حسين ، ومن اشهر الشائعات ان عالماً جليلاً رأى صورته في وجنة القمر . كما انتشرت شائعة مفادها ان طفلة حديثة الولادة نطقت واخبرت بما ستؤول اليه الاحداث في حرب الخليج .

وبعد احداث الحادي عشر من سبتمبر لعام 2001 ، ترددت الاشاعات الكثيرة حول المجاهدين الافغان (الطالبان) واسامه بن لادن وعن حدوث هجمات جديدة في مناطق متعددة من العالم .

وأثناء تدخل القوات الامريكية في منطقة الخليج والتحشد العسكري الهائل من قبل امريكا وبريطانيا ضد العراق والتلويح بالهجوم ، انتشرت العديد من الشائعات حول طبيعة الاسلحة المنوي استخدامها وحجم الدمار الذي يمكن ان توقعه ، كما دارت اشاعات اخرى فحواها ان هناك مخططاً مدروساً يجري بين صدام حسين والولايات المتحدة الامريكية ، وهناك اشاعات اخرى تحدثت عن طبيعة المخططات والتغيرات المنوي احداثها في المنطقة من قبل الولايات المتحدة الامريكية ، وانتشرت اشاعات اخرى تفيد ان لدى العراق مخططاً لتدمير القوات الامريكية .

شائعات العدوان الانجلو - أمريكي على العراق :

لقد شهدنا قبل مدة قريبة من الزمن عدواناً غاشماً قامت به الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ضد العراق ، وقد ترددت الشائعات السوداء من قبل هذا المعسكر من أجل خلق البلبلة في صفوف القوات العراقية وخلق حالة من الضعف والانهزامية لدى الشعب العراقي . ولكن نظراً لتوفر المعلومات بسبب كثرة الفضائيات ، فإن مثل هذه الشائعات لم تعمر طويلاً إذ سرعان ما تم كشف زيفها وكذبها ، ومن الأمثلة على هذه الشائعات ما يلي :

1- ظهرت إشاعة في بداية العدوان مفادها أن هناك خلافاً حدث بين طارق عزيز وصدام حسين ، مما دفع بالأول إلى تسليم نفسه إلى قوات الحلفاء .

2- ظهرت إشاعة مفادها أن الكثير من المدن العراقية مثل أم قصر والناصرية والزبير والبصرة قد سقطت بأيدي القوى المتحالفة .

3- ظهرت إشاعة مفادها أن العراقيين يرحبون بالقوات الغازية ويستسلمون لمثل هذه القوات وأن هذه القوات تلقى ترحيباً من الشعب العراقي .

4- ظهرت اشاعة مفادها أن الرئيس العراقي أصيب خلال القصف وقد تم نقله بسيارة اسعاف ليتم علاجه .

5- ظهرت إشاعة مفادها أن الجيش العراقي يستخدم الأطفال كدروع في مواجهة قوات الحلفاء وأنهم يقومون بقتل الأسرى .

إن هذه بعض الأمثلة من الشائعات التي روجتها قوى البغي والعدوان ولكن سرعان ما تم كشف زيفها وكذبها من قبل المسؤولين العراقيين والفضائيات المتعددة .

ثانياً: الدعاية "Propaganda" :

تستند الدعاية الى استخدام كافة وسائل الاعلام المتاحة لنقل رسالة معينة الى طرف ما بغية التأثير في الروح المعنوية لديه . كما أنها تهدف إلى التأثير في الرأي العالمي العام وكسب التأييد الدولي بالإضافة إلى رفع الروح المعنوية لدى أفراد المجموعة التي تقوم ببث الدعاية .

وقد تأخذ الدعاية الطابع الهجومي او الدفاعي اعتماداً على الهدف الذي يراد منها تحقيقه . وهي عموماً تسعى الى نشر وترويج افكار ومعتقدات وآراء بغرض التأثير في نفسية الافراد وتكوين اتجاهات معينة لديهم .

توجه الدعاية الهجومية نحو العدو بهدف اقناعه بالهزيمة والاستسلام وتشكيكه بمعتقداته الدينية والوطنية وعدم عدالة قضيته . وتسعى مثل هذه الدعاية الى بذر بذور الفرقة وعدم الوئام في صفوف العدو وتشكيلاته العسكرية ، او خلق حالة من عدم الانسجام بين العدو وحلفائه وبين القادة والجنود وبين الشعب والحكومة وبين المجتمع المدني والقوات المسلحة وبين الاحزاب السياسية المختلفة بغرض اضعاف الجبهة الداخلية والخارجية للعدو كي يتسنى تحقيق النصر عليه .

اما الدعاية الدفاعية فتستهدف الجبهة الداخلية لمجتمع ما ، وتسعى الى اقناعه بتحقيق النصر والفوز على الاعداء . كما انها بالوقت نفسه تهدف الى حماية هذه الجبهة من الحرب النفسية المضادة التي تسعى الى زرع بذور الفرقة بين قطاعات المجتمع المختلفة . وعموماً فان الدعاية الدفاعية تهدف الى تعزيز الثقة الذاتية للمجتمع وزيادة درجة تماسكه ورفع الروح المعنوية لأفراده بهدف مقاومة اية محاولات عدائية تستهدف أمن ووجود هذا المجتمع .

لقد استخدمت دولة اسرائيل الدعاية خير استغلال وذلك منذ بداية نشوءها وحتى يومنا الحاضر ، فالمتتبع للبرامج الاذاعية والتلفزيونية والمجلات والصحف والنشرات الاسرائيلية يلاحظ ذلك على نحو واضح وجلي .

فهي تصمم الاخبار والبرامج مستغلة الاحداث الدينية والاجتماعية والسياسية لاقناع العالم بعدالة قضيتها في الوقت الذي توحي للعرب والفلسطينيين بعدم عداله قضيتهم ، وقد استغلت الدعاية في اعقاب جميع الحروب التي خاضتها ضد العرب ، حيث اكدت انها تعامل الاسرى على نحو انساني وانها تعمل على حماية افراد الشعب وتلبية مطالبهم ، وكم اطلقت الدعوات الى التعايش والتعاون وعدم جدوى القتال . كما ان الكيان الصهيوني كثيرا ما تبجح باسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر ومدى قوته على التصدي والقتال وذلك بغرض خلق الروح الانهزامية والتخاذل في صفوف الفلسطينيين والعرب .

إن فعالية الدعاية ونجاحها في تحقيق اهدافها التي تسعى اليها يعتمد على عوامل تتمثل بالآتي :

أولاً : **مضمون الدعاية** : حتى تحقق الدعاية الغرض منها يجب ان يكون محتواها مقنعاً للجهة المقصودة . اذ يجب ان تشتمل على معلومات وافكار تبدو على انها حقائق بحيث تؤثر في افكار ومعتقدات واتجاهات الجهة الموجهة لها مثل هذه الدعاية .

ثانياً : **الادوات المستخدمة في ترويج الدعاية** : يمكن للدعاية ان تحقق اهدافها اذا تم تأديتها من خلال وسائل فعالة ، وتكاد تكون وسائل الاعلام المسموعة والمرئية مثل الاذاعة والتلفزيون من اكثر وسائل الاعلام فعالية في ترويج افكار الدعايات لما لهما من تأثير كبير في وجدان الشعوب من جهة ، ولسعه انتشارهما من جهة اخرى . وعموماً كلما تنوعت ادوات بث الدعاية ، زادت امكانية نجاحها .

ثالثاً : خصائص الأفراد الموجهة لهم الدعاية : تؤدي الدعاية اغراضها بنجاح عندما تتوفر خصائص معينة لدى الافراد مثل القابلية للايحاء والاستعداد النفسي للاستجابة والقلق والتوتر والخوف وعدم الثقة بالنفس . كما ان الدعاية تكون مؤثرة في حالة الجماعات المتصارعة او غير المتماسكة ولا سيما اذا اشتملت في مضامينها على معلومات او افكار تغذي النزاعات والصراعات بين الجماعات .

رابعاً : طبيعة الظروف المحيطة بالأفراد : مما لا شك فيه أن الدعاية تكون أكثر فعالية في حالة وجود ظروف او احداث معينة تسمح لمحتوى مثل هذه الدعاية بالوصول الى اذهان ووجدان الافراد . ففي حالات الصراع والتوتر والضغوط او في حالات وجود الازمات السياسية والاجتماعية او في حالات الحرب تجد الدعاية طريقاً سهلاً للتأثير في الافراد مقارنة بأوقات الأمن والاستقرار .

أنواع الدعايات Types of Propaganda :

يوجد ثلاثة انواع مختلفة من الدعاية اعتماداً على الاغراض منها او طبيعة الافراد الموجهة الدعاية اليهم ، وهذه الانواع هي :

1- **الدعاية الاستراتيجية :** وتسعى مثل هذه الدعاية الى تحقيق اهداف بعيدة المدى . فهي تعمل على نحو تدريجي لتحقيق مثل هذه الاهداف والتي ربما لا تكون منظورة على ارض الواقع في الوقت الراهن .

2- **الدعاية التكتيكية :** ومثل هذه الدعاية تستخدم في ارض المعركة بهدف تحقيق اهداف محددة في مدى زمني قصير . وقد يتضمن محتوى الدعاية التكتيكية معلومات عن اسلحة جديدة مثلاً بهدف ارهاب العدو او الدعوة الى الاستسلام وعدم جدوى القتال . تستخدم الدعاية التكتيكية عدداً من الوسائل مثل مكبرات الصوت ، والمناشير ، وبث الاغاني والاناشيد في الاذاعة والتلفزيون بهدف رفع الروح المعنوية لدى افراد الجيش المقاتل في مقابل خلق الروح الانهزامية لدى افراد جيش العدو .

3- **الدعاية التعزيزية :** تأتي هذه الدعاية بعد انتهاء الحرب وتهدف الى اقناع العدو بالهزيمة ، وان المقاومة لن تجدي نفعاً . وفي مثل هذه الدعاية يتم الترويج الى افكار حول التعاون والانصياع لارادة المنتصر لان ذلك من شأنه ان يعود بالنفع عليهم وهذا ما تقوم به الولايات المتحدة الامريكية في وقتنا الحاضر في العراق .

أمثلة على الدعاية في العدوان على العراق :

ففي الحرب الظالمة المسعورة التي شنتها كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على العراق ، نجد أن معظم المحللين السياسيين والعسكريين في بداية هذه الحرب قد أكدوا أنها حرب نفسية إعلامية تستهدف بالدرجة الأولى النيل من معنويات الشعب العراقي الصامد على وجه الخصوص والشعوب العربية والإسلامية عموماً ، وتسعى أيضاً إلى زعزعة ثقتهم بأنفسهم ومعتقداتهم وقدراتهم . فهاتان الدولتان استخدمتا وسائل الإعلام لنشر الأكاذيب عملاً بالمبدأ الذي وضعه الألماني "جوتن" أثناء الحرب العالمية الثانية والقائل «اكذب اكذب ثم اكذب حتى تصبح الأكذوبة حقيقة» ، وتسعى من وراء ذلك إلى تحقيق الأهداف التالية :

1- اقناع الرأي العالمي العام بشرعية هذه الحرب وكسب تأييده للوقوف إلى جانبها بالحرب ضد العراق .

2- اقناع شعبي الولايات المتحدة وبريطانيا بأهمية هذه الحرب وعدالتها .

3- للتأثير في معنويات الشعوب العربية ولاسيما الشعب العراقي للقبول بهذه الحرب والوقوف إلى جانبها ضد النظام العراقي . وعلى ما يبدو أن حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا عندما بدأت بالحملة الإعلامية قبل وأثناء الحرب القائمة على العراق ، اعتقدت أنها تسيطر أو تملك وسائل الإعلام العالمية لتسيرها على النحو الذي تريده ، ونسيت بالوقت نفسه أن كثيراً من وسائل الإعلام والمحطات الفضائية هي خارج نطاق سيطرتها . ومما يدلل على ذلك ، غضب هاتين الدولتين من الكثير من المحطات الفضائية وتهديدها أو نقدها على اعتبار أن مثل هذه المحطات متحيزة لصالح العراق ، وكأنهما تريدان من جميع المحطات أن تروج فقط الأكاذيب الأمريكية والبريطانية ، ويبدو ذلك واضحاً وجلياً في انتقاد محطة الجزيرة الصريح ومنع مندوبها من نقل أخبار السوق المالية في نيويورك ، والتشويش الذي جرى على الإذاعة ومحطة التلفزيون العراقية في بداية الحرب ، وطلب وزير الدفاع الأمريكي الخائب رامسفيلد من الفضائيات بعدم نقل الأحداث التي تقع في صالح العراق ، ولاسيما بعد أن عرض التلفزيون العراقي صور الأسرى والقتلى الأمريكيين .

إن ما يدلل على مصداقية الجانب النفسي والإعلامي لهذه الحرب التصريحات المتكررة والمتناقضة للساسة والعسكريين الأمريكان والبريطانيين عبر وسائل الإعلام والفضائيات العالمية المختلفة ، وفيما يلي عرض لبعض هذه التصريحات الإعلامية والحقائق التي تدحض زيف مثل هذه التصريحات :

1- لقد تم التصريح من قبل هؤلاء الساسة والعسكريين مراراً وتكراراً أن الهدف من الحرب على العراق هو تحرير الشعب العراقي وتحقيق الديمقراطية في العراق والعالم العربي بما يعود بالنفع على هذه الشعوب . وبربط هذا التصريح بالتصريحات الإعلامية السابقة لهم خلال العامين الماضيين ، نجد أن الهدف الرئيس هو تحقيق مصالح هاتين الدولتين في السيطرة على نفط دول الخليج والعمل على إعادة رسم خريطة المنطقة وذلك كما صرح وزير الخارجية الأمريكي كولن باول بالإضافة إلى الحفاظ على أمن وسلامة إسرائيل .

2- انطلاق دعوة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية « بوش » والترحيب البريطاني لها والمتمثله بإقامة دولة فلسطينية من خلال إحياء ما يسمى بخارطة الطريق ، وذلك من أجل كسب الرأي العالمي العام وتخدير الشعوب العربية .

والحقيقة غير ذلك ، فقد انطلقت هذه الدعوة من أجل ضمان سكوت الأنظمة والشعوب العربية ، ولعلنا نتذكر أن مثل هذه الدعوة انطلقت إبان غزو أمريكا لافغانستان ، ثم سرعان ما خبأت بعد تحقيق أمريكا لأهدافها في أفغانستان ، ومن المؤسف جداً أن الأنظمة العربية لم تتعلم الدرس بعد ، والحديث النبوي الشريف يقول « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

3- كثيراً ما تردد على ألسنة هؤلاء الساسة شعار زائف لنيل تأييد الرأي العالمي العام والشرعية الدولية ، ويتمثل هذا الشعار في أن الهدف من الحرب هو إزالة أسلحة الدمار الشامل من العراق . ونلاحظ بطلان مثل هذا الشعار لأنهم لم يعطوا المفتشين الدوليين الفرصة الكافية للتأكد من خلو العراق من هذه الأسلحة ، وهذا ما جاء على لسان كبير المفتشين « هانز بليكس » . كما أنهم بالوقت الذي يدّعون أنهم يريدون تحقيق الأمن والسلام الدوليين من خلال إزالة أسلحة الدمار الشامل ، نجدهم قد قصفوا العراق بمثل هذه الأسلحة .

كثيراً ما تبجح هؤلاء الساسة بأن الهدف من الحرب هو تخليص العراق والمنطقة العربية من الحكم الدكتاتوري المتمثل في حزب البعث بزعامة الرئيس صدام حسين . والواقع أنهم هم من يؤيدون قيام الأنظمة الدكتاتورية في العالم العربي ضماناً لتحقيق أهدافهم وحماية مصالحهم .

4- لقد ورد في تصريحاتهم الإعلامية والتي أرادوا منها كسب التأييد الدولي وضمان تأييد شعوبهم في الولايات المتحدة الأمريكية وفي بريطانيا ، بأن الهدف من الحرب على العراق هو القضاء على الارهاب ، لأن العراق على علاقة وطيدة ببعض الجماعات

والتنظيمات الإرهابية . وفي الواقع أن هذه حجة واهية كان يراد منها الالتفاف على قرارات مجلس الأمن السابقة المتعلقة بالحرب على الارهاب .

5- في الأسابيع الأولى من العدوان ، كثيراً ما تم التصريح عبر وسائل الإعلام من قبل هؤلاء الساسة بأن القوات المتحالفة تحقق نجاحاً في العمليات العسكرية وأن الخطة تسير كما أريد لها . والواقع كان يكذب ذلك صورة وصوتاً كما تم نقله عبر الفضائيات ، إذ سرعان ما وجد المشاهد أخباراً تناقض ما يتم الإعلان عنه . وفي الحقيقة أنهم من خلال هذه التصريحات كانوا يريدون النيل من معنويات الشعب العراقي العظيم من جهة ، وتعزيز ورفع المعنويات لدى قواتهم وشعوبهم من جهة أخرى ، والواقع أن أمريكا وبريطانيا لم تحقق الانتصار على العراق بسبب القدرات العسكرية وإنما بسبب التآمر والخيانة التي حدثت في صفوف الحرس الجمهوري .

6- لقد ورد على لسان بوش أن 80% من الدول والشعوب العربية يريدون التخلص من حكومة صدام حسين . ولكن واقع الحال غير ذلك ، فهناك العديد من الدول العربية شهدت مظاهرات واحتجاجات ضد الحرب العدوانية على العراق ، كما ظهرت بالوقت نفسه أصوات في الكويت معارضة لهذه الحرب العدوانية على العراق والعالم العربي .

7- في الوقت الذي بدأ فيه الأمريكيون والبريطانيون عرض صور لمن يدعون بأنهم أسرى من الجانب العراقي ، نجد أنهم استشاطوا غضباً وجنّ جنونهم عندما عرض التلفزيون العراقي صوراً لقتلاهم وأسراهم وأخذوا يتبجحون بأن هذا مخالف لحقوق الإنسان ، وفيه انتهاك لمعاهدة جنيف حول الأسرى . لكنهم نسوا أنهم أول من خالف هذه المعاهدة ولم يعيروها أي انتباه في معاملتهم للأسرى العرب والمسلمين في أفغانستان والذين لا زالوا يقبعون في ظروف مهينة في معتقل « كنتانامو » .

8- كثيراً ما تردد على ألسنة دهاقنة السياسة والحرب الامريكيين والبريطانيين أن الحرب سوف تكون قصيرة ولن تدوم طويلاً ، ولن يتم تعريض حياة المدنيين العراقيين إلى الخطر . والواقع ينافي ذلك فكما لاحظنا أن هذه القوات استخدمت أعنف الأسلحة من صواريخ كروز وتوما هوك والقنابل الذكية والعنقودية والبساطية (السجادية) ولم تميز فيها بين المنشآت السياسية أو العسكرية وبين المدنيين . ويبدو ذلك واضحاً وجلياً في ما بثته وسائل الإعلام من القتلى المدنيين والتدمير الكبير للمنازل والمدارس والمساجد وغيرها .

9- تردد كثيراً على ألسنة العسكريين بأن القوات المتحالفة ومعداتها العسكرية لم تتعرض إلى أي أذى ، وأن الطائرات تقوم بتنفيذ مهماتها وتعود إلى قواعدها سالمة

وليس هناك أية خسائر في صفوف قواتهم أو معداتهم . ولكن جاءت وسائل الإعلام لتفضح زيفهم وتضليلهم من خلال ما عرضته من صور للأسرى والقتلى والمعدات والطائرات التي تم تدميرها . وكأنهم كانوا يهدفون من وراء ذلك تضليل شعوبهم والتأثير في معنويات الشعب العراقي .

10- تردد في بداية الحملة على لسان بوش وديك تشيني وغيرهم من الساسة ، أن هناك العديد من الدول التي يزيد عددها عن أربعين دولة تؤيد الولايات المتحدة وبريطانيا في حربها على العراق . وواقع الحال يرى أن مثل هذه الدول هي دويلات لا وزن لها جرى ضمان وقوفها إلى جانب أمريكا وبريطانيا عبر وسائل التهديد ، والرشوة والإغراء التي مارستها عليها أمريكا . وخير مثال على ذلك ، تصريح رئيس الوزراء النيجيري بأن أمريكا قامت بقطع المساعدات الاقتصادية عن نيجيريا بسبب موقفها المعارض للحرب .

11- لقد تردد أحياناً في تصريحات الساسة الأمريكان والبريطانيين أن العراق يشكل تهديداً للدول المجاورة ، وتردد أيضاً على ألسنتهم أن العراق يهدد أمن وسلامة الولايات المتحدة الأمريكية . وفي الواقع أن العراق بعد حرب الخليج الثانية بدأ يتطلع إلى بناء العراق من جديد ولم يكن في نواياه أية اطماع خارجية .

12- لقد تم ترويج دعاية مفادها أن العراق قام بنقل (250) صاروخاً من نوع « صمود 2 » إلى الجنوب وهو على الأغلب سيقوم باستخدامها ضد قوات التحالف والدول المحيطة بعد أن يتم تزويدها برؤوس نووية أو كيميائية . إن مثل هذه الدعاية كان يراد منها كسب تأييد فرنسا وضمان انضمامها إلى جانب قوات التحالف ، ومثل هذا ادعاء باطل لا أساس له من الصحة حيث نفاه « طارق عزيز » في ذلك الوقت .

13- تدّعي بريطانيا وأمريكا أنها تنفذ الشرعية الدولية في هجومها على العراق مع أنها هي التي تخالف الشرعية الدولية كون أن هذه الحرب لم تحظَ بموافقة مجلس الأمن والاجماع العالمي .

14- كثيراً ما تردد أن المدن العراقية تسقط تحت سيطرة جيش الحلفاء ، وأن الأهالي يرحبون بهم ، ولكن واقع الحال كان غير ذلك ، إذ أشارت الدلائل إلى كذب ادعائهم ، وكم اظهرت الفضائيات حجم المقاومة العراقية على الصعيدين العسكري والمدني .

وأخيراً يلاحظ أنه بعد مرور عدة شهور من احتلال العراق لم تلتزم أمريكا وبريطانيا بالادعاءات التي كانت تروجها أثناء الحرب ، فهي لم تعمل على إعمار العراق ولم تساعد في تشكيل الحكومة العراقية الوطنية وإنما تمارس دور المحتل بكل معنى الكلمة .

ثالثاً: إثارة الرعب والفوضى Creating Terror and Fear:

بالاضافة الى الاشاعة والدعاية توظف الحرب النفسية اساليب اخرى تتمثل في استغلال دوافع الخوف لدى الافراد لارهابهم واخضاعهم وذلك من خلال استخدام الوسائل التي تخلق حالة من الذعر والفوضى لديهم . وتقوم مثل هذه الوسائل على استعراض القوة ، والتضخيم في حجم القوات والامكانات والاسراف في استخدام القوة والهجومات التكتيكية الساحقة او التعرضية وكثافة النيران وغيرها من الوسائل الاخرى .

ويذكر التاريخ ان خالداً بن الوليد القائد المسلم الفذ كان يعتمد على مثل هذه الاساليب ، حيث كان يحدد مواقع ضرباته في جانب العدو ويقوم بالهجوم الساحق او التعرض لقواتهم بهدف خلق حالة من الهلع والفوضى في صفوفهم ، وقد استخدم مثل هذا التكتيك في معركة مؤته واليرموك وطبقة فحل وغيرها من المعارك الأخرى .

وفي بداية الحرب العالمية الثانية ، لجأ الالمان الى استغلال اساليب تقوم على استعراض القوة وتضخيمها بهدف خلق حالة من التوتر والفوضى في صفوف القوات المتحالفة .

وفي هذا الصدد ، يقول هتلر « ان اسلحتنا هي اضطراب الذهن وتناقص المشاعر والحيرة والتردد والرعب الذي تدخله في قلوب الاعداء ، فعندما يتخاذلون في الداخل ويقفون على حافة الثورة وتهددهم الفوضى الاجتماعية ، عندها تحين الساعة لنفتك بهم في ضربة واحدة » .

لقد لجأ الالمان اثناء معاركهم في الحرب العالمية الثانية الى استخدام العديد من الاساليب التكتيكية التي كانت تسبب الخوف والهلع في صفوف قوات الحلفاء . ويتمثل بعض هذه الوسائل في :

أ–الهبوط المظلي خلف قوات العدو وتوجيه ضربات قاسمة لظهر العدو .

ب–الهجوم التعرضي لقوات العدو .

جـ–توظيف ما يسمى بهجمات الصاعقة .

د–الهجوم المفاجئ على غير توقع .

هـ–استخدام اجهزة تنتج اصواتاً قوية مفزعة عند بداية الهجوم ، ومثل هذه الاجهزة كانت تُحمل على ظهر القاذفات .

د–تركيز كثافة النيران وتنويع الاسلحة في الرماية .

كما استخدم اليابانيون اساليب اخرى لإثارة الخوف والارباك في صفوف القوات الامريكية اسفرت عن وقوع خسائر كبيرة في صفوفهم . وتتمثل هذه الوسائل في :

1- القيام بتحركات غريبة تشير الى وقوع هجوم وشيك من قبل الجيش الياباني وكان يتبع ذلك فترة هدوء تام ثم ما يلبث وان يقع هجوم عنيف من الجيش الياباني اتجاه القوات الامريكية . إن مثل هذا الاجراء كان يثير الحيرة والخوف معاً في صفوف القوات الامريكية . وتجنباً للانتظار غالباً ما كانت القوات الامريكية تندفع في الهجوم نحو القوات اليابانية في الوقت الذي يكون فيه اليابانيون قد أعدوا كمائن ومناطق تقتيل لافراد القوات الامريكية (فرج وعطيه ، 1987) .

2- استخدام الطيارين الانتحاريين الذين كانوا يلقون بأنفسهم مع طائراتهم في القطاعات والمنشآت وحاملات الطائرات الامريكية .

وفي عصرنا الحاضر ، نجد ان الكيان الصهيوني يستخدم الاساليب التي تولد الرعب والخوف والفوضى في مجتمعنا العربي . فخلال حروبه السابقة مع العرب كانت تسرف في استخدام القوة والتدمير والقتل والتخريب .كما انها تلوح دائماً باستخدام القوة والتهديد باستخدام الاسلحة الاستراتيجية بهدف خلق حالة من اليأس والقنوط في الجانب العربي تدفعه الى الاستسلام وقبول الامر الواقع . وفي محاولاتها الحالية لاطفاء شعلة الانتفاضة الفلسطينية ، نجدها قد استخدمت القوة على نحو متطرف ضد الشعب الاعزل متمثلاً ذلك في استخدام طائرات (اف-18) والاباتشي والقنابل العنقودية ورصاص الدمدم وغيرها في سبيل ترويع الشعب الفلسطيني وخلق حالة من التوتر والرعب في صفوفه .

ومثل هذه الاساليب تستخدمها الولايات المتحدة الامريكية كذلك ، ويلاحظ انها في اي ازمة عالمية سرعان ما تلوح باستخدام القوة وتبدأ بحشد اكبر قدر ممكن من قواتها ومعداتها العسكرية وذلك كما حدث في غزوها للعراق . وهي تلجأ ايضاً الى استعراض القوة العسكرية من خلال وسائل الاعلام كما يحدث اتجاه كوريا الشمالية . وقد لاحظنا الاستخدام المفرط للأسلحة والقوة في حربها ضد العراق وفي حربها كذلك ضد ما يسمونه بالارهاب في افغانستان . فقد استخدمت مختلف صنوف الاسلحة والطائرات والقنابل والصواريخ ذات القوة التدميرية الهائلة وذلك بهدف ارهاب الشعوب وخلق حالات من الخوف والقنوط واليأس في صفوفهم ، الامر الذي يدفعهم الى الخضوع والاستسلام لارادة الولايات المتحدة الامريكية .

ويلاحظ أنها في حربها الأخيرة ضد العراق قد استخدمت حاويات ضخمة يؤدي انفجارها إلى إحداث صوت ضخم وقوي بهدف خلق الصدمة وحالة من الرعب والهلع لدى العراقيين .

رابعاً: المؤامرات واختلاق الأزمات Creating Crises :

إن من احد اساليب الحرب النفسية هو افتعال الازمات وحبك المؤامرات من خلال استغلال حوادث بسيطة والعمل على تضخيمها من اجل خلق ازمة من شأنها ان تؤثر في نفسية ومعنويات العدو . ومثل هذه الاساليب كثيراً ما استخدمتها اسرائيل ضد الدول العربية ، وخير مثال عليها افتعال مشكلة الحدود مع سوريا عام 1967 ، واستغلال مسألة استخدام لبنان لمياه نهر الحاصباني في عام (2002) ، واحتلال لبنان في عام 1982 بحجة وجود الفدائيين الفلسطينيين الذين يقومون بشن هجوم على المستعمرات الصهيونية شمال فلسطين ، واستغلال اية عملية استشهادية يقوم بها بعض افراد التنظيمات الفلسطينية كذريعة لوقف المفاوضات وفرض شروط جديدة او مبرر لشن هجوم قوي على الشعب الفلسطيني .

وفي العصر الحاضر تكاد تكون الولايات المتحدة الامريكية من اكثر الدول استخداماً لمثل هذه الاساليب إذ تشتمل دوائرها الأمنية على وحدة تسمى بوحدة افتعال الأزمات ، تلجأ الى افتعال الازمات وتضخيم الاحداث متذرعة بحجج واهية في سبيل تحقيق اهدافها الاستراتيجية ، والشواهد على ذلك كثيرة ، نذكر منها :

1- افتعال ازمة الصواريخ مع كوبا عام 1958 بهدف محاصرة كوبا وعزل الاتحاد السوفيتي دولياً .
2- افتعال ازمة الرهائن في ايران بعد الثورة الاسلامية التي حدثت فيها عام 1979 .
3- افتعال ازمة العلاقات الحدودية بين العراق وايران .
4- افتعال ازمة المفتشين في العراق تمهيداً لغزو العراق للسيطرة على خيرات وثروات المنطقة .
5- افتعال ازمة الارهاب بعد الهجوم الذي وقع على مبنى التجارة العالمية في الحادي عشر من سبتمبر عام (2001) للتدخل في شؤون دول العالم بحجة محاربة الارهاب .

خامساً: عمليات غسيل الدماغ Brain Washing:

تعود عمليات غسيل الدماغ إلى الصينيين الذين كانوا يلجأون إليها بقصد تخليص الأفراد من المعتقدات القديمة لكي يتمكنوا من التعايش بسلام مع طبيعة النظام الشيوعي ، ويعدّ هنكر (Hunkr) أول من استخدم هذا المصطلح في مجال الحرب النفسية وذلك عام 1951 ، ويشير إلى جميع الإجراءات الترغيبية والترهيبية التي يتم اللجوء إليها من أجل تخليص

الأفراد من بعض الأفكار والمعتقدات للعمل على تغيير اتجاهاتهم وأفكارهم ومعتقداتهم نحو مواضيع أو أيدلوجيات معينة .

وتقوم عمليات غسيل الدماغ على اساس استخدام مختلف انواع الضغوط على العدو ولا سيما اسرى الحرب منهم من اجل إلزامهم قسراً على الاستسلام والطاعة . وتتضمن هذه العمليات توليد نوع من الاضطراب الانفعالي وعدم الاتزان العقلي لدى الاسرى من خلال ممارسة الضغوط الجسمية والنفسية واشكال التعذيب المختلفة مثل التجويع والحرمان من الماء والعزلة ، وعزل الحواس ، والجَلْد ، والتعذيب بالنار والتعذيب بالماء البارد والساخن معا ، والشبح والصلب والاعتداء الجنسي وإلى غير ذلك من الاساليب الاخرى (العيسوي ، 1999) .

وقد تتم عمليات غسل الدماغ ايضاً من خلال اساليب الاغراء والاقناع ممثلاً ذلك في تقديم حجج وافكار تبدو على انها حقائق بهدف اقناع الاسرى على تغيير افكارهم ومعتقداتهم ، او من خلال تقديم الاغراءات والرشاوي وبعض الامتيازات لمثل هؤلاء الاسرى في سبيل الحصول منهم على معلومات معينة او تغيير اتجاهاتهم .

طرق التصدي للحرب النفسية Avoidance of Psychological War:

ان الحرب النفسية اشد خطراً وتأثيراً من الحرب الميدانية لان آثارها ترتبط بالجوانب النفسية والمعنوية لدى المدنيين والعسكريين في آن واحد ؛ فهي تسعى الى التأثير في الكفاءة العقلية والادائية والانتاجية لدى الافراد . كما انها بالوقت نفسه غير محددة المصدر ، اذ من الصعوبة تحديد الجهات التي تشنها ، فقد تكون من داخل المجتمع او من خارجه ، وهي ايضاً تستخدم وسائل متعددة ومتباينة ، وهذا بالتالي يجعل منها ظاهرة معقدة تتطلب كل الحذر والحرص وبذل كافة الجهود لمقاومتها والتصدي لها .

أن مقاومة اساليب الحرب النفسية لا تقع على عاتق جهة واحدة من المجتمع ، ولكنها مسؤولية كل فرد من افراد المجتمع . وتحديداً تقع على عاتق الشباب والمثقفين والمفكرين المسؤولية الكبرى في التصدي للحرب النفسية لان مثل هذه الشريحة هي الطليعة والدعامة الحقيقية للمجتمع .

يمكن التصدي للحرب النفسية والحد من تأثيرها باتباع الاجراءات التالية :

أولاً : تعميق الوازع الايماني لدى افراد المجتمع وتدعيم المعتقدات الدينية والوطنية لديهم ، والعمل على بناء مجتمع متماسك قوي تتحدد فيها الواجبات والحقوق والادوار

بشكل واضح بحيث يشعر كل فرد فيه بالمسؤولية نحو الحفاظ على أمن واستقرار هذا المجتمع . ويمكن للمجتمعات العربية والاسلامية استغلال العقيدة الاسلامية والمبادئ والقيم التي تنطوي عليها لبناء مجتمع متماسك تجسيداً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم على ثغرةٍ من ثغر الاسلام فلا يؤتين من قبلك » . فالانسان المسلم والمؤمن لا يخشى التهديد او الوعيد ويمتاز بالشجاعة والتضحية والاقدام ، ولا يتأثر بأية محاولات من شأنها ان تزعزع ثقته بالله او عقيدته .

ثانياً : تجنب اذاعة او نشر اية اخبار او معلومات حول الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية عن الوطن ، وذلك حتى لا يتاح المجال للعدو في جمع هذه المعلومات والاستفادة منها في حربه النفسية ضد الوطن .

ثالثاً : التوعية القومية لمخاطر الحرب النفسية والدعايات والاشاعات المسمومة من خلال تقديم الحجج والبراهين المنطقية والحقائق الملموسة التي من شأنها ان تدحض كافة محاولات العدو الدعائية والاشاعات المغرضة التي يحيكها ضد المجتمع .

ويمكن ان يتم ذلك من خلال استخدام برامج التوعية في المدارس والجامعات ، وعقد الندوات والمحاضرات ، والبرامج الاعلامية الموجهة في الاذاعة والتلفزيون والصحف والنشرات .

رابعاً : التأكيد على عدالة قضايا المجتمع وحقه في الدفاع عنها مهما كلف الثمن ، وعدم التأثر بأية محاولات من شأنها ان تضعف الروح المعنوية لدى افراد المجتمع .

خامساً : تنمية اساليب التحكم الذاتي لدى افراد المجتمع على نحو تمكنهم من ضبط الذات والامتناع عن ترويج الشائعات وذلك من خلال :

أ- ضبط ومراقبة سلوك الافراد وانزال العقوبات بحق مروجي الشائعات المسمومة .

ب-مساعدة الافراد على تفهم الشائعات والغرض الذي يكمن وراءها .

سادساً : تنمية الثقة بالنفس وبالوطن وبالقوات المسلحة ، لأن ذلك من شأنه ان يعزز الروح المعنوية لدى الافراد ويرفع من مستوى التحدي والصمود والمواجهة لديهم .

سابعاً : التوعية المستمرة لافراد القوات المسلحة وتعريفهم بنوايا العدو ومخططاته من أجل رفع مستوى الجاهزية لديهم لاحباط كافة محاولات العدو المسمومة .

ثامناً : العمل على تنمية العلاقات الرأسية والافقية بين قطاعات وتشكيلات القوات المسلحة المختلفة مثل العلاقات بين القادة من المستويات المختلفة ، وبين القادة والافراد وبين الافراد انفسهم ، لان ذلك من شأنه ان يعزز تماسك القوات المسلحة ويزيد من كفاءتها في التصدي لأية محاولات دعائية يقوم بها العدو .

تاسعاً : توظيف سياسة اعلامية قوية على المستوى الوطني او القومي تعرض قضايا الوطن والامة والمرتكزات الوطنية والقومية على نحو يمتاز بالدقة والموضوعية والوضوح . ويجب على هذه السياسة الاعلامية إعداد البرامج والمخططات الكفيلة بالرد على كافة الدعايات والشائعات المغرضة وتفنيدها ، والعمل على توعية افراد المجتمع والامة من خطر مثل هذه الدعايات .

عاشراً : التصدي للشائعات المغرضه من خلال :

أ- تكذيب الاشاعات من قبل شخصية كبيرة ذات نفوذ سياسي او اجتماعي او عسكري .

ب- تفنيد الاشاعات ودحضها باصدار بيانات تستند الى معلومات تمتاز بالدقة والوضوح والموضوعية .

جـ- تحليل الاشاعات من خلال اجراء يعرف باسم «عيادة الاشاعات» وفيه يتم تحليل الاشاعات منطقياً لبيان اوجه التناقض فيها وبطلانها ، وقد يتم هذه الاجراء من خلال :

1- تعيين لجنة فحص تقوم بتحديد الوقائع والاحداث المرتبطة بموضوع الشائعة وكتابة تقرير تدحض فيه مثل هذه الوقائع والاحداث على اساس علمي .

2- استغلال وسائل الاعلام المختلفة مثل الاذاعة والتلفزيون والصحف لكشف زيف الشائعات بالاستعانة بخبراء تكون مهمتهم تناول مضمون الشائعات والعمل على تحليلها لبيان اوجه التناقض فيها .

د-استخدام الملصقات التي تصور الشائعة على انها مصدر اعلام يخدم العدو ، وهذا من شأنه ان يؤدي الى احجام الناس عن ترويح الشائعات .

هـ-استخدام النشرات والكتيبات المطبوعة كوسائل لنقل الاخبار والتحذير من خطر الشائعات .

و-استخدام الافلام السينمائية والتلفزيونية لمحاربة مخاطر الشائعات .

7

الفصل السابع

وسائل الانتقاء والتوزيع لأفراد القوات المسلحة

مقدمة :

كما أسلفنا في الفصول السابقة إن لجماعات القوات المسلحة خصوصيتها التي تميزها عن سائر الجماعات التنظيمية الاخرى . وتنبع مثل هذه الخصوصية من طبيعة الأهداف التي من أجلها وجدت القوات المسلحة ، وهذا الامر يستلزم ايلاء العناية الكافية لطبيعة الأدوار والمهام التي يؤديها افراد القوات المسلحة وعلى كافة المستويات . وهذا بالطبع يعني ضرورة ملائمة مراكز العمل وأدواره مع خصائص الأفراد وقدراتهم ومؤهلاتهم .

واذا كان الاهتمام باختيار الأفراد وتوزيعهم على المراكز والأدوار المختلفة للقوات المسلحة يُعطي مزيداً من العناية والحرص على المجندين النظاميين ، فإن مثل هذا الحرص يصبح على غاية من الخطورة والأهمية في حالة المتطوعين في القوات المسلحة أو في حالات التجنيد الالزامي نظراً للحجم الكبير لهؤلاء المتطوعين أو المجندين .

إن عملية اختيار الأفراد وتوزيعهم على الادوار والمهام المختلفة في القوات المسلحة يستند إلى مسألة وجود الفروق الفردية بين الأفراد في الجوانب النفسية الشخصية ، الأمر الذي يستدعي بالتالي توظيف العديد من الوسائل والأدوات والمقاييس المتعددة في عملية الاختيار والتوزيع لمثل هؤلاء الافراد .

الفروق الفردية Individual defferences:

يشير مفهوم الفروق الفردية الى الاختلافات البينية التي توجد بين الأفراد في مختلف المظاهر النفسية والشخصية . فالأفراد رغم تشابههم من حيث امتلاكهم للخصائص الإنسانية العامة ، الا انهم يتباينون فيما بينهم من حيث مدى امتلاكهم لمثل هذه الخصائص .

إن مثل هذه الفروق قد تنشأ بفعل العوامل الوراثية او بفعل العوامل البيئية او من خلال تفاعل هاتين المجموعتين . كما انها لا توجد في مظهر محدد من المظاهر النفسية الشخصية فحسب ، لا بل تتباين وتتنوع لتشمل كافة المظاهر الجسمية والحركية والحسية والعقلية والاجتماعية والانفعالية واللغوية وغيرها من المظاهر الاخرى .

فعلى الصعيد الجسمي ، نجد أن هناك فروقاً بين الافراد من حيث الطول والوزن والحجم وكثافة العضلات والقوة البدنية ، اما على الصعيد الحسي ، فالافراد يختلفون في قدراتهم السمعية والبصرية والشمية والتذوقية واللمسية ، حيث نجد على سبيل المثال الافراد ضعيفي السمع أو البصر مقابل الافراد الذين يمتازون بقدرات سمعية او بصرية حادة . وفي الجانب الاجتماعي هناك بعض الافراد الذين يمتازون بقدرات اجتماعية عالية من حيث الانفتاح على الآخرين والقدرة على التفاعل الاجتماعي واللباقة والقدرة على تكوين الصداقات وانشاء العلاقات ، في حين ان هناك البعض الذي يمتاز بقدرات متوسطة او منخفضة في هذا الشأن . ونلاحظ أيضاً أن بعض الافراد في المجال العقلي يمتازون بقدرات عالية من حيث مستوى الذكاء والقدرة على التفكير الابتكاري والتفكير الناقد والقدرة على حل المشكلات مقابل افراداً يمتازون بمستوى متوسط أو متدني من هذه القدرات ، كما نجد أن بعض الأفراد لديهم قدرات عالية على التركيز والانتباه والإدراك والحفظ والتذكر والاستعداد للتعلم ، وهناك من يمتلك قدراً متوسطاً من هذه القدرات ، في حين ان هناك البعض يمتاز بمستوى متدني على هذه القدرات .

وكما هو الحال في المظاهر الاجتماعية والجسمية والعقلية ، فإن هناك فروقاً فردية في القدرات الحركية واللغوية توجد بين الافراد ، اذ ان بعض الافراد يمتازون بقدرات لغوية متقدمة ، في حين أن هناك مَنْ يمتاز بقدرات لغوية متوسطة ، كما أن هناك من الافراد من يعاني من مشاكل لغوية أو صعوبات في النطق . ويتفاوت الافراد أيضاً في مهارتهم وقدراتهم الحركية من حيث درجة تعلمها واتقان ادائها . فعلى سبيل المثال ، نلاحظ أن لدى بعض الأفراد القدرة على تنفيذ الحركات العامة والدقيقة بمهارة عالية ، وأن هناك من يؤديها بدرجة متوسطة ، في حين أن البعض الآخر يجد صعوبة كبيرة في تعلمها او ادائها .

وأخيراً توجد الفروق الفردية في الجوانب الشخصية والانفعالية من حيث نمط الشخصية ومستوى الدافعية . فالبعض يمتاز بأن لديه مستوى عال من الدافعية للتعلم أو القيام بأداء معين ، وهناك من يمتاز بمستوى متوسط من الدافعية ، في حين ان البعض الآخر يمتاز بمستوى دافعية منخفض . وتتعدى الفروق الفردية لتشمل نمط الشخصية من حيث الانبساط والانطواء والمرونة والانفعال وأساليب التعبير والضبط الانفعالي .

ان مسألة وجود الفروق الفردية في القدرات العقلية والسمات الانفعالية والاجتماعية والحركية وغيرها تنعكس بما لا يدعو للشك في الانماط السلوكية للافراد وفي اساليبهم وفي تنفيذ الاداء والمهام المختلفة وكذلك في أساليبهم على التكيف النفسي والاجتماعي . وهذا الأمر يستلزم بالتالي عدم الافتراض بأن جميع الافراد متماثلين ، اذ لا بد من الأخذ بعين الاعتبار مثل هذه الفروق في عمليات التفاعل مع الافراد واعدادهم للمهام والوظائف المختلفة .

خصائص الفروق الفردية :

تتصف الفروق الفردية بعدد من الخصائص تتمثل بما يلي :

أولاً : **تميل الى الثبات النسبي** : ترتبط الفروق الفردية بالسمات الإنسانية المختلفة ، ومثل هذه السمات تمتاز بالثبات والاستقرار النسبي ؛ أي أن معدل التغير فيها يكاد يكون منخفضاً . ولكن بالرغم من هذا الثبات الا ان معدله يختلف باختلاف السمات المقاسة . ففي حالة السمات العقلية واللغوية فإن معدل التغير فيها اقل منه في السمات الانفعالية والاجتماعية ، ويعزى السبب في ذلك الى تأثر مثل هذه السمات بالعوامل البيئية والثقافية .

ثانياً : **تأخذ مظاهر مختلفة** : كما أسلفنا سابقاً ان الفروق الفردية لا تنحصر في جانب نفسي واحد ولكن تمتد لتشمل كافة المظاهر النفسية مثل العقلية والانفعالية والحركية والجسمية والحسية واللغوية والاجتماعية والاخلاقية وغيرها .

ثالثاً : **تأخذ طابع التوزيع الاعتدالي** : عند قياس أية سمة عقلية كانت أم اجتماعية ام انفعالية نجد أنها تتباين في نسب وجودها لدى الأفراد . ففي الوقت الذي نجد فيه انها تتوفر بنسب عالية لدى بعض الافراد نجدها تأخذ نسباً متوسطة لدى البعض الآخر ، وقد تكون منخفضة عند افراد آخرين . وهكذا فإن السمات النفسية نسبية وليست مطلقة بحيث انها تأخذ اي قيمة في مدى معين . فعلى سبيل المثال : عند قياس سمة عقلية مثل الذكاء عند عينة من الافراد فإننا نلاحظ ان التمثيل البياني لتوزيع درجاتهم على هذه السمة (الذكاء) يأخذ شكل التوزيع الطبيعي ، أو ما يسمى بالمنحنى الاعتدالي الجرسي كما هو مبين في الشكل رقم (1:7) .

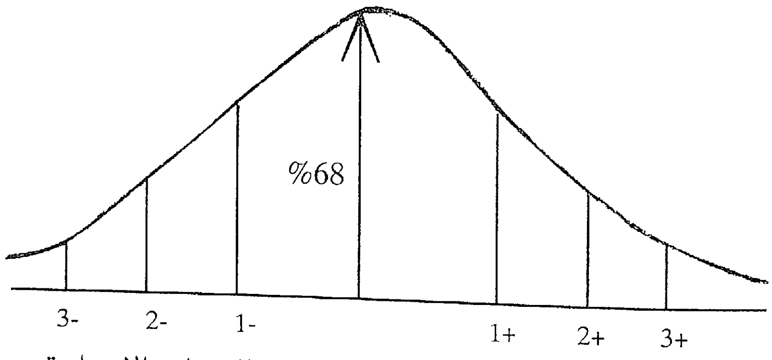

الشكل رقم (1:7) منحنى التوزيع الطبيعي للسمات الإنسانية

ويلاحظ من التوزيع ، ان غالبية درجات ذكاء الافراد تتجمع حول الوسط ، اي تنحصر بين الانحرافين المعياريين (-1 و +1) . وتشير نتائج الابحاث حول توزيع درجات الذكاء الى ان ما يقارب من 68% من الدرجات تتجمع حول الوسط وأن ما يقارب من 34% من هذه الدرجات تتوزع على بقية اطراف التوزيع .

وكما هو الحال في سمة الذكاء ، فإن السمات الاخرى مثل الدافعية والطول والوزن والانتباه والتحصيل والاستعداد والقدرة اللغوية وقدرات التفاعل الاجتماعي تتوزع أيضاً على نحو طبيعي ، اذ إن هذه السمات تتواجد بنسب متوسطة لدى غالبية الافراد وإن القليل منهم من تتواجد لديهم هذه السمة بنسب مرتفعة او بنسب منخفضة .

رابعاً : **عمومية الفروق الفردية** : اي أن الفروق الفردية لا تنحصر لدى فئة معينة من الناس ولكنها تتوفر لدى جميع الناس من مختلف الشعوب والاجناس والثقافات بصرف النظر عن العوامل الوراثية أو البيئية المتوفرة .

خامساً : **الطبيعة الهرمية للفروق الفردية** : تشير نتائج البحوث والدراسات إلى أن الفروق الفردية في السمات المختلفة تسير على نحو هرمي ، حيث يقع في قمة هذا الهرم السمات الأكثر عمومية وتقع دونها الصفات الأقل عمومية . فعلى سبيل المثال ، فإنه في حالة القدرات العقلية ، نجد أن الفروق في سمة الذكاء تقع في قمة الهرم ويأتي بعدها صفات أقل عمومية مثل قدرات التحصيل والقدرات المهنية والميكانيكية والكتابية . أما في حالة الشخصية ، فنجد أن السمات الانفعالية تمثل قمة الهرم ثم تليها جوانب شخصية أخرى مثل الميول والاهتمامات والاتجاهات (ملحم ، 2001) .

تطور مفهوم الفروق الفردية:

إن مسألة وجود الفروق الفردية في السمات النفسية : الجسمية والشخصية والعقلية والاجتماعية واللغوية هي حقيقة لا يمكن تجاهلها او انكارها بأي شكل من الاشكال ، ومثل هذه الفروق تنعكس بما لا يدعو للشك في طبيعة ونوعية الانماط السلوكية المختلفة لدى الافراد وفي اساليبهم على التعلم والتكيف والادراك والتفكير والتفاعل وحل المشكلات وكذلك في هواياتهم وامزجتهم وتفضيلاتهم وردات فعلهم حيال المواقف المتعددة .

لقد تنبه الفلاسفة والمفكرون القدماء لهذه المسألة ، وقد حاولوا بحثها وايجاد تفسير لها ، فنجد على سبيل المثال الفيلسوف اليوناني افلاطون يؤكد على ان الفروق الفردية بين الافراد في التعلم يمكن عزوها الى اختلاف قدرات الافراد على تذكر واسترجاع المعارف

الفطرية الموجودة لديهم ،في حين يرى ارسطو ان الفروق الفردية في السمات الشخصية والجسمية والعقلية ترجع في احد اسبابها الى طبيعة ونوعية المناخات والبيئات التي ينشأ ويعيش فيها الافراد .

ويرى ابقراط ايضاً ان هناك فروقاً فردية توجد في الانماط الشخصية لدى الافراد ، ومثل هذه الفروق في الانماط الشخصية ترتبط بطبيعة البناء او التكوين الجسمي الموجود لديهم . لقد ميز ابقراط بين اربعة انماط من الشخصية استناداً الى الخصائص الجسمية السائدة عند الفرد ، وهذه الانماط هي : النمط البلغمي والصفراوي والسوداوي والدموي .

ومثل هذا التقسيم في الانماط الشخصية المستند الى الخصائص الجسمية اكده لاحقاً كل من كريتشمر وشيلدون في مجال الشخصية الانسانية .

ولكن بالرغم من المساهمات الهامة التي قدمها هؤلاء الفلاسفة والمفكرون في مجال الفروق الفردية ، الا ان منهجيتهم في تناولها واجهت انتقادات شديدة ، فهي تقوم على التأمل الذاتي والقياس والخبرة الشخصية والاستبطان ولا تستند الى اي اساس موضوعي .

ويمكن القول ان الدراسة العلمية لمسألة الفروق الفردية ترافقت مع ولادة موضوع علم النفس كحقل مستقل عن الفلسفة في القرن التاسع عشر ، حيث ظهرت حركة القياس النفسي الموضوعي والتي استندت الى مبادئ علمية تقوم على الملاحظة المضبوطة والقياس الدقيق والتجريب . وقد ساهم العديد من العلماء امثال جوستاف فنجر وتتشنر وفيبر وجالتون وتيرمان وغيرهم في بلورة مبادئ القياس النفسي .

يعد جوستاف فنجر من اوائل العلماء في العصر الحديث الذين دعوا الى استخدام الطرق العلمية في دراسة الدماغ والاعصاب والحواس والعمليات العقلية ، وقد سعى الى الكشف عن العلاقة بين المثيرات المادية والاحساس ، وتوصل الى تحديد ما يسمى بعتبة الاحساس واستنتج ايضاً وجود الفروق الفردية في العمليات الحسية بين الافراد اتجاه المثيرات والمواقف البيئية . كما ساهم جالتون ايضاً في مجال دراسة الذكاء والقدرات العقلية ، وقد عمل جاهداً على تطوير اختبار للقدرة العقلية يتضمن قياس القدرات الادراكية والحركية من خلال قياس سرعة ودقة استجابات الأفراد للمثيرات المختلفة ورهافة الحس لديهم (الهنداوي والزغرل ، 2002) .

وقد توصل جالتون الى وجود اختلافات بين الافراد في القدرات العقلية والتوجهات المهنية ، وأصر على أن مثل هذه الاختلافات هي فطرية تنتقل عبر الاجيال من خلال الجينات الوراثية .

اما فيبر فقد درس عمليات الادراك الحسي وحاول تحديد الحد الادنى للفرق بين شدة المثيرات الذي يمكن للفرد ادراكه وتمييزه ، ووضع معادلة في هذا الشأن تسمى بمعادلة الحد الادنى للفرق المدرك . وقد توصل فيبر الى وجود اختلافات بين الافراد في طريقة ادراكهم للمثيرات المختلفة .

ومع مطلع القرن العشرين وظهور العديد من مدارس علم النفس ازداد الاهتمام بحركة القياس النفسي في الجوانب المتعددة العقلية والشخصية والانفعالية واللغوية وغيرها . ففي الجوانب العقلية ، جاءت محاولات بينه وسيمون لوضع مقياس للذكاء بناء على طلب وزارة التربية الفرنسية وذلك من اجل تحديد القدرات العقلية لدى الطلاب للعمل على فرزهم وتصنيفهم في ضوء هذه القدرات .

وكنتيجة لهذه المحاولات ، شهدت حركة القياس النفسي تطوراً ملموساً ؛ فجاءت مساهمات ثورنديك وسبيرمان وتيرمان ووكسلر وغيرهم في مجال قياس الذكاء ، كما وظهرت المقاييس والادوات المتعددة لتحديد الفروق الفردية في جوانب الشخصية والميول ، والانتباه والاستعدادات والاتجاهات والقدرات اللغوية والمهارات الحركية والسلوك الاجتماعي وغيرها من السمات الاخرى .

العوامل التي تؤثر في الفروق الفردية :

تتباين وجهات النظر حول مسألة الفروق الفردية ، اذ ان البعض منها يرى ان أصولها ترجع الى عوامل فطرية وراثية ، في حين ان هناك وجهات نظر ترى انها بيئية المنشأ . ولكن وجهة النظر التوفيقية الاكثر اعتدالاً ، ترى ان الفروق الفردية هي نتاج تفاعل العوامل الوراثية مع العوامل البيئية . وعموماً يمكن تلخيص العوامل المؤثرة في الفروق الفردية على النحو الآتي :

أولاً : الوراثة Herdity :

ويقصد بالوراثة انتقال السمات من الاجداد والآباء الى الابناء عبر الجينات الوراثية . فمن المعروف ان الخلايا الانسانية الجسدية تشتمل على ثلاثة وعشرين زوجاً من الكروموسومات (46 كروموسوم) ويستثنى من ذلك الخلايا الجنسية وهي الحيوان المنوي عند الذكر والبويضة عند الانثى ، اذ انها تشتمل على (23) كروموسوماً فقط . فالحيوان المنوي يشتمل على 22 كروموسوماً لها علاقة بالخصائص الجسمية والاستعدادات النفسية والشخصية والعقلية وكروموسوم واحد يرتبط بالجنس قد يحمل صفة الذكورة (Y) او الانوثة (X) . في حين نجد

ان البويضة عند الانثى تشتمل ايضاً على الكروموسوم الجنسي المرتبط بالأنوثة فقط (X) وبقية الكروموسومات الاخرى ذات ارتباط بالخصائص الجسمية والشخصية والعقلية .

واعتماداً على طبيعة الجينات التي يحملها الحيوان المنوي وتلك التي تحملها البويضة ، يتحدد جنس المولود والعديد من الخصائص الجسمية مثل اللون والطول والصلع ولون العيون والاستعداد للاصابة بالامراض مثل السكري وعمى الالوان والاستعدادات النفسية الاخرى مثل الذكاء والقلق والاكتئاب . وهكذا فإن الافراد يختلفون اعتماداً على طبيعة الجينات التي يحملونها والتي تنتقل اليهم من الآباء والاجداد . فالاشخاص الذين يحملون جينات سائدة نقية لا شك انهم يتفوقون في العديد من الخصائص على غيرهم من الافراد الذين يحملون جينات متنحية او غير نقية .

ففي هذا الصدد ، تشير نتائج الدراسات الى ان الفروق الفردية بين الافراد في الخصائص الجسمية والمهارات الحركية والقدرات الحسية والذكاء والاستعداد للاصابة ببعض الامراض الجسمية والاضطرابات النفسية والعقلية ترتبط الى درجة كبيرة بالعوامل الوراثية . ومما يدلل على ذلك ، ان المكتشفات الطبية والاحاديث النبوية تؤكد بما لا يدعو للشك اهمية العوامل الوراثية في هذا الجانب . فهناك الدعوات الطبية المتكررة الى ضرورة اجراء الفحوصات الطبية المختلفة لدى الافراد قبل الاقبال على الزواج من اجل الحصول على مواليد يمتازون بصحة جيدة وخصائص نفسية سليمة وتحاشياً من ولادة مواليد غير اسوياء . كما ان سيدنا محمد (ﷺ) اكد هذا الجانب لقوله : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » ، ولقوله ايضاً : « غربوا النكاح » .

ثانياً : البيئة المادية والاجتماعية :

تلعب البيئة بشقيها المادي والاجتماعي دوراً بارزاً في تباين الخصائص بين الافراد والجماعات .

فالافراد يتباينون في خصائصهم الجسمية وقدراتهم الحركية وفي امزجتهم وميولهم واتجاهاتهم وطباعهم ، وفي اساليبهم على التعلم والادراك والتفكير والتكيف والتفاعل والتواصل الاجتماعي وكذلك في لغاتهم ولهجاتهم واساليب التعبير لديهم وفي أساليب إشباع الدوافع تبعاً لنوعية الخبرات الموجودة في بيئاتهم بالاضافة الى طبيعة الثقافة السائدة واساليب التنشئة الاجتماعية .

تلعب عوامل مثل التغذية ونوعية الغذاء وطبيعة المناخ والحيز الجغرافي وعوامل التلوث والموجودات المادية المتوفرة في البيئة كذلك دوراً هاماً في مسألة الفروق الفردية التي توجد بين الافراد على الخصائص المختلفة .

لقد وُجد ان الافراد الذين يعيشون في بيئات غنية بالمثيرات والخبرات الاجتماعية يتفوقون في العديد من الخصائص على اقرانهم الذين يأتون من بيئات فقيرة أو محرومة (الزغول ، 2001) . كما اظهرت نتائج الدراسات ان الافراد الذين ينشأون في بيئات متسامحة تستخدم اساليب تقوم على الرعاية والتقبل والتشجيع هم في خصائصهم وقدراتهم افضل من اولئك الافراد الذين يعيشون في بيئات متشددة . ودلت نتائج دراسات اخرى على ان ذكاء الافراد ونمط شخصيتهم يتأثر الى درجة كبيرة بعدد الافراد في الاسرة وبثقافة الاب والام والمستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للاسرة . وهناك نتائج دراسات اخرى بينت ان خصائص الافراد الشخصية وقدراتهم العقلية واللغوية تختلف باختلاف المنطقة السكنية ، اذ وجدت فروق واضحة بهذا الشأن بين الافراد الذين يعيشون في الارياف والمدن والبوادي . بالاضافة الى ذلك اظهرت نتائج دراسات اخرى ان معدلات النمو لدى الافراد في المظاهر الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية واللغوية والحسية تتأثر الى درجة كبيرة بعوامل التغذية ونوعية الغذاء والعوامل البيئية الاخرى مثل الموقع الجغرافي والمناخ السائد وعوامل التلوث والمرض ومستوى الرعاية الصحية .

وهكذا فيمكن القول ، ان للعوامل البيئية المادية والاجتماعية التأثير البالغ في تباين الخصائص لدى الافراد ، الامر الذي ينتج عنه وجود الفروق الفردية في مستوى ومدى توفر مثل هذه الخصائص لديهم .

ثالثاً : العمر الزمني :

مما لا شك فيه ، ان الافراد عندما يتقدمون في السن فإن خبراتهم ومعارفهم تزداد ، كما ان قدراتهم ومهاراتهم الحركية والجسمية تتطور الامر الذي ينعكس على كافة المظاهر والخصائص النفسية لديهم . فالانتقال من مرحلة عمرية الى مرحلة عمرية اخرى من شأنه ان يساهم في تراكم الخبرات والمعارف مما ينجم عنه تطور في ذكاء الافراد وفي تطور قدراتهم على حل المشكلات والتفكير ، وكذلك في نمو قدراتهم اللغوية واساليب التعبير لديهم . وتزداد قدرتهم ايضاً على التفاعل والتواصل الاجتماعي وفي ثبات واستقرار خصائصهم الشخصية كالامزجة والميول والاهتمامات والاتجاهات .

ويجب التنويه هنا ، ان التقدم بالعمر لا يعني بالضرورة استمرار تطور الخصائص لدى الافراد ، اذ ان العديد من الخصائص تميل الى الثبات والاستقرار في سن معين . فعلى سبيل المثال ، تشير نتائج الدراسات ان معدل ذكاء الافراد يميل الى الثبات والاستقرار في سن الثامنة عشرة ، كما أن بعض الدراسات اشارت الى ان خصائص الشخصية مثل الامزجة

والميول والاهتمامات عموماً تميل الى الثبات في سن الرشد . ويلاحظ ايضاً ان العديد من القدرات العقلية مثل القدرة على الانتباه والتركيز والتذكر بالاضافة الى القدرات الجسمية والحركية تبدأ بالتراجع في سن الشيخوخة . وبشكل عام يمكن القول بأن هناك فروقاً توجد بين الافراد في مختلف الخصائص تعود الى عامل السن سواء أكانت في الاتجاه الموجب او السالب .

رابعاً : الجنس :

هناك فروق فردية في الجوانب الجسمية والعقلية والشخصية واللغوية والحركية والانفعالية توجد بين الجنسين . فالذكور اكثر طولاً وقوة مقارنة بالاناث ، كما انهم أكثر تفوقا في أداء المهمات الميكانيكية او تلك التي تتطلب التحمل الجسمي والعقلي . ففي هذا الصدد ، تشير نتائج الدراسات الى ان الذكور يتفوقون على الاناث في مجالات العلوم الطبيعية والرياضيات والنواحي الميكانيكية والرياضية وفي قدرات الاستدلال والتفكير المنطقي ، في حين ان الاناث يتفوقن على الذكور في بعض الجوانب والقدرات مثل القدرات اللغوية والاجتماعية والقدرة على ادراك الجوانب الجمالية والمكانية والفنية وفي عمليات التذكر .

خامساً : المستوى العقلي :

تشير نتائج العديد من الدراسات ان تباين الافراد في قدراتهم العقلية ينعكس في الفروق الفردية التي توجد بينهم في بعض الجوانب مثل : التفاعل الاجتماعي وتكوين الصداقات والاهتمامات والميول والقدرات اللغوية وفي اساليب التكيف والضبط الانفعالي وفي عمليات الانتباه والتركيز والاستجابة وتنفيذ المهارات الدقيقة .

حركة القياس النفسي في القوات المسلحة :

لقد بدأ الاهتمام بمسألة الفروق الفردية في القوات المسلحة في بداية القرن العشرين . وتحديداً عندما بدأت بعض الدول مثل الولايات المتحدة الامريكية بتوظيف حركة القياس النفسي اثناء الحرب العالمية الاولى لانتقاء الافراد والضباط وتوزيعهم على القطاعات العسكرية المتعددة .

فعندما اعلنت الولايات المتحدة الامريكية اشتراكها بالحرب ضد المانيا قامت بتجنيد العديد من علماء النفس وكانت مهمتهم الأساسية هي توظيف مبادئ علم النفس لتنظيم وتحسين اداء القوات المسلحة .

وقد عمل هؤلاء العلماء على توظيف بعض اختبارات الذكاء والشخصية من اجل انتقاء المجندين وفرز المناسبين منهم للخدمة العسكرية ، بالاضافة الى توزيعهم على المهن المناسبة واعداد البرامج التدريبيه لتطوير مهاراتهم وقدراتهم في مجال الاعمال المتعددة مثل الادوار القيادية ، واعمال الاستطلاع والاستخبارات ، والمهمات الخاصة والاعمال الفنية (فرج وعطيه ، 1987) .

لقد نجحت الولايات المتحدة اثناء الحرب العالمية الاولى في تجنيد اكثر من مليوني رجل في القوات المسلحة وتمكنت من بناء جيش قوي ومنظم نتيجة اخضاع الاعداد الكبيرة من المجندين لطرائق علم النفس التطبيقي وادوات القياس النفسي . وهذا ادى بالتالي الى تطوير ادوات القياس النفسي المختلفة نتيجة توفير القوات المسلحة الامكانات المادية الهائلة ووسائل الدعم والمختبرات التي اتاحت لعلماء النفس تنفيذ واجراء البحوث والتجارب في كافة المظاهر النفسية . ويمكن القول ان القوات المسلحة الامريكية ساهمت في نقل المعرفة النفسية من الاطار النظري التجريبي الى مرحلة التطبيق العملي ؛ مما ساهم بالتالي في تطور ادوات ووسائل القياس النفسي وانتشار استخداماتها الى المجالات الحياتية الاخرى ولا سيما التربوية والصناعية منها .

لقد اسفرت حركة القياس النفسي في القوات المسلحة خلال الحرب العالمية الاولى عن تطوير العديد من الادوات والمقاييس النفسية ، وكان من اشهرها اختبارات الفا "Alpha" وبيتا "Beta" لقياس ذكاء الأفراد ، ويتألف اختبار ألفا من عدد من الفقرات التي تقيس قدرة الافراد على اكمال الجمل والتعامل مع الارقام ، وادراك اوجه الاختلاف والشبه بين المتشابهات بالاضافة الى بعض المعلومات العامة ، ويصلح هذا الاختبار للأفراد المتعلمين الذين يجيدون القراءة والكتابة . اما اختبار بيتا فيصلح للأفراد الذين لا يجيدون القراءة او الكتابة ، ويتألف من بعض المتاهات والرموز والصور والمكعبات والتصاميم الهندسية .

شهدت الفترة التي تلت الحرب العالمية الاولى وحتى بداية الحرب العالمية الثانية نمواً واضحاً في مجال القياس النفسي وفي تطور وانتشار الادوات والمقاييس النفسية في القوات المسلحة لدى مختلف الدول والبلدان . ففي امريكا ، جرى تعديل العديد من اختبارات الذكاء مثل اختبار ستانفورد -بينه في الذكاء ومقياس وكسلر للراشدين ، وفي تطوير مقاييس الاتجاهات والجوانب الشخصية الاخرى . وتعد قائمة وودورث (Woodworth) من اشهر المقاييس الشخصية التي طورت آنذاك لتحديد السمات السيكاتيرية المرتبطة بالاعراض العصابية .

كما جرى تطوير اختبارات اخرى للشخصية لا تستند في الاجابة عن فقراتها الى اساليب التقييم الذاتي ، لا بل تعتمد على آراء وتقييمات محكمين خارجيين ، وكان من اشهرها اختبار بيركس للشخصية .

وكنتيجة لنجاح حركة القياس النفسي في القوات المسلحة الامريكية ، تنبهت العديد من دول العالم الى هذا الجانب . وعمدت بعض الدول مثل بريطانيا وفرنسا وايطاليا والمانيا وغيرها في توظيف مبادئ القياس النفسي في قواتها المسلحة . ففي المانيا جرى استخدام القياس النفسي في عدد من المسائل تتمثل في (فرج وعطيه ، 1987) :

اولاً : قياس القدرات العقليه لدى المجندين مثل الذكاء والقدرة على التجريد والتصميم من خلال تطبيق اختبارات الذكاء أو عرض افلام سينمائية على المجندين لقياس قدرتهم على الملاحظة والتخيل ، او تعريضهم الى بعض المشاكل والمواقف للبحث عن حلول مناسبة لها .

ثانياً : قياس قدرات مثل الانتباه وسرعة التعلم والإدراك وسرعة الاداء والمثابرة من خلال تطبيق بعض الاختبارات الخاصة بذلك .

ثالثاً : قياس بعض السمات الشخصية مثل المزاج ، والقابلية للتعب ، والتقلب والضبط الانفعالي ومواجهة المواقف الطارئة أو المفاجئة من خلال استخدام بعض الاختبارات الشخصية والاختبارات الاسقاطية .

رابعاً : استخدام آلات تصوير خاصة لملاحظة التعابير الوجهية اثناء تنفيذ بعض المهمات مثل الاجابة عن بعض الاختبارات او الانشغال في المناقشات او التعرض للمواقف المفاجئة . كما جرى تحليل اساليب الافراد في التعبير اللفظي والكتابي للاستدلال على السمات الشخصية لدى الافراد .

خامساً : وظّف الالمان اسلوب دراسة تاريخ الحالة للافراد بهدف جمع المعلومات المهمة والمتعلقة بظروف نموهم واهدافهم وطموحاتهم وتفضيلاتهم والظروف الاجتماعية التي نشأوا فيها ، في سبيل تكوين صورة واقعية واضحة عن خصائص الافراد وشخصياتهم .

أهمية دراسة الفروق الفردية في القوات المسلحة:

نظراً لحساسية اهداف القوات المسلحة وطبيعة المهام التي تضطلع بها اوقات الحرب والسلم وعلى الصعيدين العسكري والمدني ، فإن عمليات الانتقاء للمجندين وتوزيعهم على المهام والادوار المختلفة تشكل عنصراً مفصلياً وحاسماً في نجاح مجتمع القوات المسلحة على تحقيق الاهداف والغايات التي يصبو اليها . ومن هنا ، نجد ان مسألة الفروق الفردية في السمات

والخصائص التي يتمتع بها الافراد تشكل احد المحكات الرئيسة التي يجب مراعاتها في عمليات الانتقاء والتوزيع لافراد القوات المسلحة .

وحتى تكون عملية الاختيار للافراد وتوزيعهم على المهن والادوار والقطاعات العسكرية المختلفة فعالة ، فإن تحديد الفروق الفردية في الخصائص والسمات لدى الافراد يعد غير كافٍ ، اذ بالمقابل يتطلب الامر تحليل طبيعة الادوار والمهمات العسكرية وتحديد متطلباتها الرئيسة وذلك كي يتسنى وضع الافراد في الامكنة المناسبة . ويتم عادة تحليل المهمات العسكرية من خلال ملاحظة الاعمال المختلفة للقوات المسلحة لتحديد طبيعتها ومتطلباتها والواجبات والمسؤوليات المرتبطة بها بالاضافة الى طبيعة القدرات والاستعدادات المناسبة لها . كما يمكن تحليل الاعمال العسكرية من خلال المقابلات التي تتم بين الاخصائي المسؤول على تحليل المهمات العسكرية والافراد المكلفين بالقيام بمثل هذه المهمات وذلك في سبيل الحصول على بعض التفاصيل المرتبطة بمثل هذه المهام .

وعموماً فإن دراسة الفروق الفردية يمكن ان تخدم العديد من مجالات القوات المسلحة والتي تتمثل بالآتي (فرج وعطيه ، 1987) :

أولاً : عمليات التدريب :

إن عملية تحديد الفروق الفردية من شأنها ان تساعد في اعداد برامج التدريب المناسبة تبعاً للاختلافات الجسمية والعقلية والانفعالية والحركية الموجودة بين الافراد . وهذا بالطبع يعني ان اجراءات برامج التدريب ونوعيتها تتباين تبعاً لاختلاف مستويات السمات المقاسة لدى الافراد والمراد تطويرها لديهم . وهكذا فإن ساعات التدريب على المهارات والمهمات العسكرية تتباين ايضاً وفقاً للمستويات المختلفة من السمات والقدرات والمؤهلات . وخلاصة القول ان تحديد الفروق الفردية لدى أفراد القوات المسلحة من شأنه ان يساهم في تسهيل تقسيم هؤلاء الافراد الى مجموعات في ضوء مدى امتلاكهم لسمات او مؤهلات او قدرات معينة والتي على اساسها تتحدد اجراءات ومواد برامج التدريب المناسبة وعدد الساعات اللازمة للتدريب في كل مستوى من هذه المستويات .

ثانياً : توزيع الافراد على المهن والمهمات العسكرية :

إن تحديد الفروق الفردية من شأنه ان يساهم الى درجة كبيرة في الاقتصاد بالقوى البشرية ، ويتمثل ذلك في وضع الرجل المناسب في المكان المناسب . فالمهن والوظائف المختلفة في القوات المسلحة ليست جميعها عسكرية الطابع ، وهي تتباين ايضاً في مطالبها

والقدرات اللازمة لادائها . وعليه فإن عملية ملائمة مطالب المهن والوظائف العسكرية مع الخصائص والسمات المتوفرة لدى الافراد من شأنها ان تؤدي الى تنفيذ هذه المهن على الوجه الامثل . وتسهم عملية المواءمة هذه كذلك في الاقتصاد في التكاليف المادية والاختصار في الوقت والجهد وتوفر ايضا اجراءات التدريب اللازمة لاعداد الافراد للقيام بأعباء تلك المهن والوظائف .

ثالثاً :رفع الروح المعنوية :

ان توزيع الافراد على المهن والوظائف المختلفة التي تتناسب مع قدراتهم واستعداداتهم وميولهم من شأنه ان يسهم في اثارة الدافعية لديهم للعمل والمثابرة وتحقيق النجاح . فعندما يجد هؤلاء الجنود انهم يمارسون الاعمال والمهن التي تتناسب مع قدراتهم ومؤهلاتهم ، فإن ذلك ينعكس في مستوى النجاح الذي يحققونه ، وهذا بالتالي يعزز مفهوم الذات ويعمل على رفع الروح المعنوية لديهم .

رابعاً : رفع مستوى الكفاءة القتالية للوحدات :

ان عملية تحديد المستويات المختلفة من الخصائص والقدرات والسمات لدى الافراد تُمكّن من الاستفادة من هذه الخصائص في التخصصات المختلفة وكذلك في برامج الاعداد والتدريب الفعالة . وهذا بالتالي ينعكس في المهارات والقدرات الفنية للافراد وفي كفاءتهم القتالية .

مجالات القياس النفسي في القوات المسلحة:

يستخدم القياس النفسي في القوات المسلحة لتحديد الفروق الفردية بين الافراد في عدد من المجالات تتمثل بالآتي :

أولاً : القدرات :

تشمل القدرات ما يلي :

(أ) القدرة الذكائية :

يمكن النظر الى الذكاء على انه قدرة اجمالية تتبدى في عدد من العمليات والقدرات مثل :

- القدرة على التعلم والاكتساب .
- القدرة على حل المشكلات .
- القدرة على التكيف النفسي والاجتماعي .
- القدرة على التفكير المجرد .

ومثل هذه القدرات يمكن التعرف عليها من خلال قياس قدرات نوعية تتمثل بـ :

أ-الطلاقة اللفظية : وتتمثل في قدرة الفرد على اعطاء مفردات ضمن مواصفات معينة .

ب-الفهم اللغوي : ويتمثل في قدرة الفرد على ادراك المعاني للمفردات والجمل بالاضافة الى قدرات الاستدلال اللفظي .

جـ-القدرة العددية : وتتمثل في سرعة ودقة اجراء العمليات الحسابية .

د-القدرة المكانية : وتتمثل في القدرة على ادراك العلاقات الهندسية والمكانية والفراغية .

هـ-الذاكرة الارتباطية : وتتمثل في ادراك العلاقات الثنائية بين المفردات او الاعداد .

و- القدرة الاستدلالية : وتتمثل في استخدام قواعد الاستقراء للوصول الى قاعدة عامة من خلال مجموعة اجزاء ؛ واستخدام قواعد الاستنتاج كذلك لاشتقاق معلومات جزئية من قاعدة او مبدأ عام .

ز-القدرة الادراكية : وتتمثل في السرعة والمهارة في التعرف على الاشكال المختلفة وتحديد اوجه الشبه والاختلاف بينها .

ح- القدرة الميكانيكية : وتتمثل في القدرة على التعامل مع الاشياء المادية واداء المهارات والمهمات الحركية على نحو يمتاز بالمهارة والدقة .

ط-القدرة الرياضية : وتتمثل في قدرات اجراء العمليات الرياضية مثل حل المسائل الجبرية والهندسية الصعبة والمعقدة .

هناك العديد من اختبارات الذكاء المعروفة التي يمكن استخدامها لقياس القدرات الذكائية لدى افراد القوات المسلحة ، ومثل هذه الاختبارات بعضها جماعي ، اي يمكن تطبيقها على مجموعة من الافراد بالوقت نفسه ، في حين بعضها الآخر فردي تتطلب ادارتها شخصاً واحداً فقط .

وفيما يتعلق بكيفية الاستجابة لمثل هذه الاختبارات ، فإن البعض منها يتطلب استجابات لفظية او كتابية ، في حين يتطلب بعضها الآخر استجابات اجرائية عملية . ومن الامثلة على اختبارات الذكاء الاكثر شيوعاً واستعمالا ما يلي :

1-اختبار ستانفورد -بينه للذكاء

وهو نسخة معدلة ومطوّرة لاختبار الذكاء الذي قام بوضعه عالم النفس الفرنسي بينه (Binet) عام 1905 . فقد عمل عالم النفس الامريكي تيرمان "Terman" على تطوير هذا الاختبار عام 1937 حيث حذف بعض الفقرات في الاختبار الاصلي وأضاف إليه فقرات جديدة

ويتألف هذا الاختبار من (59) فقرة مرتبة حسب درجة صعوبتها ، وكل مجموعة من هذه الفقرات تناسب مستوى عمري معين . تتطلب بعض الفقرات استجابات ادائية عملية ، في حين بعضها الآخر يتطلب استجابات لفظية او كتابية . ويتم تحديد درجة ذكاء الفرد (IQ) على هذا الاختبار وفقاً للمعادلة التالية :

$$\text{درجة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}^{(*)}}{\text{العمر الزمني}} \times 100\%$$

ويصنف هذا الاختبار من ضمن الاختبارات الفردية ، اذ يتطلب تقديمه لمفحوص واحد فقط ويحتاج الى شخص خبير ومدرب لادارته وتصحيحه .

2-مقياس وكسلر للذكاء

صمم هذا المقياس من قبل عالم النفس الامريكي ديفيد وكسلر (Wecksler) عام 1939 ، وقد جرى لاحقاً تطوير ثلاث نسخ من هذا الاختبار و هي (Anastasi, 1988) :

أ- اختبار الذكاء للراشدين "WAIS-R" .

ب- اختبار الذكاء لطلبة المدارس "WAIC-R" .

جـ-اختبار الذكاء لمرحلة ما قبل المدرسة "WPPSI" .

يعد اختبار وكسلر لذكاء الراشدين من الاختبارات الفردية يقدم للمفحوصين على نحو فردي ويشتمل على جزئين ؛ احدهما لفظي يشتمل على ستة اختبارات فرعية تقيس قدرات الفهم العام ، والمعلومات العامة والاستدلال الحسابي والمتشابهات والمفردات واعادة الارقام ، أما القسم الآخر فهو ادائي ويتضمن خمسة اختبارات فرعية تقيس قدرات مثل رموز الارقام ، وتكميل الصور ، ورسوم المكعبات ، وتجميع الاشياء وترتيب الصور .

توجد لهذا الاختبار تعليمات محدده فيما يتعلق بأدارته وتصحيحه وتفسير نتائجه ، ويوجد وزن محدد من الدرجات للاختبارات الفرعيه التي يشتمل عليها . وتحدد درجة ذكاء الفرد وفق اسس معياريه ؛ أي من خلال مقارنة اداء الفرد على كل اختبار فرعي مع متوسط اداء مجموعة معيارية على هذا الاختبار ؛ اي عينه ممثله من الافراد ينتمون الى نفس الفئه العمرية . كما ويمكن تحديد الدرجة الكليه لذكاء الفرد على فقرات هذا الاختبار جميعها في ضوء مقارنة اداء الفرد على هذه الفقرات مع اداء المجموعة المعياريه .

(*) العمر العقلي : يتم تحديده في ضوء عدد الاسئلة التي يستطيع المفحوص إجابتها بشكل صحيح ، حيث يعطى المفحوص وزناً من الشهور لكل سؤال يستطيع اجابته بشكل صحيح .

(ب)قدرات أخرى :

بالإضافة الى تحديد الفروق الفردية لدى أفراد القوات المسلحة على القدرة الذكائية ، هناك قدرات اخرى يمكن قياسها لدى هؤلاء الافراد للوقوف على مدى امتلاكهم لها ، وتشمل هذه القدرات ما يلي :

أ- **القدرة على توجيه الانتباه** : وتتمثل في قياس قدرة افراد القوات المسلحة على توجيه الانتباه نحو مهمة ما والتركيز عليها . وتتضمن هذه القدرة ايضاً قياس المدى الزمني الذي يستمر فيه الفرد على حصر انتباهه في مهمة ما .

وتقاس هذه القدرة من خلال استخدام جهاز يعرف باسم «التاكستو سكوب» ويتم من خلاله عرض مجموعة بطاقات مرسوم عليها نقط سوداء او دوائر مختلفة العدد . ويصار الى عرض هذه البطاقات واحدة تلو الاخرى على المفحوص ولفترة قصيرة جداً ، ويطلب منه ان يذكر او يسجل عدد الدوائر او النقاط التي يراها بعد تعرضه لكل بطاقه . ويتكرر اجراء مثل هذه التجربة لعدد من المرات ثم يصار إلى مقارنة اداء الفرد على هذه المرات (فرج وعطيه ، 1987) .

ب- **قوة اليدين** : وتتمثل في قياس قدرة افراد القوات المسلحة على استخدام اليدين في الاعمال التي تتطلب الدقة والسرعة والقوة مثل تثبيت الاشياء او جذبها او قطعها او رميها او هزها او رفعها .

جـ-**التآزر الحس - حركي** : وتتمثل في القدرة على التنسيق بين الجوانب الحسية والاداء العضلي او الحركي اثناء تنفيذ مهمة ما . وتشمل التآزر الحس- حركي اثناء الرماية نحو الاهداف الثابتة والمتحركة ، وتقدير المسافة والركض ، والقفز فوق الحواجز ، والدوران وغيرها من المظاهر المختلفة .

د- **القدرة على أداء الاعمال الدقيقة والعامة** : وتتمثل في قدرة الفرد على اداء الاعمال الميكانيكية الدقيقة التي تتطلب التآزر الحس- حركي والدقة والمهارة وتركيز الانتباه وضبط حركة اليدين والاصابع ، بالاضافة الى الاعمال العامة التي تتطلب التحمل الجسمي .

هـ-**القدرات الحسية** : وتتمثل في قياس القدرات الحسية المختلفة لدى افراد القوات المسلحة وتشمل القدرات الحسية البصرية والسمعية والشمية والذوقية واللمسية . علماً ان اكثر الحواس التي تحظى بالاهتمام هي القدرات الحسية البصرية والسمعية . وفيما يلي عرض لبعض الجوانب الحسية التي يتم قياسها لدى أفراد القوات المسلحة :

1- حدة الابصار : وتتمثل في قدرة الافراد على تكييف عملية الابصار والقدرة على تمييز الاشياء والاهداف والمعدات . كما تشتمل هذه القدرة على تكييف عملية الابصار الليلي على نحو يمكن الفرد من تنفيذ المهام الليلية مثل التحرك الليلي ، وقيادة السيارات دون الاضاءة ، وتمييز المواقع والاهداف واستخدام المعدات .

2- سرعة الادراك البصري : وتتمثل في سرعة ودقة الملاحظة وتمييز الاشياء التي تتطلب الادراك الفوري . ومثل هذه القدرة ضرورية للعاملين في مجالات الاستطلاع والرصد واعمال الرادار واستخدام الاسلحة المضادة للطائرات .

3- تمييز الالوان : وتتمثل في الكشف عن عمى الالوان الذي يمكن ان يوجد لدى بعض افراد القوات المسلحة . بالاضافة الى قياس قدرة الافراد على التمييز بين الالوان وتحديد الاجسام المموهة .

4- مدى الابصار : ويتمثل في قياس المجال البصري لدى افراد القوات المسلحة والكشف عن قدراتهم على تحديد اكبر عدد ممكن من الاشياء ضمن مدى بصري معين . فمن المعروف ان الافراد يتفاوتون في هذه القدرة ، فالبعض منهم يستطيع الالتقاط البصري للعديد من الاشياء بمجرد النظر ضمن مدى معين ، في حين هناك من يحتاج الى التركيز والتحديق حتى يتمكن من التقاط الاشياء بصرياً والتعرف عليها (فرج وعطيه ، 1987) .

5- القدرات السمعية : وتتمثل في قياس الفروق الفردية بين افراد القوات المسلحة من حيث قدرتهم السمعية في عدد من الجوانب تتمثل في :

أ) حدة السمع : وتتمثل في القدرة على التقاط الاصوات الخافتة وتمييزها .

ب) سرعة الادراك السمعي : وتتمثل في سرعة ادراك المعاني المتضمنة في العبارات والاصوات الكلامية .

ج) التمييز بين الاصوات : وتتمثل في القدرة على التفريق بين الاصوات البشرية والاصوات الناتجة عن الاشياء الاخرى ، بالاضافة الى القدرة على التمييز بين طبيعة الاشياء التي تصدر عنها الاصوات المختلفة مثل المدافع والدبابات والاسلحة والطائرات والمعدات العسكرية الاخرى .

د) الادراك السمعي : وتتمثل في القدرة على ادراك المعاني والاصوات اثناء عمليات الصخب او التشويش .

ثانياً : الجوانب الشخصية (المزاجية والانفعالية) :

كما هو الحال في القدرات العقلية والجسمية ، فإن هناك فروقاً فردية توجد في الجوانب المزاجية والانفعالية لدى افراد القوات المسلحة . ومثل هذه الفروق تستدعي الكشف عنها من اجل التعرف على السمات الشخصية والاستعدادات والميول والاتجاهات والمشكلات العاطفية والاضطرابات الانفعالية لدى افراد القوات المسلحة .

إن التعرف على المظاهر والسمات الشخصية لدى افراد القوات المسلحة من شأنه ان يخدم العديد من الاهداف سواء في مجال عمليات التدريب ، او في عمليات توزيع الافراد على المهام العسكرية المختلفة ، او في مجال تحفيز الافراد واثارة دافعيتهم ، او في مجال الارشاد والتوجيه النفسي والمهني .

هناك العديد من الاختبارات والمقاييس التي يمكن استخدامها لتحديد السمات الشخصية المختلفة لدى افراد القوات المسلحة ، وتتباين هذه المقاييس فيما بينها اعتماداً على طبيعة الغرض الذي صممت من اجله . فبعض الاختبارات تهدف الى اعطاء صورة اجمالية عن الشخصية ، في حين بعضها الآخر يسعى الى الكشف عن سمات او ابعاد شخصية معينة . وعموماً فإن اختبارات الشخصية تتطلب خبراء مدربين في ادارتها ورصد وتفسير نتائجها توخياً للدقة والموضوعية وتجنباً للتحيز الشخصي الذاتي .

لقد استخدم علماء النفس العديد من الادوات للكشف عن مظاهر الشخصية وابعادها وسماتها والاضطرابات التي تصيبها مثل المقابلات والملاحظات وادوات التقدير والاختبارات والمقاييس ، ويمكن تقسيم وسائل تقدير الشخصية الى الاساليب التالية :

1- **الاختبارات الموضوعية** : وتتمثل في ادوات او مقاييس التقدير الذاتي التي تشتمل على عدد من الفقرات التي تتطلب من المفحوص الاجابة عنها بطريقة ما مثل : صح او خطأ ، او تحديد مدى انسجام السمة الشخصية ووجودها مثل : تنطبق بشدة او تنطبق بدرجة ما ، او لا تنطبق .

2- **الاساليب الاسقاطية** : وهي الادوات التي تترك للمفحوص الحرية في التعبير عن بعض المواقف والمثيرات الغامضة لتحديد المشاعر والحاجات والرغبات التي يسقطها المفحوص على هذه المثيرات . وتشمل هذه الاساليب ما يلي :

أ- **الاساليب البنائية** : وفي هذه الاساليب يطلب من المفحوص تكوين قصة معينة من خلال مجموعة صور تعطى له مثل اختبار تكوين القصص المصور لشيدمان "Sheidman" ، او تنظيم مواد محددة الحجم مثل اختبار مجموعة اللعب

لدريسكول "Driscol" . فمن خلال القصص او الالعاب التي يكونها المفحوص يتم تحليل خصائصه الشخصية .

ب-**الاساليب التفسيرية** : وهي الاساليب التي يطلب فيها من المفحوص اعطاء تفسير لبعض المواقف او المثيرات ، ومن الامثلة عليها اختبار تفهم الموضوع .T.A.T .

جـ- **الاساليب التفريغية او التطهيرية** : وهي الاساليب التي تشجع المفحوص على استعادة الخبرات السابقة والتعبير عن انفعالاته من خلال اللعب العلاجي او عمل الدمى وتحطيمها او تشويهها مثل اختبار ليفي الاسقاطي (Levy Test) .

د-**الاساليب التحريفية** : وهي الاساليب التي يطلب فيها من المفحوص التعبير الكلامي او الكتابي حول موضوع معين بهدف الكشف عن التحريف او التغيير الذي يحدث لديه .

3- **مقاييس التقدير** : وهي المقاييس التي يطلب فيها من شخص خبير تقدير الخصائص الشخصية لفرد ما وفقاً لابعاد معينة .

ومهما يكن من امر ، فيمكن القول ان ادوات قياس الشخصية متعددة ومتباينة يصعب الاحاطة بها جميعاً هنا ، ومن الامثلة على هذه الاختبارات والمقاييس ما يلي :

1-اختبار كاتل للشخصية .

2-بطارية منيسوتا متعددة الاوجه للشخصية .

3-اختبار ايزنك للشخصية .

4-مقاييس رويتر لمركز الضبط .

5-اختبارات ستروخ- وكودر للشخصية .

6-الاختبارات الاسقاطية مثل :

أ- اختبارات تفهم الموضوع .T.A.T .

ب-اختبارات بقع الحبر- الرورشاخ .

جـ-اختبار ليفي الاسقاطي .

د-اختبار تكوين القصص لشيدمان .

هـ- اختبار مجموعة اللعب لدريسكول .

ثالثاً : الاستعدادات :

يمكن النظر الى الاستعداد على انه حالة من التهيؤ النفسي او القابلية التي من شأنها أن تمكن الفرد على النجاح في مهمة ما . هناك تفاوت بين افراد القوات المسلحة من حيث درجة التهيؤ النفسي والقابلية والاستعداد نحو تحقيق النجاح في مهمات مختلفة مثل التعلم او اداء الادوار والاعمال العسكرية المتعددة ، الامر الذي يستلزم الكشف عن هذه الاستعدادات للاستفادة من ذلك في عمليات التوجيه والتدريب والتعليم . وللكشف عن الاستعدادات المختلفة لدى افراد القوات المسلحة ، يمكن الاستعانة بعدد من الاختبارات الخاصة بذلك مثل :

أ-**الاختبارات الاستعدادية** : وتستخدم مثل هذه الاختبارات من اجل التنبؤ بنجاح أو فشل الافراد في اداء مهمة ما مثل الرماية أو القيادة أو استخدام المعدات الالكترونية ، أو الادارة المالية او غيرها من المهمات والوظائف العسكرية الاخرى .

ب- **اختبارات الاستعداد الخاصة** : وتستخدم مثل هذه الاختبارات للكشف عن قابليات الافراد نحو اداء بعض الاعمال الميكانيكية واللغوية والحركية .

جـ- **اختبارات التحصيل** : وتستخدم مثل هذه الاختبارات للكشف عن وجود خبرات ومعارف سابقة لدى افراد القوات في مواضيع معرفية معينة مثل : العلوم واللغة والتاريخ والجغرافيا وغيرها ، والتي يمكن الاستفادة منها في احداث تعلم مواد او مواضيع جديدة لدى هؤلاء الافراد .

8

الفصل الثامن

التكيف والصحة النفسية لأفراد القوات المسلحة

مقدمة:

عندما ينضم الأفراد الى مجتمع القوات المسلحة سرعان ما يكتشفون انهم اصبحوا رهن تنظيم جديد مخالف لما اعتادوا عليه في حياتهم المدنية . فالمجتمع العسكري يتميز عن سائر المجتمعات المدنية الاخرى في العديد من المظاهر بعضها يرتبط بالبنية التنظيمية المعقدة لهذا المجتمع ، والبعض الآخر يرتبط بطبيعة المهام والأدوار التي يفترض من الافراد القيام بها ، في حين البعض الآخر يتعلق بالهدف الرئيس الكامن وراء وجود مجتمع القوات المسلحة .

ترتبط القوات المسلحة بمفهوم السيادة الوطنية ، فهي تعمل من خلال شبكة من القوانين والأنظمة على تأمين حماية النظام السائد من أية تهديدات داخلية او خارجية بالوقت الذي تسعى فيه ايضاً الى حماية امن وسلامة المجتمع والأفراد . فهي بالتالي تمثل الاداة الامنية التي يعتمد عليها المجتمع الاب في تحقيق الامن والاستقرار وفي مواجهة كافة اشكال التهديد التي تزعزع امنه وسلامته .

ومن هذا المنطلق ، فالمجتمع العسكري يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمثل والقيم والمبادئ العليا للأمة والتي يفترض منه حمايتها وصيانتها والعمل على ترسيخها في سبيل استمرار بقاء المجتمع متماسكاً وقوياً . وهذا بالطبع يتطلب وجود مجموعة من القوانين والأنظمة واللوائح لتنظيم طبيعة العلاقات الرأسية والافقية داخل المؤسسة العسكرية ، وتنظيم الأدوار والمهام ، وتوجيه الجهود الجماعية والفردية نحو تحقيق الاهداف العامة وتعزيز الانتماء والولاء لدى الافراد نحو هذه المؤسسة .

إن طبيعة المجتمعات العسكرية تفرض على الافراد العديد من المطالب التي تنظم الأنماط السلوكية لديهم وتعمل على توجيهها ، ومثل هذه المطالب تشكل بحد ذاتها مصادر محتملة لتوليد الضغوط النفسية لدى افراد القوات المسحلة ، والتي من شأنها أن تؤدي بهم الى سوء التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي . هذا ويمكن ان تبرز هذه المطالب في المظاهر التالية :

اولاً : يتطلب المجتمع العسكري من افراده ضرورة التقيد بقواعد الضبط والربط العسكري والالتزام بالمعايير والمثل واللوائح والأنظمة المعمول بها داخل المؤسسة العسكرية ، وتغليب المصالح العامة على المصالح والدوافع الشخصية . وهذا يعني بالضرورة الطاعة والالتزام دون أية ارادة او اختيار من قبل افراد القوات المسلحة ، الامر الذي يترتب عليه تضييق مساحة الحرية

التي يسمح لهم التحرك في ضوءها ، مما ينتج عنه شعور بالضيق والتوتر ينعكس بالتالي في انماط التكيف النفسي لديهم .

ثانياً : ان الكثير من المهام والأدوار العسكرية لا تحتمل التأخير أو التأجيل أو الاهمال لأن التأخير في ادائها أو الاهمال في تنفيذها قد ينطوي على مخاطر جمة تلحق بالمجتمع والمؤسسة العسكرية وحتى الافراد العاملين فيها . بالإضافة الى ذلك هنالك العديد من المهام والوظائف العسكرية تشتمل على جوانب الخطر مثل الرماية واستخدام الاسلحة وادارة النيران وتجهيز المعدات العسكرية والتعامل مع المواد الكيماوية والمواد السامة ، الامر الذي يستدعي من الافراد توخي الحذر والحيطة والدقة في اداء مثل هذه المهام . ولما كانت جميع الوظائف والمهام العسكرية تعنى بالدرجة الأولى في امن وسلامة المجتمع والمؤسسة العسكرية ، فإن التباطؤ او الاهمال في تنفيذها لا يلقى اي تساهل او تسامح من قبل القائمين على تنفيذ الانظمة واللوائح العسكرية .

وغالباً ما يتعرض الافراد الى طائلة العقوبات الشديدة . وعليه ، نجد ان افراد القوات المسلحة يعملون دائماً تحت ظروف الضغط والتوتر النفسي ، الامر الذي ينعكس سلباً في اساليب تكيفهم وتوافقهم النفسي .

ثالثاً : تفرض الخدمة العسكرية على الافراد معايير صارمة تتمثل في الكتمان والسرية وعدم تسريب اية معلومات عسكرية او التعامل مع جهات او مؤسسات اخرى ولا سيما المشبوهة منها او حتى العمل في القطاع المدني اثناء الخدمة . وهذا الأمر يشكل مصدر توتر وتهديد للعسكريين لانه دائماً يتطلب منهم اقصى درجات الحذر والحيطة في كل افعالهم واقوالهم وتفاعلاتهم سواء داخل المؤسسة العسكرية او خارجها .

رابعاً : تفرض الطبيعة التنظيمية للقوات المسلحة قيوداً على اشكال التفاعل والتواصل الاجتماعي داخل المؤسسة العسكرية .

فالتنظيم الهرمي للقوات المسلحة يستدعي من العسكريين طاعة واحترام من يحتلون المراكز العليا ، وأولئك الذين يسبقونهم في الخدمة العسكرية بفضل الاقدمية . وهذا يعني ان افراد القوات المسلحة ليسوا احراراً في عمليات التفاعل والتواصل الاجتماعي داخل المؤسسة العسكرية مما يترتب عليه الشعور بالحرج والخوف والاحباط والارباك ، وهي متغيرات ذات تأثير بالغ في عمليات التوافق النفسي .

خامساً : تزداد الاعباء وتكثر المسؤوليات وتصبح الحاجة ملحة لتنفيذ الادوار والمهام العسكرية بدقة متناهية ولا سيما في اوقات الازمات والكوارث والحروب . ففي اوقات الحروب

يتطلب الامر من افراد القوات المسلحة العمل تحت مختلف الظروف الجغرافية والمناخية في اثناء الليل والنهار وتحت ضغط كثافة النيران والقصف وهجمات العدو وضرباته . ومثل هذه الظروف لا تهدد كيان المجتمع أو المؤسسة العسكرية فحسب ، لا بل تطال حياة الافراد العسكريين مما ينتج عنه حالة من الخوف والهلع والارهاب لديهم خوفاً على حياتهم ومستقبل عائلاتهم وأمن مجتمعهم الذي يعيشون فيه . وعليه ، فإن اعداد الافراد وتدريبهم على مثل هذه الظروف ولا سيما اجواء المعارك يعد من الحاجات الضرورية التي تساعدهم على التكيف والاستقرار النفسي .

سادساً : من المعروف ان لدى الأفراد دوافع وحاجات بعضها أولي يتمثل في حاجات الجوع والعطش والحفاظ على درجة حرارة الجسم وسلامته بالاضافة الى التخلص من الفضلات ، والبعض الآخر ثانوي متعلم يتمثل في حاجات الانتماء والحب والنجاح والتعلم والأمن والتفوق والتقدير . ونظراً لخصوصية المؤسسة العسكرية فإن تحقيق مثل هذه الحاجات ربما يصطدم كثيراً مع مطالبها ، وقد لا يستطيع الافراد اشباعها بالوقت والاسلوب الذي يريدونه . كما أن للافراد اهدافاً خاصة يسعون الى تحقيقها ومثل هذه الأهداف قد تتعارض مع الأهداف العامة للقوات المسلحة ، الامر الذي ينتج عنه نشوء حالة من الاحباط والصراع وعدم التكيف النفسي .

في ضوء ما سبق ، نلاحظ ان الانتقال من الحياة المدنية الى الحياة العسكرية ينطوي على العديد من المطالب والمسلتزمات التي تتطلب احداث تغيير جذري لدى الافراد في العديد من المظاهر النفسية والانماط السلوكية . وهذا الوضع ربما ينطوي بالتالي على الكثير من الصعوبات والمشكلات النفسية لدى هؤلاء الافراد تتمخض في سوء التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي داخل المؤسسة العسكرية ، وظهور بعض الاضطرابات الانفعالية والشخصية لديهم .

وهذا بلا شك يستوجب بالتالي ضرورة اعداد برامج التدريب والارشاد المناسبة من اجل تهيئة الافراد وتعويدهم على مطالب الحياة العسكرية .

مفهوم التكيف النفسي Self Adaptation:

ترجع جذور مفهوم التكيف النفسي الى علم الاحياء «البيولوجيا» حيث استخدم هذا المفهوم في علوم الاحياء للإشارة الى عمليات التعديل والتغيير التي تحدث لدى الكائنات الحية استجابة لمطالب البيئة التي تعيش فيها . وتحديداً فإن هذا المفهوم استخدم في علوم البيولوجيا تحت مسمى التوافق او التلاؤم "Adaptation" ، وقد شكل حجر الاساس في

نظرية داروين حول النشوء والارتقاء «الانتقاء الطبيعي والبقاء للأصلح» ؛ اذ أكد على أن بعض الكائنات الحية حتى تستمر في البقاء اضطرت الى احداث تغيير في انظمتها الجسمية وانماطها السلوكية للتلاؤم مع مطالب البيئة التي تعيش فيها .

اما في مجال علم النفس ، فقد استخدم هذا المفهوم تحت مسمى التكيف "Adjustment" ويشير الى عمليات التغيير والتعديل التي تطرأ على الانماط السلوكية لدى الانسان بغية التوافق مع البيئة المادية والاجتماعية (عبدالله ، 2001) .

فالإنسان قد يعمل على تغيير الانماط السلوكية الموجودة لديه ويعمل على تعديلها او يضطر الى تعلم انماط سلوكية جديدة بهدف اشباع دوافعه وحاجاته او التكيف مع المتغيرات التي تطرأ في البيئة التي يعيش فيها . فنجد على سبيل المثال ، ان الانسان عندما يشعر بالجوع سرعان ما يبدأ بالبحث عن الغذاء لاشباع هذه الحاجة ، كما انه سرعان ما يبحث عن الدفء عندما يشعر بالبرد . وفي حال عدم توفر الطعام او مصدر الدفء فهو يعمل على ابتكار او تعلم وسائل جديدة لتخليصه من حالة التوتر الناتجة بفعل الجوع او البرد . من جهة اخرى ، ربما يعمل الانسان احياناً على تغيير الظروف البيئية لتحقيق التكيف ، اذ ان لدى الانسان القدرة الكافية على ضبط العديد من المظاهر البيئية والسيطرة عليها . فالفرد عندما يشعر بوجود عوائق تقف امام تحقيق اهدافه او اشباع حاجاته ، ربما يعمل جاهداً على ازالة هذه العوائق بغية تحقيق التكيف .

يرتبط مفهوم التكيف النفسي بالدوافع والحاجات الانسانية . فمن المعروف ان لدى الانسان مجموعتين من الدوافع ، احداهما تعرف بدوافع البقاء والحفاظ على النوع وهي فطرية غير متعلمة وتعرف باسم الدوافع الاولية ، وهي الجوع والعطش والتخلص من الفضلات والحفاظ على سلامة الجسم ، والحفاظ على درجة حرارته والتلخص من الالم والتعب والحاجة للنوم ، والاخرى تعرف باسم الدوافع الثانوية وهي مكتسبة عبر عمليات التنشئة الاجتماعية وتشمل حاجة الأمن والحب والانتماء والتعلم والتقدير والانجاز والسيطرة والتفوق وتحقيق الذات ، ومثل هذه الدوافع تشكل بحد ذاتها اهدافاً يسعى الفرد الى تحقيقها اثناء تفاعلاته الحياتية .

يعرّف الدافع على انه حالة توتر داخلية ينتج عنها وضع من عدم التوازن الذي يعمل على استثارة سلوك ما لدى الفرد يوجه نحو الهدف (الباعث) الذي يشبع الدافع ويمده بالطاقة اللازمة حتى يتحقق خفض الدافع لدى الفرد . وانطلاقاً من ذلك ، فإن وجود الدافع لدى الفرد يخدم ثلاث وظائف هي :

أ- تحريك او توليد سلوك .

ب- توجيه هذا السلوك نحو المصدر الذي يشبع الدافع .

ج- الحفاظ على ديمومة السلوك وتزويده بالطاقة اللازمة حتى يتم خفض الدافع .

فعلى سبيل المثال ، عندما يشعر الفرد بالجوع ، نجد ان حالة الجوع هذه تخلق لديه حالة من عدم التوازن الداخلي يتولد عنها سلوك البحث عن الطعام ، ومثل هذه السلوك يوجه الى مصدر الحصول على الطعام مثل الذهاب الى المطعم او الدخول للمطبخ من اجل اعداد الطعام ، وهكذا فإن الفرد يستمر مثابراً على هذا السلوك المتمثل في اعداد الطعام وتناوله حتى يتحقق الاشباع او خفض دافع الجوع .

تعريف التكيف Adjustment:

يمكن النظر الى التكيف النفسي على انه العملية الديناميكية المستمرة التي يهدف الشخص من خلالها الى تغيير انماطه السلوكية بغية ايجاد علاقة توافق اكثر انسجاماً بينه وبين البيئة التي يعيش فيها (فهمي ، 1987) . كما يمكن تعريفه على انه مجموعة من ردود الفعل التي من خلالها يعدل الفرد بناءه النفسي والأنماط السلوكية لديه استجابة لمطالب وشروط البيئة المحيطة به (الرفاعي ، 1982) .

وهناك تعريف اكثر شمولية للتكيف يتمثل في اعتباره مجموعة الاستجابات و ردود الفعل التي يعدل بواسطتها الفرد الانماط السلوكية والتكوين النفسي لديه او يغير في الظروف البيئية المحيطة به على نحو يمكنه من اشباع حاجاته ودوافعه وتلبية مطالب الحياة المادية والاجتماعية وتحقيق الانسجام والتوافق النفسي والاجتماعي (عبد الله ، 2001) .

فمن خلال هذا التعريف يمكن اشتقاق عدد من الملاحظات حول التكيف النفسي تتمثل في الآتي :

1- هو بمثابة اجراء أو عملية تهدف الى اشباع الحاجات والدوافع أو التوافق مع الظروف المحيطة .

2- يتمثل الهدف النهائي له في تحقيق التوافق والاستقرار النفسي والتلاؤم الاجتماعي .

3- ينطوي على مفهوم التغيير والتعديل الذي قد يطال المحيط الداخلي أو المحيط الخارجي للفرد . يتألف المحيط الداخلي للفرد من البناء النفسي والجوانب الشخصية ممثلاً في الحاجات والدوافع والاهتمامات والاتجاهات والميول ، أما المحيط الخارجي فيشتمل على

البيئة الاجتماعية مثل الأسرة والمدرسة ودور العبادة والنوادي والجمعيات بما تتضمنه من قيم ونظم ومبادئ وعلاقات ، والبيئة المادية المتمثلة في الظروف المناخية والجغرافية والموجودات المادية المحسوسة في هذا العالم .

4- يرتبط مفهوم التكيف إلى درجة كبيرة بعملية التعلم ،إذ يضطر الفرد في الكثير من الاحيان إلى تعلم العديد من أنماط الفعل والانشطة السلوكية لمساعدته على تحقيق التكيف النفسي والاجتماعي .

بالإضافة الى ما سبق ، يمكن ان يمتد مفهوم التكيف ليشمل جوانب اخرى تتمثل في (رضوان ، 2002) :

أولاً : مواجهة الازمات والسيطرة على نتائجها او التحكم بعواملها واسبابها .

ثانياً : مواجهة الصراعات الداخلية التي قد تحدث بين الدوافع او الصراعات الداخلية الخارجية والمتمثل في التوفيق بين إلحاح الدوافع والمطالب الخارجية او العوائق التي تحول دون اشباعها .

ثالثاً : التعامل مع المواقف الجديدة او الطارئة او غير المألوفة والتلاؤم معها .

رابعاً : المفاضلة بين البدائل واختيار المناسب منها .

خامساً : مواجهة المشكلات والعمل على حلها والتخلص منها .

مضمون التكيف النفسي:

يمكن النظر الى مفهوم التكيف النفسي على انه عملية ونتيجة بالوقت نفسه . فهو عملية على اعتبار انه يتضمن مجموعة من الاجراءات والمحاولات السلوكية يلجأ اليها الفرد في محاولة منه لاشباع دوافعه وحاجاته أو تلبية مطالب الحياة المادية والاجتماعية وذلك بغرض تحقيق الأمن والاستقرار النفسي والاجتماعي . ومثل هذه العملية ربما تنطوي على احداث تغيير او تعديل في الحصيلة السلوكية لدى الفرد او اكتساب انماط سلوكية جديدة او انها تتضمن الحاق التغيير في الظروف البيئية المحيطة .

من جهة اخرى يعد التكيف انجازاً او نتيجة من حيث انه جيد ام سيئ ، مناسب ام غير مناسب ، فاذا نجح الفرد في اشباع حاجاته ودوافعه واستطاع التغلب على العوائق والصعوبات التي تقف امام تحقيق اهدافه وتلبية حاجاته ، عندها يشعر الفرد بالرضى والارتياح ويعد هذا مؤشراً للتكيف الحسن ودليلاً على الصحة النفسية . اما اذا فشل في ذلك فعندها يعد التكيف سيئاً ودليلاً على اعتلال الصحة النفسية لديه .

أبعاد عملية التكيف:

يأخذ التكيف النفسي ابعاداً متعددة تتمثل في الآتي :

اولاً : **التكيف الشخصي** : ويحدث مثل هذا النوع عندما يستطيع الفرد اشباع الدوافع الاولية لديه مثل الجوع والعطش والجنس والراحة والامومة والدفء والحفاظ على سلامة الجسم ، وكذلك في اشباع الدوافع الثانوية مثل الحب والتقدير والتعلم والأمن والتفوق والاستقلال والنجاح والانتماء . ومثل هذا النوع من التكيف يحدث ايضاً عندما ينجح الفرد في تحقيق السعادة مع النفس والرضى عنها ويستطيع حل المشكلات التي تواجهه ويكون على وعي تام لقدراته وامكاناته ومدى ملاءمتها للأهداف والطموحات التي يسعى الى تحقيقها .

ثانياً : **التكيف الاجتماعي** : ويحدث هذا النوع من التكيف عندما يتمكن الفرد من اقامة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين وينجح في تكوين الصداقات وفي عمليات التفاعل الاجتماعي المتعددة ، ويظهر هذا النوع من التكيف ايضاً عندما ينجح الفرد في تمثل القيم والمثل والعادات السائدة ويلتزم بالقوانين والانظمة المعمول بها في مجتمعه ، وعندما ينجح في مجالات الدراسة والزواج والعمل .

مظاهر سوء التكيف:

يتحقق التكيف الحسن عندما يستطيع الفرد التوفيق ما بين حاجاته ودوافعه ومطالب وحاجات البيئة المحيطة التي يعيش فيها بحيث ينجح في اشباع دوافعه ، الامر الذي يشعره بالسعادة والرضى النفسي وبالقبول والاستحسان الاجتماعي . ولكن في حال اخفاق الفرد في اشباع دوافعه وتحقيق اهدافه والاستجابة لمطالب البيئة فانه يشعر بالضيق وعدم الارتياح وينتج عن ذلك حالة من سوء التكيف تتبدى في مظاهر الاحباط والصراع والخوف والقلق والغضب والعدوان . وفيما يلي عرض لبعض هذه المظاهر :

أولاً: الإحباط Frustration:

يعرف الاحباط على أنه حالة انفعالية تترافق بنوع من التهديد والتوتر النفسي يمر بها الفرد حين يدرك بأن هناك عوائق تحول دون اشباع حاجاته ودوافعه او عندما يتوقع وجود مثل هذه العوائق في المستقبل .

ينطوي الموقف الاحباطي على ثلاثة عناصر رئيسة تتفاعل معاً وهي :

أ- الدافع او الحاجة التي تلح على الفرد من اجل الاشباع .

ب- الباعث وهو الموضوع الذي يشبع الدافع .

ج- العائق وهو المانع الذي يعيق اشباع الدافع .

واعتماداً على ذلك ، نجد ان الاحباط يرتبط الى درجة كبيرة بعملية الفشل والاخفاق في اشباع الدوافع والحاجات نتيجة وجود اسباب او عوائق تقف امام اشباعها . ويمكن تقسيم هذه الاسباب الى مجموعتين هما :

1- مجموعة الأسباب المرتبطة بالفرد :

تعرف هذه المجموعة بالعوائق داخلية المصدر وتتبدى في عدد من العيوب والنقائص النفسية والجسمية وتشمل :

أ- مجموعة العيوب الجسمية : مثل وجود العاهات وقبح المنظر وضعف البنية الجسمية ، بحيث تحول مثل هذه العيوب دون تحقيق الاهداف واشباع الدوافع . فالشخص الذي يرغب في الزواج من فتاة جميلة ربما قبح منظره يمنعه من ذلك مما ينجم عنه شعوره بالقنوط والاحباط ، كما ان الفرد الذي يسعى الى الحصول على وظيفة معينة قد لا يحصل عليها بسبب وجود عاهة بدنية لديه تحول دون ذلك ، وهذا يؤدي به الى الشعور باليأس والاحباط .

ان مثل هذه العيوب ليست ذات اهمية في مجال القوات المسلحة وذلك لأن الأفراد يخضعون لاختبارات اللياقة البدنية قبل التجنيد ، ولكن حدوثها لاحقاً اثناء الخدمة بسبب التعرض الى الحوادث او الاصابات اثناء الاعمال الحربية ربما يجعل منها عوامل محتملة لحدوث الاحباط لدى افراد القوات المسلحة .

ب- مجموعة العيوب العقلية : وتتمثل في ضعف قدرات الذكاء او القدرات العقلية الخاصة لدى الافراد التي تحول دون نجاحهم في تنفيذ العديد من المهمات . ان شعور الفرد وادراكه بأن قدراته العقلية لا تسمح له في تحقيق النجاح في اداء بعض الاعمال والادوار ربما يتولد عنه حالة من الشعور بالاحباط وعدم الرضى . فالعسكري الذي يشعر بأن قدراته وامكاناته العقلية لا تؤهله لاشغال مركز قيادي في القوات المسلحة ربما يشعر بالضيق والنقمة والاحباط بسبب ذلك ، كما ان العسكري او القائد الذي

تتكرر لديه الاخطاء وحالات الفشل في الاعمال العسكرية المؤكلة لديه مثل الاعمال الادارية والحربية يتولد لديه الاحباط .

ج- **مجموعة العيوب الشخصية** : وتتمثل في الجبن والتردد والانسحاب والانطواء والعدوان والانانية وعدم الاستقرار الانفعالي والخجل والشك وسرعة الاستثارة والتأثر بالآخرين والميل الى الشعور بجنون العظمة او الاضطهاد . ومثل هذه العيوب تنعكس سلباً في عمليات التفاعل الاجتماعي وينتج عنها حالة من سوء التوافق النفسي لما تحدثه من حالات الفشل والاحباط ، ولا سيما اذا كانت على درجة عالية من الشدة بحيث تعيق الفرد من اداء الواجبات والمهام المؤكلة اليه . ففي القوات المسلحة ، ربما يسبب عامل الجبن والتردد الضيق والاحراج والاحباط لدى الافراد ولا سيما ان المهام العسكرية تتطلب الشجاعة ورباطة الجأش ، كما ان الانانية قد تجعل الفرد منبوذاً من جماعته او وحدته العسكرية لانها تحد من فرص تعاونه وتعاطفه مع الآخرين اثناء تنفيذ المهمات .

2- مجموعة الأسباب الخارجية :

وتتمثل في مجموعة العوائق الخارجية التي تقع في محيط الفرد وبيئته والتي قد لا يستطيع التغلب عليها او ازالتها ، بحيث تحول دون تحقيق اهدافه واشباع حاجاته . وتشمل هذه المجموعة العوائق المادية والاجتماعية والاقتصادية ، وهي كثيرة ومتنوعة يصعب حصرها في هذا المجال . فعلى سبيل المثال ، الشخص الذي يرغب بشراء سيارة لها مواصفات معينة ولكن امكاناته المادية لا تسمح له بذلك غالباً ما يشعر بالاحباط ، كما يتولد الاحباط ايضاً لدى الفرد الذي يرغب في الاقدام على عمل ما ولكن تمنعه الضوابط والقيم الاجتماعية من ذلك . وفي مجال القوات المسلحة ، فإن الموانع الخارجية التي تؤدي الى حدوث الاحباط لدى الافراد كثيرة ومتنوعة منها :

أ- الفشل في الحصول على اجازة بسبب وجود عقوبة تحول دون ذلك او بسبب رفض القائد المسؤول او بسبب وجود ظروف تحول دون ذلك .

ب- وجود اللوائح والانظمة العسكرية التي تحد من حرية افراد القوات المسلحة وتحول دون اشباع دوافعهم وحاجاتهم مثل الترفيه والتسلية والحصول على النوم والراحة في الاوقات التي يرغب فيها هؤلاء الافراد .

ج- عدم الوصول الى مركز قيادي معين او اشغال وظيفة عسكرية معينة بسبب تحيز القائد المسؤول او انانيته او عدم رضاه .

د- عدم توفر الامكانيات اللازمة للتدريب على المهمات والمهارات العسكرية .

هـ- انقطاع الامدادات مثل الماء والغذاء والعتاد وعدم القدرة على تأمينها للوحدات العسكرية اثناء الانشغال في المعارك الحربية .

و- عدم القدرة على المناورة والتحرك العسكري اثناء المعركة بسبب وجود موانع طبيعية تحول دون ذلك مثل صعوبة التضاريس الجغرافية او بسبب سوء الاحوال الجوية .

ز- تعطل بعض الآليات والمركبات اللازمة لنقل الجنود والمعدات والعتاد ومواد التجهيز .

ح- تأخير الترقية العسكرية بسبب عدم وجود شواغر او لوجود موانع تحول دون ذلك .

ط- الصراع بين الوحدات العسكرية والمنافسة على بعض الامتيازات .

ي- الفشل في تحقيق بعض الانتصارات وحدوث الهزائم المتكررة بسبب نقص الامكانات والمعدات العسكرية .

ك- تدخل القيادة العليا في سير العمليات الحربية الميدانية وتجاهل وجهات نظر القادة الميدانيين في ذلك . لقد حدث مثل هذا الامر بشكل واضح وجلي خلال الحرب العالمية الثانية ، حيث كان هتلر يتدخل كثيراً في مسار العمليات الحربية دون الاستماع الى مستشاريه او القادة الميدانيين ، الأمر الذي حدا بالبعض منهم الى الانتحار بسبب الاحباط مثل الجنرال فون كلوغ .

كما أن الجنرال رومل طالما شعر بالأسى والضيق في معارك شمال افريقيا عندما كان يلح على هتلر بتزويده بقوات اضافية بهدف محاصرة روسيا من جهة الشرق ، ولكن كان طلبه هذا يواجه دائماً بالرفض . وقد بدأ الضيق واضحاً عند رومل عندما اهداه هتلر عصا المارشاليه حيث علق على ذلك بقوله : « وددت لو زودني بوحدة عسكرية بدلاً منها » .

الآثار المترتبة على الاحباط :

الاحباط حاله انفعالية تترافق بالضيق وعدم الارتياح ينتج عنها عدد من الآثار تتمثل بما يلي :

اولاً : قد يؤدي الاحباط الى الابداع والنجاح :

إن حالات التهديد والفشل و الضيق التي ترافق الاحباط ربما تشكل في بعض الاحيان دافعاً للنجاح والتفوق والابداع وحل المشكلات . فعندما يواجه الفرد مواقف احباطية او بعض المشكلات فقد يؤدي به ذلك الى ابتكار الاساليب والاجراءات التي تخلصه من هذا الوضع

المتأزم بما ينطوي عليه من عوائق وصعوبات . ويطلق العلماء على هذا النوع من الاحباط بالقلق أو الضيق وهو من النوع المرغوب فيه لأنه يشكل دافعاً يحرض الفرد على الاداء والانجاز والنجاح . فعلى سبيل المثال ، القائد الذي يواجه بعض الاحباط بسبب قله الامكانات والتجهيزات العسكرية ربما يشكل هذا دافعاً وباعثاً لديه للنجاح من خلال اتخاذ بعض التدابير او الاجراءات التي من شأنها ان تساعده على التغلب على مثل هذه المعيقات ، ومن الأمثلة على ذلك ،أن رومل أثناء انشغاله في معارك شمال افريقيا لجأ إلى ابتكار أساليب جديدة لإيهام القوات البريطانية بأن هناك مدداً للقوات الألمانية ، وتمثل هذا الإجراء بالطلب من سائقي الشاحنات بالسير خلف القطاعات الألمانية وإثارة الغبار .

ثانياً : قد يؤدي الاحباط الى العدوان :

يرى دولارد وميلر ان الاحباط ينطوي على الكثير من الاحيان على سلوكات عدوانية تأخذ اشكالاً متعددة مثل العدوان اللفظي المتمثل بالشتم واستخدام الكلمات البذيئة او العدوان الجسمي المتمثل بالضرب والرفس والتكسير والتخريب ، وقد يكون مباشراً موجهاً نحو مصدر الفشل او التهديد او غير مباشر موجه الى مصادر اخرى غير مرتبطة بالفشل مثل الاعتداء على الممتلكات او الآخرين . فعلى سبيل المثال ، قائد الوحدة الذي يواجه حالات من الفشل والاحباط ربما يصبح عدوانياً يلحق الاذى بالمرؤوسين التابعين له ، كما ان الجندي الذي يفشل في الحصول على اجازة او بعض الامتيازات ربما يتصرف بسلوك عدواني اتجاه زملائه الجنود الآخرين ، او ربما يلحق الخراب في بعض المعدات العسكرية أو قد يعتدي بالضرب على الضابط المسؤول انتقاماً لحاله الاحباط التي يمر بها .

ثالثاً :قد يؤدي الاحباط الى الاستسلام واليأس والاضطراب النفسي :

ان تكرار حالات الاحباط والفشل عند الفرد قد ينتج عنها حالة من العجز واليأس وضعف الثقة بالنفس والشعور بالوحدة والعزلة والاكتئاب وعدم الكفاية الذاتية والشعور بالاستسلام والقنوط . ففي هذا الشأن ، اظهرت تجارب سليجمان في موضوع العجز المتعلم ، ان تكرار حالات الفشل والاحباط يتولد عنها حالة من العجز والشلل التام وعدم القدرة على السلوك في مواقف التهديد والضغوط (Hilgard & Bower, 1981) .

رابعاً : قد يقود الاحباط الى اللجوء الى بعض وسائل الدفاع لحماية الذات من التهديد المرافق لهذا الاحباط . إن الكثير من حالات الاحباط والفشل التي يمر بها الفرد قد تدفعه الى اتخاذ بعض التدابير النفسية او ما يعرف بآليات الدفاع الاولية بغية حماية الأنا من مشاعر الضيق والتهديد والقلق الناتج عن مثل هذه الحالات .

وسائل الدفاع الأولية :

تعرف هذه الوسائل بالحيل النفسية وهي بمثابة مجموعة من الأساليب السلوكية يلجأ إليها الفرد لتخفيف التوتر النفسي الناتج من حالات الاحباط والصراع أو عندما لا يستطيع التغلب على العوائق والعقبات التي تقف أمام اشباع حاجاته . تعد مثل هذه الوسائل طرقا غير مباشرة – لا شعورية يتم تسخيرها لحماية الشخصية من القلق اللاشعوري عندما تفشل الطرق المباشرة الشعورية في مواجهة المواقف ولا سيما التي تشكل مصدراً للتهديد .

يعد سيجموند فرويد أول من تحدث عن هذه الآليات واعتبر ان الانا تعمد على نحو لا شعوري إلى توظيف بعض من هذه الوسائل أو الآليات عند تفاقم حالات التوتر الناتج بفعل مواقف القلق والتهديد أو حالات الصراع والاحباط والفشل في اشباع الحاجات . فهي تشكل احد اجهزة المناعة النفسية التي يمكن ان تحشد مجتمعة أو منفردة لصد هجمات القلق اللاشعوري من أجل مواجهة صراعات الدوافع المتضاربة أو العمل على التوفيق بينها بغية الحفاظ على تماسك الشخصية ووحدتها وحمايتها من الامراض والاضطرابات النفسية .

لا يقتصر استخدام مثل هذه الوسائل من قبل غير الاسوياء من الناس فحسب ، لا بل يستخدمها الاسوياء ايضا ، وهي ليست شاذة ولكن يمكن ان تصبح كذلك في حالة التطرف أو الانحراف في اللجوء اليها . وبالرغم من أن قاعدتها توجد في اللاشعور إلا أن بعضا منها يأخذ الطابع الشعوري . وعموما يمكن تصنيف هذه الوسائل على النحو التالي :

1- النكوص : Regression

وهو الارتداد إلى اساليب سلوكية قديمة كانت تستخدم لاشباع دوافع وحاجات في مراحل نمو سابقة وذلك للتغلب على حالات الصراع والقلق والاحباط التي يمر بها الفرد . ومثل هذه الاسلوب يعدّ حيلة لا شعورية للدفاع عن الذات امام الضغوط والعوائق التي تقف امام اشباع الحاجات أو تلك التي تشكل مصدراً للتهديد (رضوان ، 2002) .

يعتبر النكوص نوعاً من الانسحاب وهو وسيلة دفاعية مألوفة يلجأ اليها الانسان في الكثير من حالات الاحباط لأنه يجد فيها نوعاً من اللذة والمتعة أو وسيلة لتخليصه من حالات الفشل والضيق والاحباط . وخير مثال على ذلك تذكر الايام الماضية والاحداث السابقة أو زيارة الاماكن التي نشأ بها الفرد . ولكن في بعض الحالات ربما يعد النكوص آلية تكيف غير مناسبة كما يحدث في حالة مص المراهق لاصبعه في حالة الفشل أو الخوف أو بكاء الراشد في حالات

الضغوط الشديدة ، أو يأخذ شكل التبول اللاارادي والغيرة والصراخ والعناد ، إذ ان مثل هذه الانماط السلوكية تعود الى مراحل نمو سابقة مر بها الفرد مثل مراحل الطفولة المبكرة .

2- التبرير Retionalization

وهو حيلة دفاعية تتمثل في عقلنة الفعل أو السلوك الذي يصدر عن الفرد . فالتبرير هو بمثابة ايجاد مبرر منطقي للأفعال السلوكية غير المقبولة أو اللاخلاقية التي تصدر عن الفرد أو تفسير حالات الفشل والاحباط التي يمر بها . ففي الكثير من الاحيان تصدر عن الافراد انماط سلوكية تحكمها دوافع لا شعورية وتكون مثل هذه السلوكيات غير مقبولة اجتماعيا ، كما ان الفرد في بعض الحالات يفشل في العديد من المهام والادوار التي يقوم بها . فمن اجل حماية الذات من اللوم والتأنيب والنقد الاجتماعي أو الذاتي غالبا ما يلجأ الى هذه الحيلة محاولا تقديم اسباب قد تبدو منطقية لتسويغ مثل هذه الحالات . ومثل هذه الوسيلة تقي الفرد من الاعتراف بالأسباب الحقيقية غير المقبولة لسلوكه وتحميه من الاعتراف بالفشل أو الخطأ . فعلى سبيل المثال ، قائد الوحدة العسكرية الذي يفشل بسبب سوء تقديره للموقف في تنفيذ مهمة عسكرية ربما يبرر سبب الفشل الى نقص الامكانات أو عدم تعاون افراد وحدته ، والطالب الذي يرسب بالامتحان (بسبب اهماله) ربما يعزو سبب فشله الى عوامل تتعلق باضطهاد استاذه له أو عدم وضوح الأسئلة (عبدالله ، 2001) .

3- الابدال أو التحويل Displacement

ويتمثل في تحويل الانفعالات من موضوعها الاصلي الى موضوعات أخرى بديلة ؛ وهذا نوع من الازاحة للانفعالات من المعاني الاصلية غير المقبولة التي تتعلق بها الى معان أخرى بديلة تكون اقل اثارة للقلق بالنسبة للفرد أو تكون مقبولة له . وبالتالي فالابدال حيلة عقلية لاشعورية تنطوي على تحويل الدوافع من المواضيع المهددة أو غير المقبولة الى مواضيع أخرى اكثر قبولا واقل تهديداً ، حيث تلجأ اليه الانا على نحو لا شعوري لتعزيز اسلوبها الدفاعي تجاه ما يثير قلقها من الخبرات اللاشعورية المكبوتة . وخير مثال على ذلك ، القائد العسكري الذي يتعرض الى اللوم أو التعنيف من قبل القائد الاعلى ، لا يستطيع في مثل هذه الحالة مواجهة هذه القائد ، لكنه يلجأ الى تحويل انفعالات الغضب والرغبة في الانتقام ممن هم ادنى منه في المركز القيادي أو العسكريين التابعين له . كما ان الموظف الذي لا يستطيع مواجهة مديره في موقف ما ربما يحول انفعالاته هذه الى زوجته أو اولاده .

4- الكبت "Repression"

وهو آلية دفاع لا شعورية تلجأ آلية الانا لحماية الشخصية من التوتر الشديد المصاحب لحالات القلق والصراع والتهديد . ويتمثل الكبت في رفع الدوافع المهددة والخبرات المؤلمة أو المحرجة من حيز الشعور الى حيز اللاشعور ؛ أي منعها واعاقتها من التأثير المباشر في السلوك خوفاً من العقاب أو اللوم أو الاحراج . وتجدر الاشارة هنا ، ان كبت الدوافع والخبرات المؤلمة في حيز اللاشعور لا يعني الغاء أو ابطال اثرها في السلوك ، لان مثل هذه الدوافع قد تعمل على نحو غير مباشر في العديد من الانماط والسلوكية التي قد تبدو مقبولة من قبل المجتمع مثل فلتات اللسان ، والنكات واحلام اليقظة وغيرها (الهنداوي والزغول ، 2002) .

وعموماً ، فإن الكبت يساعد الانا على التعايش مع المجتمع الذي يفرض مطالب وقيود معينة على بعض الانماط السلوكية مثل السلوكات العدوانية والجنسية ، اذ انه في مثل حالة هذه الانماط السلوكية ، يلجأ الافراد الى كبتها في اللاشعور وتجنب التفكير فيها أو القيام بها لان اظهارها يترتب عليه النقد والعقاب .

واعتماداً على ذلك ، فالكبت آلية دفاع لا شعورية يلجأ اليها الافراد بغية تحقيق نوع من الانسجام النفسي والتكيف والتوافق مع مطالب المجتمع الذي يعيشون فيه . ويعتمد مقدار الجهد النفسي المبذول في عملية الكبت على مدى خطورة والحاح الدوافع ، اذ تتطلب الدوافع المهددة أو التي تسبب الاحراج مثل الدوافع الجنسية قدراً كبيراً من الطاقة النفسية للاحتفاظ بها دفينة في حيز اللاشعور . ولكن يبقى الكبت آلية دفاع مؤقتة لا تحل المشكلة لانها تعمد على حصرها في حيز اللاشعور وغالبا ما تتبدى الدوافع المكبوتة في انماط سلوكية مثل زلات اللسان والنكات والمزاح وربما تظهر في اضطرابات سلوكية أو امراض نفسية خطيرة .

5- الاسقاط "Projection"

يعرف الاسقاط على انه عملية اضفاء الصفات السلبية الموجودة لدى الفرد على الآخرين ؛ فهو آليه دفاع نفسية يتم من خلالها وصف الآخرين بالصفات السلبية التي يتميز بها الفرد . ومن هذا المنطلق ، يمكن النظر اليه على انه انكار الميول والافكار الذاتية والصفات السلبية الموجودة لدى الفرد والتي تسبب له مشاعر الذنب والاحراج والقلق والعمل على عزوها للآخرين . وفي مثل هذا الاسلوب ، يعمد الفرد الى تجنب مشاعر الألم والتهديد والانفعالات السلبية وحالات النقص التي يعاني منها من خلال الصاقها بالآخرين . فعلى سبيل المثال القائد العسكري المرتشي ربما يصف كافة القادة العسكريين على انهم مرتشون . والجندي المتآمر ربما

يصف الآخرين بالتآمر ، والجبان يتهم الآخرين بالجبن في محاولة لتجنب الاعتراف بالعيوب والاخطاء وانكار مثل هذه السمات .

6- النكران "Denial"

وهو آليه دفاع لا شعورية تلجأ اليها الانا لحماية نفسها من القلق وذلك من خلال إنكار واقع ما وعدم الاعتراف به ، لان الاعتراف بمثل هذا الواقع من شأنه أن يؤذي الذات أو يؤدي إلى احراجها . وقد يمثل النكران أحد اشكال الانسحاب من الموقف لأنه في مضمونه ينطوي على عدم الاحتكاك بالواقع من خلال عدم الاعتراف به . فعلى سبيل المثال ، المرأة التي يموت طفلها تنكر انه مات وتصر انه لا زال حيا يوجد في مكان ما . وقد يحدث هذا عند العسكريين ايضا اذ قد لا يعترف العسكري باستشهاد زميله ويرفض حقيقة موته ويصر على انه لا زال حياً تحت الأسر .

7- التعويض "Compensation"

وهو آليه دفاع نفسية تلجأ اليها الانا للتغلب على حالات الضعف أو النقص أو الدونية التي يعاني منها الفرد . فمن خلال وسيلة الدفاع هذه يعمد الفرد الى تحقيق النجاح أو التفوق في مجال آخر أو اتباع إجراء سلوكي يشعره بنوع من الانجاز . ففي التعويض يتم تجنب موقف الاحباط والصراع الحقيقي المتمثل في حالة الضعف أو النقص بالتحول الى مجال آخر بديل أو إخفاء الصفة غير المستحبة تحت شعار صفة أخرى مستحبة .

يظهر التعويض في الكثير من المناسبات اليومية وقد يتخذ شكلا مباشرا كما هو الحال لدى الافراد الذين يعانون من الاعاقات الجسمية أو الحركية . فالمعاق على سبيل المثال ربما يعوض حالة الضعف هذه من خلال التفوق في المجال الفني ، كما ان الفتاة ، غير الجميلة ربما تعوض حالة النقص هذه من خلال التفوق في المجال الاكاديمي . وفي مجال القوات المسلحة ، قد نجد أن العسكري الذي تعرض الى اصابة جسمية تمنعه من القتال أو تنفيذ بعض المهمات العسكرية يسعى الى التعويض عن حالة النقص هذه من خلال التفوق في مجال الاعمال الفنية أو الادارية (رضوان ، 2002) .

8- رد الفعل العكسي "Reaction Formation"

تنطوي هذه الوسيلة على اللجوء الى اسلوب أو سلوك معاكس أو مضاد للدوافع غير المرغوب فيها ، فمن خلال هذه الآلية يتم حماية الذات من القلق والتهديد بصدد الدوافع والرغبات المحرجة أو غير المرغوبة بسلوك معاكس لها ويكون اكثر قبولاً واستحساناً . يعد

رد الفعل المعاكس نوعاً من التزوير للحقيقة لأنه يدفع الفرد إلى الظهور بسلوك مغاير تماما للرغبات الدفينة أو المكبوتة لديه . فعلى سبيل المثال ، الشخص الذي لديه رغبة جنسية جامحة ولا يستطيع التعبير عنها ربما يلجأ الى سلوك الاحتشام والتدين كرد فعل معاكس لهذه الرغبة . وعموما يمكن القول بأن التكوين العكسي هو بمثابة سلوك يلجأ اليه الفرد لتحصين الذات وابعادها عن مصدر الخطر المهدد بحيث يعمل على تضييق السلوك وحصره في نطاق معين أكثر قبولا .

9- التثبيت "Fixation"

وهو أحد آليات الدفاع عن الذات قد يلجأ إليها الفرد في حالات الصراع النفسي ، وتتمثل في التمسك بأحد أشكال السلوك الطفلية أو التمسك بأنواع السلوك التي تسود في المرحلة الفمية ، مثل مص الإصبع بهدف تحقيق الاشباع لبعض الحاجات .

ويعد التثبيت آلية دفاع تكيّفية غير مناسبة لأنها تنطوي على التمسك بمحاولات لا قيمة لها وغير مفيدة في حل الصراعات ، وغالباً ما تتحول الانماط السلوكية مع الزمن إلى أشكال من سلوك اللامبالاة ، وقد يتحول الصراع إلى نوع من المرض النفسي .

10-التصعيد "Sublimation"

تعد هذه الآلية معاكسة تماماً لعملية الكبت ، ففي الوقت الذي تسعى فيه الانا من خلال آليه الكبت إلى رفع الدوافع والرغبات المحرجة أو غير المرغوبة إلى حيز اللاشعور ، فإن آلية التصعيد تعمل على اظهار هذه الدوافع والرغبات واستغلالها بأشكال من أنماط السلوك الاجتماعي المقبول . تعرف هذه الآلية باسم الإعلاء أو التسامي بحيث يتسامى الفرد على رغباته وغرائزه ويسعى إلى اشباعها بأساليب متميزة تحظى بالقبول والاعجاب الاجتماعي . وخير مثال على ذلك ، يمكن للأفراد التسامي على الدوافع الجنسية والعمل على اشباعها من خلال التوجه إلى الفن والأدب والشعر أو أية مهن أخرى . فعلى سبيل المثال يمكن للعسكريين الذين لديهم نزعة عدوانية التسامي على هذه النزعة والعمل على اشباعها من خلال التفوق في مجال قيادة المركبات أو أعمال الخراطة أو الحدادة أو في مجال الرماية .

11-القمع أو الكظم "Supression"

وهو آلية دفاع نفسية يتم اللجوء إليها في حالات الغضب والتوتر النفسي ، ويتمثل في ضبط الذات والتحكم بها من الانفعالات . والقمع هو عملية شعورية تنطوي على جوانب لا شعورية لأنها تعمل على تحقيق التوازن بين الدوافع الشعورية واللاشعورية المتصارعة معاً .

فعلى سبيل المثال ، عندما يتعرض الفرد إلى اهانة من قبل شخص معين ، فقد يعمد إلى قمع أو ضبط مظاهر الغضب ، ويعمل على منعها من الظهور في افعاله السلوكية الحركية أو اللفظية . ومثل هذه الوسيلة ربما يلجأ إليها القادة العسكريون في الكثير من الأحيان في تعاملهم مع مرؤوسيهم أو مع القادة الأعلى منهم في الرتبة العسكرية (عبدالله ، 2001) .

12-التقمص "Indentification"

تعرف هذه الآلية باسم التماهي أو التوحد ، وهي حيلة لا شعورية تعمل على خفض التوتر والقلق من خلال تقمص بعض الصفات والخصال التي يتمتع بها بعض الأفراد . فمن خلال عملية التماهي أو التقمص قد يتوحد الفرد مع الآخرين ويتمثل أنماطاً سلوكية وصفات سوية ، كما يحدث في حال تعلم الأدوار الاجتماعية المرتبطة بالجنس أو اكتساب بعض الصفات الايجابية لدى النماذج الجيدة . كما ربما ينطوي على التكيف السيئ كما يحدث في حال تمثل سمات وصفات سلبية أو التوحد مع شخصيات ضعيفة أو تقمص أدوار جنسية لا تنسجم مع الدور الجنسي للفرد . ومن الأمثلة على التماهي أو التقمص ، تقليد المراهقين للفنانين والمطربين والرياضيين أو المشهورين ، أو تقمص الشخص شخصية إنسان متسلط استبدادي أو شخصية إنسان ضعيف .

13- الاجتياف "Introjection"

وهي آليه دفاع أولية لحماية الذات تقوم على التخيل ، وتتمثل في نقل الموضوعات الخارجية أو بعض الصفات المرتبطة بالاشياء التي تقع خارج نطاق الذات ، ودمجها وامتصاصها على نحو تصبح جزءاً من الانا أو الانا الاعلى . تعد آلية الاجتياف مهمة ولا سيما في مرحلة الطفولة لانها تتيح للطفل تمثل اشياء العالم المحيط به . ومن هذا المنطلق ، نجد ان الاجتياف هوبمثابة عملية معاكسة لعملية الاسقاط ، اذ في الاسقاط يسعى الفرد إلى اضفاء الصفات السلبية الموجودة لديه على الآخرين بهدف حماية الانا من مشاعر التهديد ، في حين نجد ان الفرد في عملية الاجتياف يلجأ الى ادخال العالم الخارجي الى ذاته (عبدالله ، 2001) .

يأخذ الاجتياف احد شكلين ، أحدهما سلبي يتمثل في توجيه السلوك والمشاعر العدوانية والسلبية واللوم ومشاعر النقص نحو الذات . اما الشكل الآخر فهو الايجابي ويتخذ منحى مواجهة مواقف الحياة الخطيرة من خلال التماهي مع مواقف الآخرين .

14-السلبية "Negativism"

وهي احدى آليات الدفاع عن الذات في مواقف الضغوط والمسؤوليات الكبيرة وتتمثل في اتخاذ سلوك معاكس لما يفترض من الفرد القيام به ، وتتخذ أشكالا سلوكية مثل الرفض والتمرد والعناد ومعارضة آراء الآخرين وعدم الطاعة وعدم التعاون والتحدي .

تأتي السلبية في كثير من الاحيان كرد فعل مباشر لمواقف الظلم اوالمعاملة السيئة التي يتعرض لها الفرد أو بسبب الشعور بالضعف والحاجة الى اثبات الشخصية او بسبب وجود التحديات والاخطار . ويلاحظ ان مثل هذه الآلية تسود كثيراً لدى الاطفال كرد فعل لسوء معاملة الوالدين او قسوتهم .

15-الانسحاب "Withdrawal"

وهي آلية من آليات التكيف يستخدمها الفرد احيانا كوسيلة لمواجهة حالات الاحباط والتهديد من خلال الابتعاد عن تلك المواقف وعدم مواجهة المشكلات او المواقف الخطرة . ان عملية الانسحاب تؤدي الى وقاية الفرد من مشاعر القلق والخوف الناتجة من مواقف النقد والتهديد والعقاب . ويترتب على هذه الآلية نتائج سلبية تتمثل في العزلة والانطواء والوحدة وعدم الميل الى التفاعل الاجتماعي مع الآخرين .

16-أحلام اليقظة "Day Dreams"

وهي آلية دفاع يلجأ اليها الفرد لاشباع الدوافع والرغبات التي لا يستطيع اشباعها على ارض الواقع بسبب وجود عوائق تمنع ذلك او بسبب عوامل الكبت . تعد هذه الآلية من أكثر وسائل الدفاع شيوعاً واستخداماً لدى جميع الفئات العمرية ، وهي وسيله للهروب من الواقع عندما يكون هذا الواقع عائقاً امام اشباع الدوافع والرغبات ، وتستند هذه الآلية الى اسلوب التخيل والتمني من خلال التصورات للتنفيس عن الرغبات والدوافع المكبوتة او التي لا يسمح الواقع بتحقيقها .

ثانياً : الصراع Conflict

يمكن النظر الى الصراع على انه حالة توتر نفسي يمر بها الفرد عندما لا يستطيع اشباع دافعين معاً او عدة دوافع بالوقت نفسه . فالصراع حالة نفسية مؤلمة يشعر بها الفرد عندما يتعارض اشباع الدوافع او الحاجات معاً ، وتنطوي مثل هذه الحالة على مشاعر الضيق والقلق والتوتر .

من المعروف ان لدى الانسان دوافع وحاجات كثيرة ومتعددة بعضها يرتبط بعوامل داخلية ، وبعضها الآخر يرتبط بعوامل خارجية ، في حين البعض الآخر منها يرتبط بالعوامل الداخلية والخارجية معاً . ففي الكثير من الحالات ، تلح على الفرد مجموعة دوافع تكون بحاجة الى الاشباع ولا يمكن للفرد تحقيقها معاً بالوقت نفسه . ففي مثل هذه الحالات تتولد حالة من الصراع لدى الفرد ، تتمثل في ترتيب الاولويات في اشباع مثل هذه الدوافع للخروج من هذا المأزق .

يتطلب الصراع من الفرد اتخاذ اجراءات سلوكية مناسبة من اجل التكيف وانهاء حالة التوتر للعودة بالشخصية الى وضع الاتزان ، فإذا ما نجح الفرد في ذلك ، فإن حالة التوازن تتحقق ويشعر الفرد عندها بالرضى والارتياح ، ولكن في حالة الفشل ، تتولد حالات من القلق والتوتر والاحباط والاضطراب النفسي لديه ، مما ينجم عنه حالة من سوء التوافق والتكيف النفسي .

أنواع الصراع:

يمكن للصراع النفسي ان يتخذ الاشكال التالية :

أولاً : صراع الاقدام - الاقدام Approach - Approach Conflict

يحدث هذا النوع من الصراع عندما يتعرض الفرد الى موقف يتعارض فيه دافعان معاً ، كل منهما يدفعه للاقدام على تحقيقه او اشباعه بالوقت الذي لا يستطيع اشباعهما معاً بالوقت نفسه . ففي مثل هذه الحالة ، يكون كل من هذين الهدفين جذابين بالنسبة له . ومن الامثلة على هذا النوع ، عرض وظيفتين على فرد بالوقت نفسه ، إحداهما تتضمن زيادة مالية في الراتب الشهري ، والاخرى تنطوي على مركز وظيفي محترم . أو وجود رغبة لدى طالب في شراء قميصين ولكن كمية النقود لديه لا تكفي لشرائهما معاً . وفي المجال العسكري ، قد يحدث هذا النوع من الصراع كثيراً لدى قادة وافراد القوات المسلحة ، وخير مثال على ذلك الاختيار من قبل قائد وحدة عسكرية بين الانسحاب وانقاذ افراد قواته او الهجوم وتحقيق بعض الانتصارات مقابل خسارة بعض قواته ومعداته .

ثانياً : صراع الاقدام - الاحجام Approach - Avoidance Conflict

يحدث هذا النوع من الصراع عندما يتنازع لدى الفرد دافعان معاً ، احدهما يدفعه للاقتراب والعمل على اشباعه في الوقت الذي يدفعه الآخر الى الابتعاد وتجنب الاقتراب منه .

ومن الامثلة على ذلك ، شخص ما يرغب في حضور مباراة رياضية لكنه يخشى الخروج بسبب سوء الاحوال الجوية تجنباً للاصابة بالزكام اوالبرد . ومثال آخر على هذا النوع ، شخص ما يرغب بالزواج من فتاة جميلة لكنه يخشى من سمعة اهلها السيئة . وفي المجال العسكري ، نجد احيانا دافعاً لدى الافراد في الاندفاع نحو الهجوم والعمل على تدمير قطاعات العدو بالوقت الذي يمنعهم خوفهم على حياتهم من ذلك ، او جندي يرغب في انقاذ حياة زميله الذي تعرض للاصابه لكنه يخشى من التعرض للاصابة من نيران العدو .

ثالثاً : صراع الاحجام - الاحجام Avoidance- Avoidance Conflict

ويحدث هذا النوع من الصراع عندما يواجه الفرد مسألة الاختيار بين امرين كلاهما مر ؛ اي عندما يواجه الفرد موقفين منفرين وعليه اختيار أحد هذين الموقفين ، وهذا بالطبع يعني ان الابتعاد عن احدهما يقربه من الامر الآخر والذي سرعان ما يدفعه الى الابتعاد عنه ، لكنه يجد نفسه يقترب مرة أخرى الى الامر الاول . وفي مثل هذه الحالة نجد ان الفرد يبقى في حالة حركة دائمة ولا يهدأ حتى يتدخل عامل آخر يساعده على تغيير الموقف او يمكنه من الخروج من هذا المأزق . ومن الامثلة على ذلك ، الجندي الذي يحارب في معارك طاحنة ويكون امامه الاختيار بين امرين هما دخول المعركة ومواجهة المخاطر او ان يهرب ويكون جباناً (فراج ، 1984) .

رابعاً : صراع الاقدام - الاحجام المزدوج Avoidance Conflict Double Approach

يعرف هذا النوع من الصراع بصراع الميول والدوافع المضاعف وهو بمثابة مزيج من اشكال الصراع الثلاثة السابقة ، الا ان قوة اضافية تعزز احد اطرافه على حساب الطرف الآخر . ففي هذا النوع من الصراع تتصارع مجموعة من الايجابيات والسلبيات ، وتزداد احتمالية الاختيار لدى الفرد بوجود قوى اضافية تدفع الفرد نحو القيام بعمل ما او عدم الاقدام على ذلك . ومن الامثلة على ذلك الفرد الذي يرغب بالسفر الى الخارج ولكن هناك مجموعة مخاطر تترتب على سفره بالوقت الذي تتوفر مجموعة ايجابيات لهذا السفر ، ففي مثل هذه الحالة يتحدد الاختيار في ضوء توفر قوى اضافية تعزز اقدامه على السفر او تمنعه من ذلك .

خامساً : صراع الدوافع (الصراع اللاشعوري) Derives Conflict

يحدث مثل هذا النوع في تكوين الشخصية العميق دون وعي او شعور الفرد بذلك . ومثل هذا النوع من الصراع ليس من السهل اكتشافه لأن ذلك يحدث بين مكونات الشخصية وهي : الهو "ID " والانا "Ego" والانا الاعلى :"Super ego" . فقد يحدث صراع بين دافعين

من دوافع الهو ولا يمكن اشباعهما معاً ، مثل الصراع بين دافع الجوع والدافع الجنسي ، كما قد يحدث الصراع بين دوافع الهو والانا الاعلى مثل الصراع بين الدافع الجنسي والقيم الاخلاقية او وخز الضمير ، وقد يحدث ايضاً بين دوافع الانا الاعلى كالصراع الذي يحدث بين القيم والمثل العليا مثل الصراع بين تنفيذ الواجب العسكري والاهتمام بالعائلة .

الآثار المترتبة على الصراع :

تختلف الوسائل الدفاعية التي يلجأ اليها الافراد في مواجهة الصراعات النفسية من اجل تحقيق التكيف ، اذ ان البعض ربما يضاعف من جهوده ويبحث عن فرص ووسائل للتخلص من هذه الصراعات لتحقيق النجاح والتكيف ، في حين أن البعض الآخر من الأفراد ربما يستسلم لمثل هذه الصراعات او ربما ينسحب من تلك المواقف ، وقد يلجأ بعضهم الى وسائل اخرى مثل النكوص والتبرير او الاعلاء او الابدال اوالتعويض في التعامل مع حالات الصراع . وعموماً ، فإن للصراع آثاراً سلبية يتركها على الصحة النفسية تتمثل بالآتي :

1- الشعور بالاعياء والتعب والارهاق .

2- الانغلاق النفسي والانطواء على الذات .

3- سرعة التهيج والاثارة الزائدة .

4- اضطرابات التفكير وعدم القدرة على اتخاذ القرارات .

5- الاضطرابات العضوية وضعف في جهاز المناعة .

6- التوتر والقلق الشديد .

7- انخفاض مستوى الدافعية والميل للانجاز والنجاح .

ثالثاً: القلق Anxiety

يعد القلق احد الانفعالات الرئيسة التي يعاني منه الافراد في مختلف مراحل الحياة مثله في ذلك مثل الانفعالات الطبيعية الاخرى كالغضب والحزن والفرح والخوف . وينشأ القلق لدى الافراد عندما يشعرون او يتوقعون وجود مواقف خطيرة او مهددة تعترضهم كما هو الحال باقتراب موعد الامتحانات او الاقدام على الزواج او الاشتراك في معركة عسكرية او تسلم وظيفة والى غير ذلك من المواقف الاخرى . كما ويحدث القلق احياناً عندما يشعر الفرد بوجود خطر يتهدد كيان شخصيته بالوقت الذي لا يعرف مصدره ، وقد يتخذ شكلاً لا

شعورياً بسبب الدوافع المكبوتة او الخبرات المؤلمة او المحرجة الدفينة ، او بسبب صراع مكونات الشخصية الثلاثة .

يعرّف القلق على انه حالة من التوتر الشامل والمستمر الذي يرافق الفرد بسبب توقع تهديد خطر فعلي او معنوي قد يحدث وينتج عنه خوف غامض واعراض نفسية وعضوية لدى الفرد (زهران ، 1997) . فهو بمثابة استجابة انفعالية لخطر يخشى الفرد من وقوعه وغالباً ما يكون هذا الخطر موجهاً لمكونات الشخصية الثلاث ، مما يترتب عليه حالة من التوتر الشامل .

طبيعة القلق :

قد يحدث القلق لدى الافراد بسبب مجموعتين من العوامل هي :

أ- **مجموعة العوامل المعروفة بالنسبة للفرد (الشعورية)** : مثل اقتراب موعد امتحان أو الدخول الى معركة عسكرية ، او اقتراب موعد الزواج ، وفي مثل هذه الحالة يسمى بالقلق الموضوعي .

ب- **مجموعة العوامل غير المعروفة بالنسبة للفرد (اللاشعورية)** : ويحدث هذا النوع عندما يشعر الفرد بوجود خطر ما يتهدد كيان شخصيته لكنه لا يعرف بالضبط مصدره ، ومثل هذا النوع يعرف بالقلق العصابي . ويعتبر هذا النوع خطيراً لانه ينطوي على حالة توتر شديدة واضطرابات نفسية وانفعالية تؤدي الى سوء التوافق النفسي لدى الأفراد .

وعموماً ، فلقد حدد لويس (Lewis, 1988) ست خصائص رئيسة للقلق تتمثل بالآتي :

أولاً : هو حالة انفعالية تنطوي على الذعر والفزع والخوف والتوجس .

ثانياً : هو حالة انفعالية تترافق بمشاعر غير سارة .

ثالثا : قد لا يوجد تهديد حقيقي او محدد او معروف لاثارته ، وان وجدت فعلاً ، فهي لا تستدعي بالضرورة ذلك المقدار من التوتر والانفعال .

رابعاً : هو حالة انفعالية موجهة نحو المستقبل ، لانه يرتبط بحالة من توقع خطر او تهديد محتمل .

خامساً : يترافق بأعراض جسمية مثل التعب ، وسرعة دقات القلب ، وضيق الصدر وغيرها .

سادساً : ينتج عنه اضطرابات وتغيرات حركية وعضوية وجسمية واضحة المعالم .

مظاهر القلق:

يترافق القلق عادة مع ثلاثة مظاهر رئيسة مرتبطة معاً ولا يمكن فصلها عن بعضها بعضا من الناحية النظرية . ولكن في الواقع العملي ، قد لا تظهر هذه المظاهر معاً بالوقت نفسه وبالشدة ذاتها ، اذ ان البعض من الناس قد يدرك المظهر الجسدي المترتب عليها ، في حين أن البعض الآخر يدرك المظهرالسلوكي او المظهر العقلي ، وهناك من يكون على وعي للحالة الانفعالية المرافقه لهذا القلق . وعموماً فإن مظاهر القلق الرئيسة هي :

أ- **المظهر الجسدي** : ويتمثل في زيادة دقات القلب والتعرق الشديد ، وتوتر العضلات وعدم القدرة على التركيز الحركي .

ب-**المظهر الذهني والانفعالي** : ويتمثل في عدم القدرة على ضبط الذات والسيطرة على النفس ، وسرعة الاستثارة والتهجيج والارتباك والخوف وعدم القدرة على التفكير ، وتشتت الانتباه وعدم وضوح الادراك .

جـ-**المظهر السلوكي** : ويتجلى في حالة التجنب والانسحاب والتهرب من المواقف .

إن انفعال القلق هو ظاهرة طبيعية تسود في المجتمع العسكري ، ويرجع السبب في ذلك الى جملة عوامل متعددة . فمن الطبيعي ان يعاني افراد القوات المسلحة من مشاعر القلق لأن طبيعة التنظيم للقوات المسلحة والحياة السائدة فيها تختلف تماماً عما اعتادوا عليه في الحياة المدنية . فهذا المجتمع يفرض منظومة قيمية ومعايير وضوابط وادوار ومهمات متعددة لا يمكن بأي شكل من الاشكال تجاهلها او اهمالها لأن الهدف النهائي من وجود هذا المجتمع يتمثل في الحفاظ على أمن واستقرار المجتمع الأب . ولما كانت طبيعة المهام العسكرية تمتاز بالخطورة بسبب التعامل مع مسائل السلاح والحرب ، فنجد ان هناك نوعاً من القلق يسود دائماً لدى افراد القوات المسلحة لأن الاهمال او عدم الجدية اوالتقصير في تنفيذ مثل هذه المسائل ينطوي على مخاطر جمة قد تلحق بالافراد انفسهم او بالمجتمع .

من جهة اخرى ، نجد ان الالتزام بتطبيق قواعد الضبط والربط العسكري يجعل الافراد دائما تحت ضغط حالة من التوتر والقلق والخوف والتهجس لحقيقة مفادها ان افراد القوات المسلحة يفترض منهم مراقبة كافة انماطهم السلوكية من قول او فعل اوعمل ، وهذا بالتالي يرفع مستوى القلق والتوتر لديهم . ويزداد مستوى القلق لديهم عندما يطلب منهم تنفيذ اعمال عسكرية خطيرة كما هو الحال في المناورات العسكرية باستخدام السلاح الحي ، او الاشتراك في معركة عسكرية لما لهذه الاعمال من مساس مباشر بحياتهم ومستقبلهم ومستقبل عائلاتهم .

عصاب الحرب:

العصاب مصطلح عام يشمل اشكالاً محتلفة من الاضطرابات النفسية والسلوكية تنشأ بسبب فشل الفرد في التكيف مع ذاته وبيئته الخارجية . فالعصاب اضطراب وظيفي في الشخصية دون وجود اي اساس عضوي له ، ويتبدى في اعراض نفسية متعددة مثل متلازمات القلق والوساوس والمخاوف وحالات الهستيريا . ويتميز الشخص العصابي انفعالياً بكونه يظهر غير سعيد ومتوتراً ومرتبكاً ولا يعرف تحديداً ما هي اسباب مشكلته (رضوان ، 2002) .

يعد عصاب الحرب احد اشكال العصاب التي يعاني منها افراد القوات المسلحة ، ويعرف هذا العصاب بأسماء مختلفة مثل إعياء المعركة أو صدمة المعركة او صدمة القنبلة ، ويظهر هذا النوع من التوتر النفسي اثناء الحروب والمعارك ، وتتفاوت شدته لدى افراد المجتمع العسكري تبعاً لاختلاف استعداداتهم النفسية والجسمية والعقلية واساليب التنشئة الاجتماعية والظروف البيئية التي نشأوا فيها . يلاحظ أنه اثناء المعارك والحروب تزداد الضغوط النفسية التي تقع على أفراد القوات المسلحة نتيجة لظروف مثل هذه الحروب والمعارك (فرج وعطيه ، 1987) .

وتنتج مثل هذه الضغوط بسبب عوامل مثل :

أ- العمل في ظروف خطيرة تحت وقع القصف البري او الجوي اوالبحري وبمختلف انواع الاسلحة .

ب- اهوال المعارك بما يصاحبها من التعرض الى الاصابات اوالأسر أو الموت او تدمير المعدات .

ج-موت الاقرباء اوالاصدقاء اوتعرضهم لاصابات شديدة .

د-تدمير الموارد والامدادات الغذائية والعسكرية او انقطاع وسائل الاتصال .

هـ-التغيب لفترة طويلة عن الاهل والاسرة والخوف على مستقبلهم والحنين اليهم .

إن مثل هذه العوامل وغيرها من العوامل الاخرى ربما يولد لدى افراد القوات المسلحة حالات توتر انفعالية شديدة تعرف بعصاب الحرب ، وقد تتبدى بعدد من الاعراض النفسية تتمثل بالآتي :

1- زيادة مستوى الخوف والقلق لدى افراد القوات المسلحة وما يترتب عليه من فقدان القدرة على السيطرة على الذات وسرعة الاستثارة والحساسية المفرطة للاصوات والحركات ، وسرعة الغضب وصعوبة التركيز والانتباه والتذكر ، والفزع الشديد والاحلام المزعجة والذهول والارتباك وفقد الحركة والتخشب .

2- زيادة حدة الصراع لدى المقاتلين من حيث التضحية والاستمرار في المعركة او الهروب منها .

3- حدوث اضطرابات نفسية -جسمية تتمثل في اضطراب في الشهية وحالات الغثيان الشديدة وكثرة الاسهالات وسرعة دقات القلب واضطرابات التنفس .

4- ظهور حالة الهستيريا والتي تتمثل في الشلل او عدم القدرة على الاحساس والحركة .

5- الاكتئاب المتمثل بالنظرة السوداوية لهذا العالم والتشائم واليأس وفقدان الاحساس بالسعادة والنزعة الى لوم الذات وفقدان الشهية والاعياء الجسدي بسبب مقتل زميل في المعركة او خسارة بعض الاهداف العسكرية .

وللتخفيف من احتمالات حدوث حالة عصاب الحرب لدى افراد القوات المسلحة ، يمكن اتخاذ العديد من الاجراءات اثناء عمليات التدريب والتنشئة العسكرية للأفراد ، ومثل هذه الاجراءات تتمثل بالآتي :

أ- إعداد الافراد وتهيئتهم نفسياً وجسديا لطبيعة المهمات والوظائف العسكرية . ويتم هذا من خلال اعداد برامج تدريبية خاصة تقدم لافراد القوات المسلحة ولا سيما عند بداية انضمامهم للقوات المسلحة . وفيها يتم تعريفهم على طبيعة الاعمال والمهمات العسكرية والظروف المختلفة المتوقع منهم العمل تحتها في اوقات الحرب والسلم ، وما يترتب عليها من مخاطر وصعوبات .

ب- تقع على عاتق الاخصائيين النفسيين في القوات المسلحة مسؤولية تقييم الجوانب النفسية والشخصية للمقاتلين ، وذلك للتعرف على الافراد الذين لديهم قابلية للاصابة بعصاب الحرب ، وكذلك تحديد الافراد الذين يعانون من اضطرابات نفسية او مشكلات انفعالية او اضطرابات عقلية والعمل على عزلهم حتى لا يكونون عبئاً على زملائهم .

جـ- اعداد البرامج الخاصة بهدف رفع الروح المعنوية لدى افراد القوات المسلحة والعمل على اشباع الحاجات الرئيسة مثل الجوع والعطش والعناية الطبية وتنمية العلاقات الاجتماعية مع الاهتمام بمسائل التعلم والتدريب العسكري الجيد على المهمات العسكرية المختلفة .

د- تدريب افراد القوات المسلحة على بعض الاجراءات التي يمكن أن تساعدهم على كيفية التعامل مع مواقف الخوف والقلق .

الهستيريا Hysteria:

هي نوع من العصاب النفسي يمثل مرضاً نفسياً محدداً ، يتحول فيه الصراع الى صورة من الاضطرابات البدنية والعضوية دون ان تكون هناك أية عوامل او علل عضوية تحدث مثل هذه الاضطرابات العضوية . ان كلمة الهستيريا "Hysteria" مشتقة من الكلمة اليونانية هسترا "Hystera" وتعني الرحم . اذ كان الاعتقاد السائد لدى اليونانيين القدماء بأن هذا المرض يصيب النساء فقط بسبب تجول الرحم داخل جسم المرأة (عبد الله ، 2001) . ومثل هذا الاعتقاد ظل سائداً لفترة طويلة من الزمن ، ولكن علماء النفس في العصر الحديث رغم احتفاظهم بهذا الاسم ، وجدوا ان هذا المرض يصيب كلاً من الذكور والاناث ويتبدى في اضطرابات حسية وحركية او عقلية .

تعد الهستيريا محاولة للهروب من حالات الصراع والقلق الذي يعاني منه الفرد ، اذ فيها ترتد الاضطرابات النفسية الى نوع من الشلل او فقدان القدرة على الاحساس او الحركة في بعض اعضاء الجسم . فمن هذا المنطلق ، يمكن النظر اليها على انها اضطراب لا ارادي يحدث في الوظائف الحسية أو الحركية اوالذاكرة تنفيساً لصراعات نفسية او دوافع لاشعورية لدى الفرد ، وتأخذ مظاهراً متعددة تتمثل بالآتي :

أولاً : المظاهر الحركية : وتشمل شلل بعض اعضاء الجسم وعدم القدرة على الحركة ، وفقدان الصوت ، والارتعاش والتشنجات الجسمية .

ثانياً : المظاهر الحسية : وتشمل زيادة الاحساس او ضعفه مثل ضعف البصر والسمع او زيادة حدتهما والضعف او الزيادة في الشهية والافراط او عدم الافراط في الاكل والشرب ، بالاضافة الى ظهور اعراض اخرى مثل التقيّؤ والغثيان والتهيؤ بوجود التهابات جلدية .

ثالثاً : المظاهر العقلية : وتشمل فقدان الذاكرة المؤقت المرتبط بفترة زمنية معينة او المرتبط بأحداث محددة ، او الفقدان الكلي للذاكرة المتمثل بعجز الفرد عن تذكر أي شيء في حياته حتى اسمه وعنوانه ووالديه ومكان ولادته . بالاضافة الى فقدان الذاكرة الجزئي او الكلي المؤقت اوالدائم . هناك مظاهر عقلية اخرى تترافق مع الهستيريا مثل حالات التجوال دون الوعي لمثل هذا العمل ، كأن يترك الفرد بيته او عمله ويهيم لفترة من الزمن دون ان يتذكر ذلك ، والمشي اثناء النوم وعدم القدرة على تنفيذ بعض المهمات العقلية على نحو دقيق .

تحليل الهستيريا :

عند تحليل ظاهرة الهستيريا يمكن استنتاج الملاحظات التالية حولها :

أولاً : تنطوي على وجود صراع لدى الفرد ينتج عنه حالة من القلق الذي يتم كبته في اللاشعور للتخلص منه . وغالباً ما يظهر ذلك في شكل عطل اوعجز حسي او حركي او خلل في اداء الذاكرة .

ثانياً : الهستيريا ليست ادعاء للمرض ، لأن اعراض الخلل الجسمي تحدث لدى الافراد على نحو لاشعوري بسبب القلق المكبوت في اللاشعور . ان مثل هذه الحالة كثيراً ما تحدث لدى افراد القوات المسلحة عندما يطلب منهم القيام بأعمال لا يرغبونها مثل قيادة الدبابات وادارة المدفعيات او استخدام بعض انواع الاسلحة ، اذ ان القلق الناتج عن هذه الاعمال غالباً ما يتم كبته في حيز اللاشعور ويتبدى في اعراض جسمية مثل الشعور بعدم القدرة على الحركة او السيطرة على اعضاء الجسم او فقدان القدرة على الرؤية او السمع .

كما تنتج مثل هذه الحاله اثناء المعارك والحروب بسبب القلق المرتبط بالشعور بالذنب ولوم الذات على التقصير . ومن الامثلة على ذلك الجندي الذي امضى ثلاث سنوات يراجع العيادة الطبية لعدم قدرته على تحريك اصابع يده اليمنى الثلاثة « الخنصر والبنصر والاوسط » ، وقد تبين عدم وجود اسباب عضوية تحول دون ذلك ، وعند مراجعة العيادة النفسية ، تبين ان السبب نفسي يرتبط بموت زميله في المعركة امام عينيه ، وشعوره بالذنب الشديد على اساس انه هو سبب موت زميله كونه لم يحذره من اقتراب دورية العدو ولم يقم برمي القنبلة التي كان يحملها بيده على هذه الدورية .

ثالثاً : يلعب الايحاء دوراً هاماً في حدوث الهستيريا ، اذ يمكن توليد شعور نفسي لدى الافراد بأنهم يعانون من بعض المظاهر والاضطرابات الحسية او الحركية اوالعقلية ، وتزداد فرصة تأثير الايحاء باستخدام اجراءات التنويم المغناطيسي .

رابعاً : يمتاز الفرد المصاب بحالة الهستيريا بضعف النزعة اوالميل الى العلاج . اذ يظهر مقاومة شديدة ضد العلاج لأن حالة الهستيريا التي يعاني منها هي دافع لاشعوري لديه للتخلص من حالة القلق .

خامساً : ترتبط الهستيريا بالدوافع الجنسية ولا سيما بالخبرات الجنسية المحرجة او المؤلمة التي تعرض لها الفرد . وخير مثال على ذلك حالة شلل اليد التي كان يعاني منها احد المراهقين ، فقد تبين عدم وجود سبب عضوي لحالة الشلل هذه ، وان السبب الحقيقي

هو مشاعر القلق الناجمة من الشعور بالذنب بسبب ممارسة هذا المراهق للعادة السرية .

عصاب الكوارث:

وهو اضطراب نفسي شديد يصيب الفرد نتيجة التعرض الى صدمة شديدة ومفاجئة تهدد حياته ، ويشبه هذا النوع من العصاب ، عصاب الحروب لكنه يختلف عنه في عدد من المظاهر تتمثل بما يلي :

أ - في عصاب الحروب يعرف الفرد مصدر الخطر الذي يهدد حياته ، لذلك فهو يوجه اليه غضبه ورغبته بالانتقام ، في حين أن مصدر الخطر غير معروف او محدد بالنسبة للفرد في حالة الكوارث الطبيعية .

ب-يتوحد الفرد مع المعتدي في حالة عصاب الحرب ، ولكن في حال الكوارث الطبيعية يتجه الفرد الى التوحد مع مواقف دينية تتراوح بين الرضى والتسليم الديني او الاعلاء والتسامي .

جـ-تكون اعراض العصاب الصدمي الناتج عن الكوارث الطبيعية اكثر حدة واكثر استمراراً مقارنة بتلك الاعراض في حالة عصاب الحروب . ولكن مشاعر الذنب ولوم الذات تكون في حالة عصاب الحروب اقوى منها في حال عُصاب الكوارث الطبيعية .

الانحراف الجنسي:

يمثل الانحراف الجنسي متلازمة تشتمل على مجموعة من الانماط السلوكية التي يلجأ اليها الفرد لاشباع دافع الجنس بطرق غير مشروعة او التنفيس عن هذا الدافع بوسائل اخرى غير طبيعية . ويسود في مجتمع القوات المسلحة عادة بعض انواع الانحرافات الجنسية والتي تتخذ الاشكال التالية :

(1) اللواط : ويتمثل في الاتصال الجنسي بين الذكور .

(2) السحاق : ويتمثل في انماط النشاط الجنسي بين الاناث .

(3) الزنى : ويتمثل في العلاقات الجنسية غير المشروعة التي تتم بين المجندين والمجندات .

تنتشر مثل هذه الانواع في مجتمع القوات المسلحة ، وتختلف في شدتها من مجتمع لآخر تبعاً لطبيعة النظام الثقافي والقيمي السائد في المجتمع الأب ، بالاضافة الى طبيعة قواعد الضبط والربط العسكري المعمول بها في المجتمع العسكري . وتشير التقارير إلى أن

الانحرافات الجنسية تسود بشكل كبير في القوات المسلحة الاسرائيلية والامريكية وفي بعض جيوش العالم . وعموماً ، فإن معظم المجتمعات العسكرية في العالم لا تخلو من مثل هذه الانحرافات والتي قد تحدث تحت وقع عوامل الترغيب او التهديد .

إن مثل هذه الانحرافات تتواجد في المجتمعات العسكرية نظراً لغياب افراد القوات المسلحة عن اسراهم وعائلاتهم لفترة طويلة من الزمن او بسبب كثرة الاحتكاك والتواصل التي تتم بينهم . وقد يرتبط بعضها الآخر بأسباب نفسية تتعلق بخلل وظيفي في الشخصية ، ومثل هذه الانحرافات تؤثر في انماط التكيف والتوافق النفسي ، وفي تماسك مجتمع القوات المسلحة .

الاستحواذ القهري :

يعرف هذا النوع من الاضطراب النفسي بالافكار القسرية اوالعصاب القهري ، ويتمثل في تصور افكار قهرية تسيطر على تفكير وسلوكات الفرد وتدفعه الى القيام بعمل ما تحت ضغط مثل هذه الافكار . ومن الامثلة على ذلك الشك الذي يصاحب بعض الافراد بأنهم لم يقوموا بعمل ما مثل اغلاق باب المنزل مثلاً ، فنجدهم يذهبون ربما لأكثر من مرة للتأكد من انهم اغلقوا الباب ، أو الفرد الذي تنتابه مشاعر الخوف من العدوى اوالاصابة بمرض ما ، فنجده يكرر غسل يديه مرات عديدة .

الاضطرابات الشخصية:

يمكن النظر الى الاضطرابات الشخصية على انها مجموعة اعراض متطرفة تمتاز بها شخصية الفرد بحيث تجعل منها غير طبيعية مقارنة بشخصيات الافراد العاديين . وتقع الاضطرابات الشخصية في عدة اشكال تتمثل بما يلي (عبد الله ، 2001) :

أولاً : مجموعة الشخصية غريبة الأطوار وتشمل :

1- **الشخصية الزورية** : وتعرف باسم الشخصية البارانويدية «البارانويا » . وتمتاز هذه الشخصية بالشك والريبة وسوء الظن بالآخرين . فالشخص الذي يعاني من هذا النوع من الاضطراب يشكك في افعال وتصرفات الآخرين حتى المقربين منه ، ويعتقد بأن هؤلاء يتآمرون عليه ويضطهدونه ويريدون تدمير ذاته وكيانه . ومثل هذا الشخص غالباً يضخم الامور وتنتابه حالات شديدة من الخوف والتوتر والتهيج .

2- الشخصية المنطوية او شبه الفصامية : وتمتاز بالعزلة والوحدة وعدم الميل الى التواصل مع الآخرين واللامبالاة وعدم الاكترات وبرودة المشاعر . ان المصابين بهذا النوع من الفصام يفضلون الاعمال الفردية ويميلون الى العزلة ولا يرغبون في الزواج .

3- الشخصية الفصامية : وتمتاز بغرابة التفكير والادراك والسلوك . فمثل هذه الشخصية تتسم بنقص الميل إلى الاندماج في العلاقات الاجتماعية والشك والاعتقاد بالخرافات والغموض في التعبير الكلامي والانفعالي .

ثانياً : مجموعة الشخصية المتخوفة وتشمل :

أ-الشخصية التجنبية : تتسم هذه الشخصية بتجنب الآخرين بالرغم من الاشتياق والحب الكبير لهم ، ويرجع ذلك الى عدد من الاسباب مثل :

1- الخوف من اساءتهم او نقدهم .

2- القلق الناتج من الشعور بالنقص في المهارات الاجتماعية .

3- الخوف من الرفض من قبل الآخرين .

ب-الشخصية الوسواسية القهرية : وتتسم بالقدرة المحدودة في التعبير عن الانفعالات والانشغال بمسائل ترتبط بالنظام والنظافة والرقابة والتفصيلات والضمير الحي والتعب والعناد والميل الشديد نحو لوم الذات . فمثل هذه الشخصية تبدي اهتماماً بالقواعد والقوانين والمظهر والصحة وهي مترددة وغير حاسمة في اتخاذ القرارات .

جـ-الشخصية السلبية العدوانية : وتتسم مثل هذه الشخصية في الميل الى مقاومة انماط الاداء المناسب في المجالات الاسرية والمهنية والاجتماعية او المرافق الحياتية الأخرى . وهي في الغالب تمتاز بالعدوانية والعناد والاتكالية والرفض والتأجيل وضعف الثقة بالذات .

ثالثاً : مجموعة الشخصية الشاردة وتشمل :

أ- الشخصية الهستيرية : وتعرف باسم الشخصية المتصنعة ، وتمتاز مثل هذه الشخصية بالميل الى جذب انتباه الآخرين والسعي الى نيل اعجابهم واهتمامهم ، كما انها تمتاز بالسطحية والتصنع والاهتمام بالمظاهر والمبالغة في الكلام واللباس .

ب- الشخصية النرجسية : وتتسم هذه الشخصية بالشعور بالعظمة وبأهمية الذات وعشقها والميل الى تضخيم الانجازات الذاتية والانشغال بأحلام اليقظة المتعلقة بالنجاح والتفوق ، والنزعة الى حسد الآخرين وعدم التعاطف معهم .

جـ-الشخصية المضادة للمجتمع : وتتسم هذه الشخصية في تبني انماط سلوكية عدائية مضادة للمجتمع مثل السرقة والاعتداء على الآخرين وممتلكاتهم . كما تمتاز باللامبالاة والاستهتار وتبلد المشاعر وعدم لوم الذات ، والميل الى ايذاء الآخرين من خلال القيام بانماط سلوكية مثل الادمان والاعتداء على الآخرين والاجرام والانحراف الجنسي والاغتصاب .

د-الشخصية المتقلبة : وتعرف باسم الشخصية غير الثابتة والتي تتسم بعدم الاستقرار الانفعالي والاضطراب في العلاقات الاجتماعية . ومثل هذه الشخصية يصعب التنبؤ بأنماطها السلوكية في المواقف المختلفة نظراً لعدم استقرارها او ثباتها ، وغالباً ما تؤدي بالافراد الذين يتصفون بها إلى الميل الى الانتحار .

هـ-الشخصية الاتكالية : وتمتاز بكثر الاعتماد على الآخرين وعدم الميل الى تحمل المسؤولية ، والميل الى الرضوخ الى مطالب ورغبات وأوامر الآخرين .

التكيف النفسي في المجتمع العسكري:

يمكن من خلال اللجوء الى بعض الاساليب والاجراءات التخفيف من صعوبات الضغوط النفسية ، والتقليل من حدة المشكلات النفسية التي تنشأ لدى افراد القوات المسلحة ، وذلك لمساعدتهم على تحقيق التوافق والسلام النفسي . ومثل هذه الاجراءات ربما لا تعمل على ازالة جميع المصاعب اوالمشكلات النفسية او منع حدوثها ، الا انها قد تكون مفيدة الى درجة ما في الحد من مدى انتشارها وتأثيرها ، ويمكن تصنيف هذه الاجراءات الى مجموعتين هما : الاجراءات الوقائية والاجراءات العلاجية .

اولاً : الاجراءات الوقائية :

1- ضرورة تعريض المجندين الجدد من افراد القوات المسلحة الى وسائل التشخيص النفسي مثل اختبارات ومقاييس الشخصية والاختبارات العقلية واختبارات الاستعداد وغيرها للتعرف على امكانات وقدرات وخصائص الافراد العقلية والشخصية ، والتعرف على الافراد الذين يعانون من ضعف في القدرات العقلية اوالاضطرابات الشخصية والانفعالية او اولئك الذين لديهم الاستعداد للاصابة بالاضطرابات النفسية للعمل على استثنائهم من الخدمة العسكرية .

2- ضرورة أن لا تشتمل برامج التدريب والاعداد والتنشئة العسكرية على الموضوعات المرتبطة بتعليم افراد القوات المسلحة المهارات الفنية والحركية والمعارف العسكرية فحسب ، لا بل يجب ان تشتمل في بعض جوانبها على الموضوعات ذات العلاقة بالاعداد النفسي لهؤلاء الافراد من خلال تعريفهم على طبيعة المجتمع العسكري والقيم السائدة فيه والمهام والادوار والمسؤوليات التي تقع على عاتقهم وذلك من اجل اثارة الاستعداد والتهيؤ النفسي لديهم للتكيف مع طبيعة المجتمع العسكري ومهماته .

3- ضرورة توزيع الافراد الى المهمات العسكرية في ضوء قدراتهم وامكانياتهم وتفضيلاتهم وميولهم ان امكن ، لان ذلك من شأنه ان يساعدهم على التوافق والتكيف النفسي ويثير لديهم الدافعية للعمل ومواجهة الصعوبات ، إذ إن تكليف الافراد في مهمات لا يرغبون فيها ربما يولد لديهم مشكلات نفسية مثل الهستيريا والاحباط وغيرها ، وهذا يترتب عليه سوء التوافق او التكيف .

4- ضرورة توفير التدريب الجيد لافراد القوات المسلحة على المهام والواجبات العسكرية التي يفترض منهم القيام بها ، وكذلك تدريبهم على كيفية استخدام الأدوات والمعدات العسكرية ، لان ذلك من شأنه ان يزيد مستوى الثقة بالنفس ويقلل من عوامل القلق والتوتر لديهم .

5-إعداد الافراد لظروف واجواء المعركة من خلال المناورات العسكرية ، ولا سيما تلك التي تستخدم فيها الاسلحة والذخائر الحية ، فتعريض افراد القوات على نحو متكرر لمثل هذه الخبرات من شأنه ان يساعد في خلق حالة من التهيؤ النفسي والذهني لديهم للتكيف مع اجواء المعارك الحقيقية ، وذلك بسبب انها تعمل على التخفيف من عوامل القلق والتوتر والخوف على نحو تدريجي لدى افراد القوات المسلحة .

6- توفير فرص لتحمل المسؤولية لافراد القوات المسلحة وتشجيعهم وتحفيزهم على القيام بالاعمال وتنفيذ الواجبات ، لأن ذلك من شأنه ان يعزز مفهوم الذات لديهم ويرفع من مستوى الثقة بأنفسهم ويساعدهم على الخلق والابتكار .

7- العمل على اشباع الحاجات والدوافع لدى افراد القوات المسلحة مثل الحاجات الاولية كالجوع والعطش والمسكن والرعاية الصحية المناسبة ، والحاجات الثانوية مثل الأمن والطمأنينة والسلامة والانتماء والحب والتعلم والتقدير ، لأن عدم اشباع مثل هذه الحاجات من شأنه ان يخلق حالات من التوتر النفسي والقلق والاحباط والصراع وعدم الاستقرار النفسي .

8- توفير قروض مالية ميسرة لمن يرغب من افراد القوات المسلحة لمساعدتهم على حل مشكلاتهم الاقتصادية والاسرية ومساعدتهم على تحقيق بعض الاهداف الاجتماعية ،

لأن معاناة الافراد من مثل هذه الهموم والمشكلات من شأنه ان ينعكس سلباً في تكيفهم النفسي ويعيق أداءهم للواجبات والمهمات العسكرية الموكلة اليهم .

9- توفير فرص التفاعل الاجتماعي ووسائل الترفيه والاجازات لافراد القوات المسلحة لان ذلك من شأنه ان يخفف من ضغوط وعناء المهمات والادوار التي يقومون بها . فالمجند يشعر احيانا بالغربة والوحشة والحنين الى الاهل والاسرة والاصدقاء ، وبالتالي فإن مثل هذه الفرص تعمل على خفض التوتر والقلق لديهم وتشعرهم بالأمن والطمأنينة .

10- الاعتدال في تنفيذ العقوبات المتصلة بقواعد الضبط والربط العسكري وعدم الاسراف فيها ، بحيث تتناسب هذه العقوبات مع طبيعة المخالفات التي يقترفها افراد القوات المسلحة . ولا ضير في ذلك من محاولة التعرف بجدية على ملابسات هذه المخالفات ، لان البعض قد يقع منها بحُسن نية او عدم معرفة او دون قصد او تعمد .

11- تعزيز الوازع الديني وعنصر الايمان لدى افراد القوات المسلحة وتعريفهم ان الحياة والموت هي امور مقدرة بيد الله ، اذ كل ما يقع للإنسان من عوارض دون ارادته ربما تكون مسائل قدرها الله عليه . ان مثل هذا العامل من شأنه ان يقوي من عزيمة افراد القوات المسلحة ويزيد من مستوى تقبلهم ويرفع الروح المعنوية لديهم ولا سيما في ظروف الحروب والازمات ، الأمر الذي يساعدهم على التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي داخل المؤسسة العسكرية .

ثانياً : الاجراءات العلاجية :

1-التعرف على الصعوبات والمعيقات التي تحول أو تعوق أداء المهمات والأدوار العسكرية المتعددة ومحاولة مساعدة الأفراد على تجاوزها أو التخلص منها ، حيث يصاب الأفراد عادة بالاحباط والتوتر النفسي عندما تواجههم بعض المعيقات أثناء تنفيذ الأعمال ، وغالباً ما تولّد مثل هذه الحالة سوء التوافق النفسي ، ومن هنا فمن الضروري التعرف على صعوبات العمل وتدريب الأفراد على كيفية التغلب عليها .

2- تعريض الأفراد إلى اختبارات نفسية تشخيصية بهدف التعرف على الأفراد الذين يعانون من الاضطرابات النفسية والانفعالية والسلوكية أو مشاكل سوء التكيف ، والعمل على تحويلهم إلى المرشد النفسي أو الديني من أجل مساعدتهم على التغلب على مثل هذه الاضطرابات ومساعدتهم على التكيف .

3- تحديد الأفراد الذين يعانون من اضطرابات نفسية أو انفعالية أو شخصية ولا سيما الحالات الشديدة منها ، والعمل على تسريحهم من القوات المسلحة أو تحويلهم إلى عيادات الطب النفسي من أجل علاجهم .

4- مساعدة الأفراد على التكيف من خلال التعرف على مشكلاتهم الاجتماعية والمهنية والشخصية وتقديم يد العون لهم للتخلص من هذه المشكلات .

المراجع

المراجع العربية :

- أبو زيد ، أحمد محمد . (1968) . سيكولوجية الرأي العام ورسالته الديمقراطية ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر .
- أبو سريع ، أسامة . (1991) . الاقتران بين تعاطي المواد النفسية وفقدان الرضا عن العلاقات الاجتماعية لدى عينة ممثلة لعمال الصناعة الذكور في مصر . المجلة الاجتماعية القومية ، عدد1 ، 133-164 .
- أبو النيل ، محمود السيد . (1985) . علم النفس الاجتماعي : دراسات عربية وعالميه ، جزء 1 ، ط4 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- اسعد ، بهاء الدين محمد ؛ والخلفات ، جمال يوسف . (1981) . العسكرية الاسلامية وقادتها العظام ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن .
- توفيق ، مرعي ؛ وبلقيس ، أحمد . (1984) . الميسر في علم النفس الاجتماعي ، ط2 ، دار الفرقان ، عمان ، الاردن .
- دافيدوف ، لندا . (1984) . مدخل علم النفس ، ترجمة الطواب وآخرون ، ط2 ، دار ماكجروهيل للنشر ، القاهرة .
- الديري ، أكرم . (1982) . سيف الله خالد بن الوليد ، ترجمة صبحي الجابي ، ط4 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- الديري ، أكرم . (1984) . آراء في الحرب : الاستراتيجية وطريقة القيادة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان .
- رضوان ، سامر جميل . (2002) . الصحة النفسية ، ط1 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الاردن .
- الرفاعي ، نعيم . (1982) . العيادة النفسية والعلاج النفسي ، جامعة دمشق ، دمشق .
- رومل ، اروين . (بلا) . مذكرات رومل ثعلب الصحراء ، الجزء الأول ، دار إحياء التراث العربي .
- الزغول ، عماد عبد الرحيم (2003) الروح المعنوية ودور القائد في تنميتها .مجلة فرسان مؤته ،العدد (16) ، ص 57-58 ، جامعة مؤته ، الأردن .

- الزغول ، عماد عبد الرحيم . (2001) . مبادئ علم النفس التربوي ، ط2 ، دار الكتاب الجامعي ، العين ، الامارات العربية المتحدة .
- الزغول ، عماد عبد الرحيم . (2003) . نظريات التعلم ، ط1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن .
- الزغول ، عماد عبد الرحيم ؛ والهنداوي ، علي . (2002) المدخل إلى علم النفس . دار الكتاب الجامعي ، ط1 ، العين ، الامارات العربية المتحدة .
- زهران ، حامد عبد السلام . (1997) . الصحة النفسية والعلاج النفسي ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر .
- شانديسي ، شارل . (1984) . علم النفس في القوات المسلحة ، ترجمة محمد ياسر الأيوبي ، المكتبة العالمية ، بغداد ، العراق .
- شوقي ، طريف . (1999) . القيادة والسلوك القيادي . في علم النفس الاجتماعي : اسسه وتطبيقاته ، تحرير زين العابدين درويش . دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر .
- عبدالله ، محمد قاسم . (2001) . مدخل الى الصحة النفسية ، ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن .
- عيد ، محمد إبراهيم . (2000) ، علم النفس الاجتماعي ، ط1 ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر .
- العطيه ، ماجدة . (2003) ، سلوك المنظمة : سلوك الفرد والجماعة ، ط1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن .
- العيسوي ، عبد الرحمن محمد . (1999) ، علم النفس العسكري ، موسوعة كتب علم النفس الحديث ، ط1 ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان .
- غازادا ، جورج ؛ وريموندجي ، كورسيني . (1983) . نظريات التعلم : دراسة مقارنة ، ترجمة علي حسين حجاج وعطيه محمد هنا ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 70 ، الكويت .
- غازادا ، جورج ؛ وريموندجي ، كورسيني . (1986) . نظريات التعلم : دراسة مقارنة ، ترجمة علي حسين حجاج وعطيه محمد هنا . سلسلة عالم المعرفة ، عدد 108 ، الكويت .
- فراج ، محمد فرغلي . (1984) . مدخل إلى علم النفس ، دار الثقافة للنشر ، القاهرة ، مصر .

- فرج ، عبداللطيف حسين ، وعطيه عز الدين جميل . (1987) ، علم النفس العسكري ، ط1 ، دار الشروق ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

- فهمي ، مصطفى . (1987) . الصحة النفسية : دراسات في سيكولوجية التكيف ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

- فهيم ، سمير . (1999) . سيكولوجية الشائعات . في علم النفس الاجتماعي : أسسه وتطبيقاته ، تحرير زين العابدين درويش . دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر .

- ليدل ، هارت . (1948) . القادة الالمان يتكلمون . ترجمة أكرم الديري والهيثم الأيوبي . دار القلم ، بيروت ، لبنان .

- ملحم ، سامي محمد . (2001) . سيكولوجية التعلم والتعليم : الاسس النظرية والتطبيقية ، دار المسيرة ، عمان ، الاردن .

- الهنداوي ، علي ؛ والزغول ، عماد عبد الرحيم . (2002) . مبادئ أساسية في علم النفس ، ط1 ، دار حنين للنشر والتوزيع- مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .

- هيز ، صامويل ؛ وتوماس ، وليم . (1983) . تولي القيادة : فن القيادة العسكرية وعلمها . ترجمة سامي هاشم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان .

المراجع الأجنبية :

-Anastasi, A. (1988). Psychological testing, (6th ed). Macmillan Publishing Company.

- Bandura, A. (1969). Principles of behavior modification. Holt Rinehart Winston, N.Y.

- Bandura, A. (1976). Modling theory. In W.S. Sahakian (Ed). Learning: Systems, modest, and theories, (2nd ed) Rand McNally.

- Bandura, A. (1986). Social foundations of thought and action. Englewood, Cliffs, Prentice - Hall- Inc.

- Berkowitz, L.A. (1986). A survey of social psychology. Holt, Rinehart Winston, N.Y.

- Carlson, R. (1990). Psychology: The science of behavior, (3rd ed). Allyn & Bacon.

- Carlson, N.R. (1994). Physiology of behavior, (5 th ed). Allyn and Bacon, Boston.
- Carlson, R.N. (1998). Physiology of behavior, (6th ed). Allyn & Bacon, Inc.
- Catania, A.C. (1998). Learning. Prentice - Hall, Inc.
- English, H.B. & English, A.C.A. (1958). A comprehesive dictionary of psychoanalytical terms. Longmans, London.
- Goldstein, E. B. (1989). Sensation & preception, (3rd ed). Wadsworth, Inc.
- Hayes, N. (1994). Foundations of psychology: An introduction text. Routledge.
- Hilgard, E. R. & Bower, G. H. (1981). Theories of learning. (5 th ed). Prentice- Hall, Inc.
- Hill, W.F. (1990). Learning: Asurvey of psychological interpretations. (4th^{ed}). Harper Collins Publishers.
- Hothersall, D. (1984). History of psychology. Random House, Inc.
- Kagan, J., & Segal, L. (1998). Psychology: An introduction. Harcourt Press. N.Y.
- Marten, G., & Pear, J. (1999). Behavior modification: What it is and how to do it, (6th ed). Prentice-Hall, Inc.
- Mazur, J. (1998). Learning and behavior, (4th ^{ed}). Prentice-Hall, Inc.
- Ormord, J. (1999). Human learning, (5rd^{ed}). Prentice- Hall, Inc.
- Saal, S., & Knight, P. (1988). Industrial and organizational psychology. California Pasific Pub.
- Sharp, V. (1996). Computer education for teachrs, (2nd^{ed}). Brown & Benchmarck Publishers.
- Wolman, B.W. (1975). Dictionary of behavioral science. Mcmillan Press N.Y.

المركز الإسلامي الثقافي
مكتبة سماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله العامة
الرقم

لا يكاد أي مجتمع من المجتمعات يخلو من وجود مؤسسة عسكرية تعمل على الحفاظ على أمن وسلامة المجتمع من أي تهديد داخلي أو خارجي، وتشكل المؤسسة العسكرية مجتمعاً بحد ذاته يسهم على نحو غير مباشر في التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية للمجتمع الأب من خلال تحقيق الأمن والاستقرار والحفاظ على وحدة هذا المجتمع وتماسكه.

ويعدّ المجتمع العسكري كأيّ مجتمع تنظيمي آخر يتألف من مجموعة أفراد تحكمهم علاقات تنظيمية معينة ، ويسعون إلى تحقيق أهداف وغايات عامة، بحيث تتوزع الأدوار والمهام على الأفراد وفق أسس وضوابط محددة، وتتباين الأدوار والمهام تبعاً للسمات الشخصية والمؤهلات والقدرات والإمكانات بالإضافة إلى القواعد واللوائح المعمول بها.

وبالرغم من التشابه الكبير الذي يربط المجتمع العسكري بالمجتمعات التنظيمية الأخرى، إلا أنه بالوقت نفسه يختلف عنها في بعض الاعتبارات مثل البنية التنظيمية وإجراءات إدارة الأفراد، بالإضافة إلى الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها،وينبع مثل هذا الاختلاف من خصوصية المجتمع العسكري ، و الأمر الذي يستلزم العناية الفائقة في اختيار أفراد القوات المسلحة وتدريبهم وتوزيعهم على القطاعات والمهن العسكرية المختلفة ، وغرس قواعد الضبط والربط العسكري لديهم.

ولما كان علم النفس يعنى بالدرجة الأولى في تفسير السلوك الإنساني وضبطه والتنبؤ به، في محاولة منه لتفسير الوظائف النفسية المتعددة لدى الأفراد والكشف عن الاضطرابات التي تطرأ عليها، فبات من الضروري توظيف مبادئ علم النفس في المجال العسكري بهدف تحسين أداء الأفراد ورفع كفاءتهم الإنتاجية، ومن هنا نجد اهتمام المجتمعات الحديثة في الاستفادة من المعارف والنظريات النفسية والعمل على توظيفها في الجوانب العسكرية المتعددة.

دار الشروق للنشر والتوزيع
المركز الرئيسي - عمان/الاردن - تلفون ٤٦١٨١٩٠-٤٦١٨١٩١-٤٦٢٤٣٢١
فاكس ٤٦١٠٠٦٥ - ص.ب ٩٢٦٤٦٣- عمان ١١١١٨ الأردن
فرع الجامعة الأردنية - تلفون : ٥٣٥٨٣٥٢
...o@nol.com.jo
...ok.com
وكلاؤنا...
دار الشروق للنشر والتوزيع - رام...
دار الشروق للنشر والتوزيع - غزة...